
كاملات عقل ودين



18 ش العرب من شـارع 77 المعادى ـ القاهـرة

Mobile: 01143679371– 01224068553

Facebook: Seraj for Publishing & Distribution - السـراج للنشـر والتـوزيـع

E-mail :seraj.books@gmail.com

كاملات عقل ودين

أسماء عثمان الشرقاوي

رقم الإيداع : **2025/3222**

الترقيم الدولي : **978 – 633 – 8278 – 07- 6**

الطبعة الأولى : **2025م –1446 هـ**

الناشر: © السـراج للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية ـ القاهرة

كاملات عقل ودين

أسماء عثمان الشرقاوي

إهداء

أهدي كتابي لكل امرأة مسلمة، تأذت وتألمت مما سمعته من أحاديث، تهين المرأة وتضع من مكانتها وتحرمها ما منحها الله تعالىٰ لها من تكريم ورفعة ورقي، لقد كذبوا علىٰ الله ورسوله، وأفسدوا الفطرة السوية التي خلق الله تعالىٰ الناس عليها، فلا تخافي ولا تحزني، فالله مظهر دينه وهو الحق المبين.

وأهدي كتابي لزوجي الحبيب الذي شاركني كل أفكار هذا الكتاب، ودعمني ودفعني للكتابة، وعلمني حرية الفكر واستخدام العقل كما أمرنا رب العالمين، فكان خير معين لي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" ﴿٦٩﴾، العنكبوت.

مُقَدِّمَةٌ

منذ أن بدأت الأبحاث في مجال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، منذ نحو ٢٥ سنة، كنت كلما أبحث عن حديث من أجل موضوع ما، من خلال الكتب أو برامج الأحاديث التي تبحث في معظم كتب الأحاديث المعروفة، كنت أصطدم بأحاديث عن المرأة، أجدها غريبة جدًا، وأجد فيها عنصرية بغيضة وإهانات للمرأة وحطًا من شأنها ومكانتها، والغريب أني وجدتها تمثل تيارًا كاملًا يسري في كتب الأحاديث، وكنت أتعجب جدًا، لأن معرفتي بالقرآن الكريم أنه كرَّم المرأة أيما تكريم، وأنزل رب العالمين الآيات التي تضعها في مكانة راقية وتحفظ لها كرامتها، وتساوي في الإنسانية بين الرجل والمرأة، وكذلك تحظىٰ بمكانة راقية في أحاديث كثيرة لرسول الله عليه الصلاة والسلام تظهر في أفعاله وسيرته الشريفة، فكيف تتواجد هذه الأحاديث؟! أين أصلها في الدين؟!

وقد قرأت الكثير من الكتب التي كُتبت عن مكانة المرأة في الإسلام، وكانت مادتها مأخوذة أساسًا من آيات القرآن الكريم ومن فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، ووجدتها تحمل الحق الذي جاء به الإسلام من كرامة للرجل والمرأة، ومن مكانة راقية لكليهما في الإنسانية، فكنت أتعجب، كيف يمكن الجمع بين ما منحه رب العالمين من حقوق

للمرأة ورفعته لشأنها، وبين هذه الأحاديث وخاصة أن هذه الأحاديث تُستخدم في شرح الآيات القرآنية التي تتحدث عن المرأة!

لذلك قررت معرفة حقيقة هذا اللبس، وخاصة بعد قراءتي لهذا الحديث الشريف، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عليه الصلاة والسلام: " مَنْ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ وَهُوَ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ "رواه مسلم. والكذب علىٰ رسول الله ليس كالكذب علىٰ غيره، عَنْ الْمُغِيرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: " إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" رواه البخاري.

وحتىٰ لا أكون أحد الكذابين، بحثت وتوصلت لنتائج يحتويها هذا الكتاب، وأرجو أن يعلم كل قارئ لكتابي هذا، أنه نتاج بحثي ودراستي الخاصة، وأنني أتعبد ربي بما علمته واستقر في قلبي، وأن لكل إنسان علىٰ وجه الأرض كامل الحق في التعلم والتفكر والخروج بما يعتقده حقًا يتعبد به لربه، بل إنه واجب علىٰ كل مسلم أن يتعلم دينه وأن يتعبد ربه بما استقر في نفسه وبما اعتقده، فاتباع الأوائل والآباء بلا تفكر ولا تدبر لمجرد أنهم الأوائل وأنهم الآباء، حتىٰ لو كانوا علىٰ الباطل، أمر يستنكره رب العالمين بوضوح ويرفضه ويذمه، بل أدخله بعض العلماء في دائرة الشرك.

فمن فتوىٰ (القول الصحيح في إيمان المقلد) بتاريخ ٣ـ ٥ـ ٢٠١٧ بموقع إسلام ويب يقول:

ومن لم يقم إيمانه على العلم فهو مقلد لغيره في إيمانه، وقد اختلف العلماء في صحة إيمان المقلد، فمنهم من قال بأن إيمانه غير صحيح، مستدلين بقوله سبحانه وتعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)، النجم: ٣٩. وقالوا: والمقلد ليس له سعي في إيمانه، لأنه يقبل قول من يقلده بغير حجة، لكن جمهور العلماء حكموا بصحة إيمان المقلد، لأن أصل الإيمان موجود في فطرة الإنسان التي فُطر عليها، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)، الروم: ٣٠. وقال عليه الصلاة والسلام: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"، أخرجه البخاري ومسلم، فالأصل في الإنسان الإيمان، وهو يقلد في أمر قد فطره الله عليه. اهـ.

وقد اشتهرت هذه المقالة عن الأشعري: "أن إيمان المقلد لا يصح"، وقد أنكر أبو القاسم القشيري، والشيخ أبو محمد الجويني، وغيرهما من المحققين صحته عنه، وقيل: لعله أراد به قبول قول الغير بغير حجة، فإن التقليد بهذا المعنى قد يكون ظنًا، وقد يكون وهمًا، فهذا لا يكفي في الإيمان، أما التقليد بمعنى الاعتقاد الجازم لا الموجب، فلم يقل أحد إنه لا يكفي في الإيمان، إلا أبو هاشم من المعتزلة. اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد حتى على العامة والنساء، حتى يوجبوه في المسائل التي تنازع فيها فضلاء الأمة، قالوا: لأن العلم بها واجب ولا يحصل العلم إلا بالنظر الخاص، وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب

علمه إنما يجب علىٰ من يقدر علىٰ تحصيل العلم، وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق، فكيف يكلف العلم بها؟ وأيضا فالعلم قد يحصل بلا نظر خاص، بل بطرق أخر: من اضطرار، وكشف، وتقليد من يعلم أنه مصيب وغير ذلك. اهـ.

إذًا هناك خلاف علىٰ إيمان من يأخذ دينه من غيره ويقلده بلا تمحيص وفهم وتدبر، لذلك جعل رسول الله العلم فريضة علىٰ كل مسلم ومسلمة، يقول تعالىٰ: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) ﴿٢٨﴾، فاطر. ويقول تعالىٰ: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) ﴿٩﴾، الزمر. ويقول تعالىٰ: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا) ﴿١١٤﴾، طه.

يقول د. النابلسي: "إن أول كلمة في أول آية في أول سورة تبدأ بكلمة اقرأ، يعني تعلم، اقرأ من أجل أن تؤمن، الله عز وجل أودع في الإنسان قوة إدراكية، والإنسان ما لم يطلب العلم، يهبط عن مستوىٰ إنسانيته إلىٰ مستوىٰ لا يليق به، بالعلم أنت تحقق سر وجودك أن تعرف الله، ما في شيء أعظم من أن تعرف الله".

ومعرفة الله تعالىٰ تعني معرفتك بصفاته وقرآنه والعمل بما يتوافق معهما. إن الإنسان هو المخلوق الأول بالعلم، ميز الله تعالىٰ سيدنا آدم بالعلم عن باقي المخلوقات (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) فمن فقد هذه الميزة أصبح أضل من الأنعام، يقول تعالىٰ: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) ﴿٤٤﴾، الفرقان. فالعلم يبدأ بالسماع ثم استخدام القضايا العقلية

الفطرية السليمة للوصول للحقائق الربانية. فمن أغلق سمعه وألغىٰ عقله، فهو كالأنعام التي لم يرزقها الله تعالىٰ العقل الذي للإنسان، ولم يرسل لها الرسل والشرائع، بل هو أضل لأنه هو من ألقىٰ بنفسه إلىٰ تهلكة الجهل والتقليد الأعمىٰ.

كل هذا هو معنىٰ الآية الكريمة التي بدأت بها المقدمة، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)، فمن يجاهد ويبذل من وقته وجهده وماله من أجل أن يعرف الله تعالىٰ، ومن أجل أن يتعلم كتابه، ومن أجل أن يعمل بما علمه، فيقينًا سوف يهديه الله لسبيله ولما يحبه ويرضاه، وإنه سبحانه مع كل محسن يفعل ذلك بجد وإخلاص وتجرد من هواه ومن نظر الناس.

يقول د. النابلسي في هذه الآية: جائزة المجاهد في سبيل الله، هؤلاء الله عز وجل يطمئنهم، لا بد من أن تصلوا إلينا، لا بد من أن نعينكم علىٰ طاعتنا، لا بد أن نعينكم علىٰ بلوغ رضانا.

اللهم اجعلنا من المجاهدين فيك والمحسنين في جهادنا وارزقنا طاعتك ورضاك.

تعريفات:

نبدأ البحث بتحرير بعض المصطلحات المهمة التي سنستخدمها في بحثنا.

إن معرفة صحة الحديث في الأغلب الأعم من كتب الحديث تركز علىٰ **صحة السند** فقط، ولأننا سوف نستخدم كلمة السند كثيرًا فلا بد من إيضاح معناها.

السند:

السند يعني الرواة الذين رووا الحديث، وقد وضع العلماء معايير لصحة السند في علم سُمي (علم الرجال) وهو يبحث في الصفات الشخصية والأخلاقية لكل راوٍ للحديث، بحيث لا تُقبل رواية إلا ممن اُتصف بالعدالة والثقة والتقوىٰ والحفظ والضبط، أما من يتصف بضعف الحفظ والضبط، أو بصفات سيئة كالكذب والتدليس، فتضعف روايته أو تسقط ولا يؤخذ بها، ويسمىٰ أيضًا بعلم (الجرح والتعديل) أي جرح هذا الراوي بحيث لا يؤخذ عنه، أو تعديل غيره أي وضعه في مصاف العدول فتقبل روايته، وأيضًا يبحث في مدىٰ توافق المدىٰ الزمني للرواة، فيؤخذ مثلًا ممن توافق وجودهم في تاريخ واحد.

كما أن سند الحديث يعني أيضًا سلسلة الرجال الذي وصلنا الحديث عنهم، وهي ما تُسمىٰ بالعنعنة، يعني فلان عن فلان عن فلان.

هذا باختصار شديد تعريف ما يسمىٰ بسند الحديث، وفي هذا العلم أُلِّفت آلاف الكتب التي تشمل هذه المعايير وترتب الأحاديث حسب درجتها في صحة السند درجات عديدة، من صحيحة، إلىٰ موضوعة.

ثم هناك جزء آخر من الحديث هو أهم جزء، وهو:

المتن:

وهو كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا الجزء في غاية الأهمية، لأنه كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكلام رسول الله دين، يشمل إلىٰ جانب رسالته الأولىٰ، وهي تبليغ رسالة رب العالمين للناس أجمعين، الأوامر والنواهي والأحكام والتوجيهات، لذلك لا بد من اتباع معايير دقيقة وصارمة لمعرفة صحيح المتن من باطله، لأننا إذا قبلنا بالمتن دون تمحيص، فإننا بذلك نُدخل في الدين ما ليس فيه، وهذا يؤدي إلىٰ خلل في العقيدة، وخلل في التعامل مع الله تعالىٰ، ومع الناس، ومع النفس، ويؤدي لكوارث اجتماعية وأخلاقية متوالية.

وإليكم مثال لفهم معنىٰ السند والمتن:

حدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، **قَالَا**: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ، **عَنْ** رَبِيعَةَ بْنِ عُثْمَانَ، **عَنْ** مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَي بْنِ حَبَّانَ، **عَنْ** الْأَعْرَجِ، **عَنْ** أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ"، رواه مسلم.

السند: سبعة رجال هنا يمثلون السند تناقلوه بداية ممن رواه وهو أبو هريرة حتىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

المتن: كلام رسول الله "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ...". ثم يأتي من بحَثَ ورواه بهذا السند وهذا المتن وهو الإمام مسلم، يقال (رواه مسلم). ثم يأتي الحكم علىٰ مدىٰ صحة السند، أي الحكم علىٰ مدىٰ قبول رواية هؤلاء الرجال، وقد قيل فيه (إسناده حسن رجاله ثقات، عدا ربيعة بن عثمان التيمي وهو صدوق حسن الحديث، رجاله رجال مسلم "أي أنهم من رجال السند من الذين يقبل الإمام مسلم برواياتهم").

ويقول من حكم علىٰ صحة السند أن كل رجال الحديث علىٰ درجة عالية من الثقة بهم، إلا ربيعة بن عثمان التيمي فإنه أقل في درجة الثقة، والصدوق عندهم كما قال الحافظ ابن حجر: قولهم في الراوي صدوق أي قاصر عن درجة رجال الصحيح في الحفظ والإتقان ليس مغفلًا كثير الخطأ، ولا هو متهم بالكذب. ويقوم بهذا الحكم مجموعة من العلماء الذين وُكل لهم إخراج موسوعة الحديث.

هذه هي محتويات الحديث النبوي باختصار، لهذا لما كنت أجد أحاديث تحط من شأن المرأة، حكم عليها الباحثون في هذا المجال أنها صحيحة السند، كنت أقف متحيرة جدًا، ثم قررت أخيرًا بعد أن اكتفيت من هذا الأمر، ولم أجد له مبررًا دينيًا أو عقليًا، أن أبحث فيه، وخاصة أن كل الكتب التي تتحدث عن مكانة المرأة في الإسلام، تتحدث عما جاء بالقرآن والسنة من تكريم للمرأة، وهذا حقيقي، حيث أن الله تعالىٰ قد كرَّم كل بني آدم، وجعلهم سواسية في الخلق والعقل والتكليف والحساب، فكل هذه الكتب تذكر التكريم الراقي الواضح

للمرأة، لكنها لا تتطرق للأحاديث صحيحة السند التي تهدم هذه المكانة، أو تفسرها بتفسيرات غير مقبولة دينًا ولا عقلًا، وتستخدم لذلك كمًا هائلًا من التحايل الممجوج، وليِّ الحقائق وتكذيبها، لجعلها مقبولة بينما هي غير مقبولة بأي منطق ولا دين.

فبدأت بتجميع بعض الأحاديث المشهورة التي تتكلم في شأن المرأة، الأحاديث التي اشتهرت علىٰ ألسنة الوعاظ، والتي أثرت أسوأ تأثير في المجتمع. وقد اهتممت بهذا الأمر لما رأيت من أن هذه المقولات أفسدت الكثير من بيوت المسلمين، بل وأفسدت مجتمعات كاملة، أصابتها الأمراض النفسية والاجتماعية للرجال والنساء، وبالطبع الأطفال الذين ينشؤون باضطرابات شخصية في جو من الاحتقار للمرأة التي هي أمهم وأختهم، فينشؤون مشبعين بما يسمعونه من أحاديث تشكك في المرأة وتصفها بأبشع الأوصاف، فيصابون بالشك المرضي الذي يفسد عقولهم وحياتهم.

فبدأت البحث، وقرأت الكثير جدًا من الكتب والمقالات والتحليلات، وأهم الكتب التي قرأت فيها للاستعانة بها ثمانية كتب في مجال السنة ومكانة المرأة:

- (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
- (الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة علىٰ الصحابة) للإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ).
- (منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي) للدكتور صلاح الدين الإدلبي.

- (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) للشيخ محمد الغزالي.
- (كيف نتعامل مع السنة النبوية) للدكتور يوسف القرضاوي.
- (مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة) للدكتور محمد بلتاجي.
- (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور مصطفىٰ السباعي.

وكنت قد قرأت منذ عدة سنوات كتاب (مختصر صحيح البخاري).

والمعلومات التي جمعتها من هذه الكتب وغيرها كثيرة جدًا ورائعة جدًا، لكن إن شاء الله سوف أحاول أن أُبين لكم النقاط المهمة. وبما أن سبب هذا البحث هو دراسة الأحاديث التي وردت في شأن المرأة، فبداية لا بد أن نعلم بصورة مختصرة كيف جُمع القرآن الكريم ووصلنا، وكيف جُمعت السنة النبوية الشريفة ووصلتنا، لكن قبل أن نبدأ أحب أن أبين نقطة مهمة جدًا في هذا البحث، إن المقولة الحكيمة الجميلة التي قالها سيدنا أبو بكر في حق رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي **(إن قال فقد صدق)** هي نبراسنا في هذا البحث، فالجزء الأول من الجملة هو مجال البحث (إن قال) فنحن نبحث لنعرف إن كان قد قال أو كُذب عليه بكلام لم يقله، فإننا سنبحث ونستنفذ جهدنا والأدوات التي فتح الله بها علينا في معرفة (إن قال)، فإن توصلنا لأنه قال، فبها ونعمت وكل ما قاله صدق وحق وله الطاعة. وإن توصلنا لأنه لم يقل، فلا مجال لتصديق كلام مكذوب عليه، هو افتراء علىٰ الله ورسوله، وهو بريء منه، فإن أصبنا فلنا أجران إن شاء الله، وإن لم نصب فلنا أجر واحد، والحمد لله رب العالمين.




الباب الأول

جمع القرآن الكريم والسنة النبوية

أولًا: جمع وتدوين القرآن الكريم

ثانيًا: جمع وتدوين السنة النبوية

أولًا: جمع وتدوين القرآن الكريم

كُتب القرآن كاملًا بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، وكان له ثلاثة وأربعون كاتبًا يكتبون عنه ما نُزِّل أولًا بأول، وهذا ثابت بالروايات الصحيحة، ولكنه ظل في بيته عليه الصلاة والسلام مفرقًا علىٰ الألواح والعسب واللخاف كما تفيد الروايات، كما كان يوجد بعض الأجزاء منه في بيوت الصحابة رضوان الله عليهم. والذي تم في عهد أبي بكر رضي الله عنه هو الجمع الأول للمصحف، ولكن بعد أن اُستشهد عدد كبير ممن كانوا يحفظون القرآن في موقعة اليمامة، فزع سيدنا عمر رضي الله عنه، حيث خشي ضياع القرآن بضياع الحفظة، فأشار علىٰ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه بجمع المصحف، وقد كان، إلا إنه جُمع في نسخة وحيدة ظلت في بيت أبي بكر ثم عمر ثم في بيت حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين.

ثم جاء سيدنا عثمان رضي الله عنه فقام بعمل جمعٍ ثانٍ للمصحف، ثم انتسخ منه عدة نسخ، أرسل إلىٰ كل مصر نسخةً منها مع قارئ يُعلِّم الناس كيف يقرءون القرآن قراءة صحيحة، ثم جمع ثالث أيضًا في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه، وسنستعرض هذه المراحل الثلاث.

المرحلة الأولى لجمع القرآن وتدوينه في عهد النبوة:

قد تمت بطريقتين:

الطريقة الأولىٰ: جمع القرآن في صدور الصحابة حيث كان الكثيرون من الصحابة يحفظون القرآن.

الطريقة الثانية:

كتابة القرآن في صحف متفرقة حيث كان الصحابة يكتبون القرآن بأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام علىٰ العسب، وهي: جريد النخل، وعلىٰ اللخاف، وهي: الحجارة الرقيقة، وعلىٰ الرقاع، وهي: الأوراق، وقطع الأديم، وهي: الجلد وعظام الأكتاف، والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهكذا انقضىٰ عهد النبوة ولم يُجمع القرآن في صحف ولا في مصاحف، بل كُتب منثورًا بين الرقاع والعظام ونحوها.

المرحلة الثانية لجمع القرآن في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه:

أمر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت بجمع القرآن، فأخذ زيد يتتبع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال فجمع القرآن كله في مصحف، فكانت هذه الصحف عند أبي بكر الصديق حتىٰ توفاه الله، ثم عند عمر حتىٰ مات، ثم عند حفصة بنت عمر.

منهج زيد بن ثابت في تدوين القرآن الكريم:

انتهج زيد بن ثابت أسلوبًا دقيقًا محكمًا في تدوين القرآن الكريم، وكان هذا المنهج قد وضعه له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا المنهج يعتمد علىٰ مصدرين في جمع القرآن الكريم:

١) ما كُتب بين يدي الرسول.

٢) ما كان محفوظًا في صدور الصحابة رضوان الله عليهم.

كان سيدنا زيد رضي الله عنه، يتابع وحي القرآن حفظًا، وكان الرسول كلما نزل الوحي عليه، بعث إلىٰ زيد فكتبه، ولم يكتفِ زيد بما حفظه وكتبه هو بنفسه، بل جعل يتتبع ويستقصي ما كان عند غيره، ولم يكن يقبل شيئًا من المكتوب حتىٰ يشهد شاهدان عدلان علىٰ أنه كُتب بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام، فلم يعتمد علىٰ الحفظ وحسب، بل جمع بين المكتوب والمحفوظ زيادةً في التوثق. وهكذا جُمع القرآن بين دفتي كتاب تحت إشراف السادة الصحابة أبي بكر وعمر وكثيرين من أكابر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. وقد قرأ زيد علىٰ رسول الله في العام الذي توفي فيه مرتين، وسميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله وقرأها عليه، وشَهِدَ العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتىٰ مات.

المرحلة الثالثة لجمع القرآن في عهد سيدنا عثمان بن عفان ﵁.

(مقالة "جمع القرآن فىٰ عهد عثمان بن عفان" من كتاب أ. عبد الغفور السندي بموقع {قصة الإسلام} إشراف د. راغب السرجاني ٢٤ / ٣/ ٢٠١٥.)

يبدأ عهد عثمان بن عفان بعد استشهاد عمر رضي الله عنهما في غرة المحرم عام ٢٤هـ، حيث بويع بالخلافة بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاث ليال، وقد اتسعت الفتوحات في زمنه رضي الله عنه، وكثر العمران، وتفرق المسلمون في أرجاء البلاد الإسلامية وأقطارها، ونشأ جيل جديد، وطال عهد الناس بالرسول والوحي.

وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام، يأخذون بقراءة من اُشتهر بينهم من الصحابة، فكان أهل الشام يقرءون بقراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه، وأهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وغيرهم يقرءون بقراءة أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، (القراءة الناتجة عن الحفظ الشخصي لكل منهم) فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بصورة فتحت باب الشقاق والنزاع بين المسلمين في أمر القراءة، مع عدم وجود فيصل بينهم يطمئنون إلىٰ حكمه، ويصدرون جميعًا عن رأيه، واستفحل الداء حتىٰ خطَّأ بعضهم بعضًا، وكادت تكون فتنة في الأرض وفسادًا كبيرًا.

بواعث الجمع في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الباعث الأساس في جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه هو استدراك اختلاف القراء في وجوه قراءة القرآن الكريم وتخطئة بعضهم البعض، بل وصل الأمر -أحيانًا- إلىٰ تكفير بعضهم البعض، فأراد رضي الله عنه جمع الأمة علىٰ مصحف موحد مجمع عليه.

روىٰ الإمام البخاري عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدَّثه أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدِمَ علىٰ عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزَعَ حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقالَ حذيفة لعثمان: "يا أميرَ المؤمنين أدركْ هذه الأمةَ قبلَ أن يختلِفُوا في الكتابِ اختلافَ اليهودِ والنصارىٰ"، فأرْسَلَ عثمان إلىٰ حفصة رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخُها في المصاحفِ ثم نردُّها إليكِ، فأرسلتْ بها حفصة إلىٰ عثمان، فأمَرَ زيد بن ثابت وعبد

الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

لهذه الأسباب والأحداث، رأىٰ عثمان بثاقب رأيه، وصادق نظره، أن يتدارك الأمر، فجمع أعلام الصحابة وذوي البصر منهم، وأجال الرأي بينه وبينهم في علاج هذه الفتنة، فأجمعوا أمرهم علىٰ استنساخ مصاحف لإرسالها إلىٰ الأمصار، فيؤمر الناس باعتمادها، والتزام القراءة بما يوافقها، وبإحراق كل ما عداها، وتعتبر تلك المصاحف العثمانية الرسمية الأساس والمرجع المعتمد لحسم الخلاف وقطع النزاع والمراء، وتكونت هذه اللجنة من أربعة من السادة الصحابة وهم: زيد بن ثابت من الأنصار، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (الثلاثة من قريش)، وقال سيدنا عثمان: "مَنْ أكتب الناس؟"، قالوا: "كاتب رسول الله، زيد بن ثابت"، قال: "فأي الناس أعربُ؟"، قالوا: "سعيد بن العاص"، وكان سعيد بن العاص أشبه لهجة برسول الله، فقال عثمان: "فليُملِ سعيد وليكتب زيدٌ".

كيفية الجمع العثماني

أرسل عثمان إلىٰ أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها، فبعثت إليه بالصحف التي جمع القرآن فيها في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وتسلمت اللجنة هذه الصحف واعتبرتها المصدر الأساس في هذا الخطب الجلل، ثم أخذت في نسخها، حسب الدستور الذي وضعه لهم عثمان رضي الله عنه، حيث قال للقرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم".

مصير المصاحف والصحف المخالفة للمصاحف العثمانية

بعد أن تم نسخ المصاحف العثمانية بالكيفية التي أوضحناها سابقًا، أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسالها إلىٰ الأقطار الإسلامية الشهيرة، وأرسل مع كل مصحف مقرئًا من الذين توافق قراءته في أغلبها قراءة أهل ذلك القطر، وذلك لأن التلقي أساس في قراءة القرآن، وأمر أن يُحرق كل ما عداها من الصحف أو المصاحف الشخصية الموجودة لدىٰ الصحابة مما تخالفها، ليستأصل بذلك سبب الخلاف والنزاع بين المسلمين في قراءة كتاب الله، فاستجاب لذلك الصحابة رضي الله عنهم، فجُمعت المصاحف والصحف وحُرقت أو غُسلت بالماء.

عدد المصاحف العثمانية وإلىٰ أين أرسلت؟ الراجح أنها ستة، أُرسلت أربعة منها إلىٰ مكة، والشام والكوفة، والبصرة، وأُبقي واحد منها بالمدينة، ويسمىٰ: المدني العام، وأمسك عثمان واحدًا منها لنفسه، ويسمىٰ المدني الخاص، أو المصحف الإمام.

بهذا الحفظ النبوي التام، وهذا المجهود العظيم من السادة الصحابة، وهذا الأسلوب العلمي الدقيق، وهذه السرعة في العمل والإنجاز، حُفظ القرآن الكريم حفظًا كاملًا بكل طرق الحفظ، منذ اللحظة الأولىٰ لنزوله، حتىٰ وصل إلينا تامًا لم يستطع أي بشر أن يغير فيه حرفًا أو يُسقط منه كلمة، وصدق رب العزة إذ يقول: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾"، الحجر.

ثانيًا: جمع وتدوين السنة النبوية

مر الحديث بمراحل في تدوينه، بدأت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، حتىٰ استقرت في كتب المحدثين، وسوف نستعرض هذه المراحل:

المرحلة الأولى: عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام

كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يحرص حرصًا شديدًا وكاملًا علىٰ حفظ القرآن الكريم فقط، وكان يأمر الصحابة الكرام باستمرار بحذف كلِّ ما دوَّنوه عنه عدا الآيات القرآنية، خشية منه علىٰ أمته من التداخل والالتباس فيما بعد، عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ، فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"، رواه الإمام مسلم.

وعن عَبْد الرَّحْمَنِ بن زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: "مَا هَذَا تَكْتُبُونَ؟"، فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ: "أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللهِ؟"، فَقُلْنَا: مَا نَسْمَعُ، فَقَالَ: "أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِ اللهِ؟ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللهِ وأَخَلِّصُوهُ"، قَالَ: فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ؟، قَالَ: "نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ

النَّارِ"، مسند الإمام أحمد. إسناده ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد القرشي وهو ضعيف الحديث.

المرحلة الثانية: عهد الخلفاء الراشدين

بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام منع الخلفاءُ الثلاثةُ نقل حديثه عليه الصلاة والسلام وتدوينه، في تذكرة الحفَّاظ: «قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلَّب كثيرًا، قالت: فغمَّني، فقلتُ: أتتقلَّب لشكوىٰ، أو لشيءٍ بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أي بنيّة، هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرّقها، فقلتُ: لِمَ أحرقتها؟ قال: خشيتُ أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنتُه ووثقتُ [به] ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد نقلتُ ذاك».

ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافًا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه. (تذكرة الحفاظ، الطبقة الأولىٰ). "والحديث المرسل هو ما يرويه الصحابي عن النبي عليه الصلاة والسلام ولم يسمعه منه، إما لصغر سنه، أو تأخر إسلامه أو غيابه عن شهود ذلك".

ورویٰ حافظ المغرب ابن عبد البرّ، والبيهقيّ في «المدخل»، عن عروة: أنّ عمر أراد أن يكتب السنن، فاستفتىٰ أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهرًا، ثمّ أصبح يومًا

وقد عزم الله له، فقال: إنّي كنتُ أريد أن أكتب السنن، وإنّي ذكرتُ قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا، فأكبّوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدًا ـوفي رواية البيهقيّ: لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًاـ.

وعن يحيىٰ بن جعدة: أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة، ثمّ بدا له أن لا يكتبها، ثمّ كتب في الأمصار: مَنْ كان عنده شيء فليمحه.

ورویٰ ابنُ سعد «عن عبد الله بن العلاء، قال: سألتُ القاسم بن محمّد أن يملي عليّ أحاديث، فقال: إنّ الأحاديث كثرت علىٰ عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها، ثمّ قال: مثناة كمثناة أهل الكتاب، قال: فمنعني الناس يومئذٍ أن أكتب حديثًا». وتعني "مثناة كمثناة أهل الكتاب" أي يكون في ديننا كتابين كالتوراة والتلمود عند اليهود، فالتوراة هي كتابهم المقدس الذي يجب الأخذ بما فيه، بينما التلمود يتألف من الآراء الفقهية والتعاليم الدينية والأساطير والأمثال والمواعظ التي وضعها حاخامات اليهود علىٰ كتابهم السماوي، وهم يرون علو هذا التلمود علىٰ كتابهم المقدس.

وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، من كبار الصحابة الملازمين للنبي وكان يخشىٰ الحديث عن النبي، وجاء في "الطبقات الكبرىٰ" لابن سعد: وقف عثمان بن عفان علىٰ منبر، وقال: لا يحل لأحد أن يروي حديثًا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر، فإنه لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله ألا أكون من أوعىٰ أصحابه عنه، ألا إني سمعته يقول: "مَن قال عليّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار".

وترك كبار الصحابة أيضًا الحديث عن النبي، روىٰ البخاري عن السائب بن يزيد أنه صحب من كبار الصحابة ولم يسمعهم يحدثوا، قال: إلا أني سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد، وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: قال ابن بطال وغيره: كان كثير من كبار الصحابة لا يحدثون عن رسول الله خشية المزيد والنقصان. أما العسقلاني، فقال: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظًا كما أخذوا حفظًا.

ويقول محمد رشيد رضا عن الصحابة: لم يريدوا أن يجعلوا الأحاديث دينًا عامًا كالقرآن ولو فهموا عن النبي أنه يريد ذلك لكتبوا ولأمروا بالكتابة ولجمع الراشدون ما كُتب، وضبطوا ما وثقوا به، وأرسلوه إلىٰ عمالهم ليبلغوه ويعملوا به.

المرحلة الثالثة: عهد بني أميّة

نهج خلفاءُ بني أميّة نهجَ أسلافهم في منع تدوين الحديث النبويّ، واستمرّت سياسةُ المنع الرسميّ قائمةً حتّىٰ نهاية القرن الأوّل الهجريّ، وبالتحديد إلىٰ زمن عمر بن عبد العزيز الذي أمر بجمع الحديث وتدوينه رسميًّا، وأصدر أمره بذلك لابن حزم الأنصاريّ.

يقول السيوطيّ: وأمّا ابتداء تدوين الحديث فإنّه وقع في رأس المائة، في خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره.

قال مالك في (الموطّأ) رواية محمّد بن الحسن: «إنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلىٰ أبي بكر بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله، أو سننه، فاكتبه لي؛ فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، وأوصاه أن

يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاريّة ـوكانت تلميذة عائشة رضي الله عنهاـ والقاسم بن محمد بن أبي بكر»، وقد توفّي ابن عبد العزيز وقد كتب ابن حزم كتبًا ولم يبعث بها إليه بعد، ويبدو أنّه لمّا عاجلت المنيّة عمر بن عبد العزيز انصرف ابن حزم عن كتابة الحديث، وبخاصّة لمّا عزله يزيد بن عبد الملك عندما تولّىٰ بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ، وكذلك انصرف كلُّ مَنْ كانوا يكتبون مع أبي بكر، وفترت حركة التدوين، إلىٰ أن تولّىٰ هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ، فجدَّ في هذا الأمر ابن شهاب الزهريّ.

المرحلة الرابعة: عهد بني العبّاس

قال السكندريّ: «هبّ العلماء في العصر العباسيّ إلىٰ تهذيب ما كُتب في الصحف، وتدوين ما حُفظ في الصدور، ورتّبوه، وبوّبوه، وصنَّفوه كتبًا، وكان من أقوىٰ الأسباب في إقبال العلماء علىٰ التصنيف في هذا العصر حثّ الخليفة أبي جعفر المنصور عليه، وحمله الأئمّة الفقهاء علىٰ جمع الحديث، والفقه، «وهو الذي أشار علىٰ مالك بن أنس أن يضع كتاب «الموطّأ» في بعض الروايات»، وعلىٰ أيّ حال كان التدوين في هذا العصر يمزج الحديث بأقوال الصحابة، وفتاوىٰ التابعين ومَنْ بعدهم، كما قال ابن حجر، وظلّ علىٰ ذلك إلىٰ تمام المائتين.

المرحلة الخامسة: بعد المائتين

اتّخذت طريقة تدوين الحديث بعد القرن الثاني صورة أخرىٰ، تُعتبر متطوِّرة عمّا سبقتها، وذلك بإفرادها الحديث النبويّ خاصّة، دون أن

يلبسه شيئًا من فتاوىٰ الصحابة، أو غيرها، فصنَّف جماعةٌ في ذلك، ومن كتبهم:

1ـ جامع عبد الله بن وهب (١٩٧هـ).

2ـ مسند الطيالسي (٢٠٤هـ).

3ـ مسند عبيد الله بن موسىٰ العبسيّ الكوفيّ (٢١٣هـ).

4ـ مسند عبد الله بن الزبير الحميديّ (٢١٩هـ).

5ـ مسند مسدّد بن مسرهد (٢٢٨هـ).

6ـ مصنَّف ابن أبي شيبة (٢٣٥هـ).

7ـ مسند إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ).

8ـ مسند أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

9ـ مسند عبد الله بن عبد الرحمن الدارِميّ (٢٥٥هـ)

المسند يعني ما جمعه المؤلف حسب إسناده للصحابي، كمسند أحمد الذي أفرد فيه مرويات كل صحابي علىٰ حدة، وأما السُنن فهي الكتب التي ألفها المحدثون حسب الأبواب كسنن الترمذي وغيره، والمصنفات في عمومها هي المؤلفات، وفي اصطلاح المحدثين هي الكتب المرتبة علىٰ الأبواب الفقهية والمشتمل علىٰ الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، يعني فيها الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وفتاوىٰ التابعين وفتاوىٰ أتباع التابعين أحيانًا، ولئن كانت هذه المسانيد والمصنَّفات قد أُفردت للحديث النبويّ فقط، ولم تخلط

به أقوال الصحابة، ولكنّها كانت تجمع بين الصحيح والضعيف والموضوع من الحديث.

واستمرّ التأليف علىٰ هذا النمط إلىٰ أن ظهرت طبقة البخاري، فدخل التدوين حينئذٍ مرحلة جديدة، وخطا خطوة نحو الأمام، ويمكن أن نسمِّي هذا الدور "دور التنقيح والاختيار"، حيث تم الاعتماد في معرفة الصحيح من الموضوع علىٰ الثقة في الرواة، من خلال علم الرجال أو علم الجرح والتعديل.

وفي هذه الفترة أُلّفت عند الجمهور الكتب الستّة، المعروفة باسم الصحاح الستّة، وهي:

١) صحيح البخاريّ، تأليف محمّد بن إسماعيل (٢٥٦هـ).

٢) صحيح مسلم، تأليف مسلم بن الحجّاج النيسابوريّ (٢٦١هـ).

٣) سنن ابن ماجه، تأليف محمّد بن يزيد القزوينيّ (٢٧٣هـ).

٤) سنن أبي داود، تأليف سليمان بن الأشعث السجستانيّ (٢٧٥هـ).

٥) سنن الترمذيّ، تأليف محمّد بن عيسىٰ الترمذيّ (٢٧٩هـ).

٦) سنن النسائيّ، تأليف أحمد بن شعيب النسائيّ (٣٠٣هـ).

وبعضهم يستبدل الأخير بـ «سنن الدارِميّ»، تأليف عبد الله بن عبد الرحمن (٢٥٥ه).

وخلاصة القول أن التدوين "الرسميّ" لأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، لم ينشأ إلا في القرن الثاني للهجرة في أواخر عهد بني

أميّة، وأنه لم يتّخذ طريقًا واحدًا، بل تقلَّب في أطوار مختلفة، فكان في أوّل أمره جمعًا من رواية الرواة ممّا وعت الذاكرة من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك في صحف لا يضمّها مصنَّف جامع مبوَّب، وهذا هو «الطور الأوّل» من التدوين، ولم يصل إلينا منه شيء في كتاب خاص جامع.

ثمَّ أخذ التدوين «طوره الثاني» في عصر العبّاسيّين، فهذَّب العلماء ما في هذه الصحف ورتَّبوه، بعد أن ضمّوا إليه ما زادته الرواية في هذا العصر، وصنَّفوا من كل ذلك كتبًا، قصروها علىٰ الحديث وما يتّصل به، من أقوال الصحابة وفتاوىٰ التابعين، ولم يُدخلوا فيها أدبًا ولا شعرًا.

وظلَّ التأليف يجري علىٰ هذه السنن إلىٰ آخر المائة الثانية، ولم يصل إلينا من الكتب المبوَّبة في هذا الطور إلاّ موطّأ مالك رحمه الله.

وبعد المائة الثانية أخذ التدوين يسير في طريق أخرىٰ، دخل بها في «الطور الثالث»، فأنشأ العلماء يفردون كل ما رُوي من الأحاديث في عهدهم بالتدوين، وصنِّفت في ذلك مسانيد كثيرة، أشهرها: «مسند أحمد»، وهو لا يزال موجودًا بيننا، ولقد كانت هذه المسانيد تحمل الأحاديث الصحيحة والموضوعة.

وجرىٰ العمل علىٰ هذا النهج حتّىٰ ظهر البخاريّ وطبقته، فانتقل التدوين إلىٰ «الطور الرابع»، وهو طور «التنقيح والاختيار»، فوضعوا كتبًا مختصرة في الحديث، اختاروا فيها ما رأوا أنّه من صحيح السند علىٰ طريقتهم في البحث، كما فعل البخاريّ، ومسلم، ومن تبعهما.

وبهذا يخلص لك أنّ التدوين المعتمد لدىٰ الجمهور لم يقع إلا حوالي منتصف القرن الثالث إلىٰ القرن الرابع.

بهذا العرض المختصر لمراحل تدوين القرآن الكريم والسنة النبوية، نرىٰ الفرق الهائل بين المراحل التي مرت به كلٌ منهما، إن القرآن الكريم دُوِّن منذ اللحظة الأولىٰ التي نزل فيها، وتم جمعه مكتوبًا في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم جُمع مرة أخرىٰ بمنهج علمي صارم، ثم مرة ثالثة بنفس المنهج العلمي المحكم، الذي ضمن لنا القرآن الكريم بلا تغيير ولا تبديل إلىٰ يومنا هذا.

أما تدوين السنة النبوية، فقد تقلب تدوينها من المنع التام الرسمىٰ من قبل الحاكم، إلىٰ بعض المحاولات الفردية لتدوينها، حتىٰ سُمح بتدوينها بعد أكثر من مائة عام من وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، فسمح ذلك بدخول مئات آلاف الأحاديث الموضوعة علىٰ الأحاديث الصحيحة، إن اللجنة الأولىٰ التىٰ تكونت من السادة الصحابة، قد جمعت القرآن بمنهج علمي دقيق من علىٰ ألسنة عدد كبير من الصحابة، فأصبح القرآن الكريم متواتراً من أول لحظة فىٰ تدوينه، وثبت كتابةً ونطقـًا منذ جمعه وكتابته إلىٰ الآن، بينما تدوين الأحاديث تم بعد مرور أكثر من مائة سنة وبصورة فيها الكثير من الاختلاف، ويؤكد كل هذا الكلام، وجود مرجعية ومخطوطة للقرآن الكريم يمكن الرجوع لها دائمـًا، أما فىٰ الأحاديث فلا توجد لها هذه المخطوطة التىٰ يمكننا القياس عليها.

وقد أرَّخ العلماء بداية الوضع للأحاديث والكذب علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام بالفتنة التي أدت لمقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، فقد كانت سنة ٤٠ ه هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع، وبين اتخاذ الكذب علىٰ رسول الله طريقًا للوصول للحكم وتحقيق المصالح.

لقد اتخذت الخلافات بين سيدنا علي ومعاوية شكلًا عسكريًا، تمت فيه المواجهات بين طرفين متحاربين، سالت فيه الدماء، وانقسم المسلمون لفرق وطوائف متقاتلة، جمهور من المسلمين مع سيدنا علي، والبقية مع معاوية، والخوارج منقسمون علىٰ علي ومعاوية، بعد أن كانوا من الشيعة المتحمسين له ولآل بيته، وفريق منهم أخذوا بعد مقتل سيدنا علي يطالبون بحقهم في الخلافة، ورفعوا لواء العصيان علىٰ الحكم الأموي، وللأسف اتخذت هذه الخلافات التي هي في حقيقتها خلافات سياسية، مظهرًا دينيًا، ولما استعصىٰ عليهم وضع ما يريدون من تأييد لهم بالقرآن الكريم، عمدت كل طائفة وكل جماعة وكل فرقة، إلىٰ وضع الأحاديث التي تؤيد موقفهم، وبدأ الكذب علىٰ رسول الله تتسع دائرته وتتضخم مع كل ظهور لفرقة جديدة، وكل ظهور لشخصية يريدون تأييدها، واختلط الصحيح بالموضوع.



الباب الثاني

أسباب الوضع ومصادره

وضع العلماء أسبابًا عديدة للوضع عبر السنين، يقول د. صلاح الإدلبي في كتابه القيم "منهج نقد المتن" فى مقدمة بابه الأول ـ والذي أنصح بشدة بقراءته لمن هو مهتم بدينه لما فيه من العلم والفوائد التي يصعب حصرها في هذا البحث ـ يقول: "قد يبدو لأول وهلة أن نقد الإسناد كاف للتأكد من صحة الرواية، إذ رواية الثقة عن الثقة، من أول الإسناد إلىٰ آخره، ليس معناه إلا أننا نثق بصحة ما يرويه هؤلاء الرواة، وإلا لما كان لتوثيقهم معنىٰ، وهذا النوع من النقد كاف مبدئيًا، إلا أنه بعد دراسة عصر الرواية، الذي كانت تنتقل فيه الروايات عبر سلاسل الرواة، إلىٰ أن وصلت إلىٰ أصحاب المصنفات، فإن الباحث يجد أمامه ظاهرتين خطيرتين، ظهرتا وانتشرتا في وقت مبكر من عصر الرواية، هما ظاهرة الوضع وظاهرة الوهم.

وإذا كانت الموضوعات قد انتشرت وذاعت، وتداولها بعض الرواة، حتىٰ أهل الصلاح والخير، بعضهم عن قصد، وكثير منهم عن غير قصد، فإن احتمال تسرب شيء منها إلىٰ الروايات الموثقة، يصبح أمرًا واردًا كلما طالت الحلقات في سلسلة الإسناد، لهذا كان لا بد من اعتماد نوع آخر من النقد، هو نقد المتن، كي يتعاون النوعان من أجل التمييز بين الحديث الثابت الذي يستحق القبول، وبين الحديث غير الثابت الذي يستحق الرد، وهذا هو الغاية الأولىٰ من علوم الحديث".

ولكي نعرف مدىٰ أهمية البحث في صحة المتون، نتعرف علىٰ ما قاله د. صلاح الإدلبي في كتابه مما مر به المتن من ظروف كثيرة أدت إلىٰ كثرة الكذابين علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فنتيجة لعدم تدوين أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام في كتاب محفوظ كما حدث للقرآن الكريم، فقد مرت الأحاديث بظروف كثيرة أدت إلىٰ انتشار الوضاعين لأحاديث علىٰ لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يقلها، وكان ذلك لعدة أسباب نلخصها (مع بعض التصرف) كما ذكرها د. صلاح الإدلبي في فیٰ بابه الأول بكتابه.

أولًا: أسباب الوضع وقد قسمه إلى فرعين

الأول: الوضع المتعمد لأسباب مقصودة.

أي عملية وضع واسعة متعمدة لإدخال معانٍ وأفهام في السنة ليست من الدين، وقد قال ابن عقيل عن شيخه أبي الفضل الهمداني المتوفي ٦٣٦ه: "مبتدعة الإسلام والكذابون والواضعون للحديث أشد من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلدٍ سعوا في فساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين من خارج، والدخلاء من الوضاعين يفتحون الحصن، فهم أشرّ علىٰ الإسلام من غير الملابسين له".

وأسباب هذا الوضع المتعمد:

١) **تشويه الإسلام**: قام به أعداء الدين من الحاقدين كالزنادقة واليهود وأمثالهم، وكانوا يضعون لأقوالهم سندًا وينسبوها لرسول الله عليه الصلاة والسلام رغبة منهم في إفساد العقائد وتشويه الدين في عقول المسلمين، فقد أدركوا أن قوة الإسلام في قرآنه وأنها لا تُقاوم، فلجأوا إلىٰ وضع الأحاديث التي تُنفّر الناس من الإسلام، وتُشكك المسلمين بدينهم.

٢) **خدمة الأغراض السياسية والانقسامات الداخلية:** هذا السبب بدأ منذ زمن الفتنة الكبرىٰ المؤلمة، التي بدأت من مقتل سيدنا عثمان، ثم امتدت للحرب التي كانت بين سيدنا علي ومعاوية، التمس كل طرف مناوأة خصومه بوضع الأحاديث التي تؤيدهم وحزبهم، وكما ذكرنا، يعتبر الباحثون أن سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع، وبين التزيد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض السياسية.

٣) **الانتصار للمذهب:** سواء كان مذهبًا سياسيًا مثل الشيعة، أو مذهبًا فقهيًا مثل المذاهب الأربعة، أو مذهبًا جغرافيًا مثل وضع الأحاديث في فضل البلاد. وقد أدَّت الخلافات المذهبية إلىٰ وضع الأحاديث، فالرافضة (الشيعة الاثنا عشرية) عُرف عنهم أنهم كانوا أكذب الناس، حتىٰ أن رجلًا منهم تاب فقال: كُنّا إذا اجتمعنا فاستحسنّا شيئًا جعلناه حديثًا.

وقد سُئل الإمام مالك عن الرافضة فقال: لا تُكلّمهم، ولا تروِ عنهم، فإنهم يكذبون.

وقال الشافعي: ما رأيت في أهل الأهواء قومًا أشهد بالزور من الرافضة.

وقال شريك بن عبد الله: الرافضة يضعون الحديث ويتّخذونه دِينًا.

بينما نجد أن الخوارج يتورّعون عن الكذب، بناء علىٰ ما يذهبون إليه من تكفير مرتكب الكبيرة.

ثم ظهرت الفرق والمذاهب، وكلٌّ يجعل له ما شاء من أحاديث ويضعها نُصرة لمذهبه، حتىٰ وضع مُتعصّبة الأحناف حديثا في ذم الإمام الشافعي – رحمه الله – نصّه: "يكون في أمتي رجل يُقال له محمد بن إدريس أشد علىٰ الناس من إبليس"!، وهكذا في الأغلب الأعم للفرق والطوائف والمذاهب.

٤) **تحقيق المصالح الدنيوية لبعض رجال الدين**: حيث وضع بعض رجال الدين الأحاديث التي تعجب الحكام وتحقق مصالحهم حتىٰ ينالوا رضاهم لما يسمعوا منهم قولًا يؤيد رغباتهم، حتىٰ في أتفه الأمور، مثلما أخبر ابن الجوزي أنه جيء إلىٰ المهدي بعشرة محدثين، فيهم غياث بن إبراهيم، وكان المهدي يحب الحمام، فقيل لغياث حدث أمير المؤمنين، فحدثه بحديث أبي هريرة: "لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل" فزاد عليها ليرضي المهدي "أو جناح" فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم، وهكذا، كلما زادت حاجة الوضاعين للأموال والمزايا، زادت شهيتهم في وضع الأحاديث التي تخدم أغراضهم.

٥) **إشباع الأهواء والرغبات الشخصية**: مثل ما حدث في القصة التالية، أخرج الحاكم عن سيف بن عمر التميمي أنه قال: كنا عند سعد بن طريف، فجاء ابنه من الكُتاب يبكي، فقال له: مالك؟ قال: ضربني المعلم، فقال سعد: لأخزينهم اليوم، فأنشأ هذا السند بهذا الحديث في الحال، يقول: حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: "معلموا صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم علىٰ المساكين".

ومثل حديث: "الهريسة تشد الظهر" فإن واضعه محمد بن الحجاج النخعي كان يبيع الهريسة.

٦) **تجميع الناس حول الراوي**: ويدخل هذا في الأغراض الدنيوية، إذ يُعجب الراوي ويزهو بنفسه، عندما يرىٰ الناس مجتمعين حوله، منصتين إلىٰ كلامه، فيريد زيادة هذا الأمر بالإتيان بالأحاديث الغريبة التي لا يرويها غيره ليثبت تفرده واستحقاقه بالمكانة الخاصة عند العامة، فكان يضع الأحاديث الغريبة ذات الوصف الدقيق والتي تمتد صفحات، وتلك التي تمتلئ بالقصص الخيالية والحكم الهندية والفلسفات المختلفة والقصص الإسرائيلية والمواعظ النصرانية. (كما كان جمهور الحاضرين من الرجال فقدموا لهم ما يشبع أهواءهم من أنهم كذكور هم الأفضل عند الله، وأن النساء في درجة أقل، وبالتالي منحوهم حقوقًا ليست لهم وحرموا النساء من حقوقهن، ووضعوا علىٰ الأعمال البسيطة ثوابًا عظيمًا وخدموا أهواء زبائنهم تمامًا حتىٰ يحصلوا علىٰ إعجابهم وحضورهم).

٧) **الترغيب والترهيب**: قام وضاعون صالحون بأخذ كلام حسن وضعوا له إسنادًا ونسبوه لرسول الله عليه الصلاة والسلام، ظنًا منهم أنهم يكذبون له ولا يكذبون عليه، وروىٰ مسلم في أن أبا جعفر الهاشمي المدني كان يضع أحاديث كلام حق، وليست من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ويرويها علىٰ أنها من أحاديثه. كذلك لما وجد الوعاظ انصراف المسلمين عن حضور دروس العلم وعن العبادة، وضعوا لهم أحاديث في فضائل السور، وقد اعترف أحد

الوضاعين وهو ميسرة بن عبد ربه أنه وضع أحاديث في فضائل سور القرآن، ولما سُئل عن ذلك قال: رأيت الناس انصرفوا عن القرآن فوضعتها أرغِّب الناس فيه، ومثله نوح بن أبي مريم قال إنه وضعها ليحبب الناس في الدين والعبادة، وهؤلاء أفسدوا عقول العامة وشوَّهوا حقيقة الدين في أذهان الناس، وجعلوا الثواب الذي اشترط الله تعالىٰ له العلم والعمل، جعلوا تحصيله بقراءة السورة الفلانية أو قول تسبيح معين أو صلاة معينة علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام والوصول بذلك لأعلىٰ الدرجات.

الثاني: الوضع غير المتعمد:

وقد لخصه الكاتب في سببين:

الأول: وقوع الوهم أو الغلط من الراوي (أخطاء بشرية) فقد يقع الراوي رغم أمانته وورعه في أن ينسب لرسول الله عليه الصلاة والسلام قول قاله أحد الصحابة، أو خطأ في سماع ما قاله.

الثاني: الدس في كتاب الراوي وهو لا يعلم، وكمثال علىٰ ذلك المكر الخبيث، أن عبد الله بن صالح، وكان كاتبًا لليث بن سعد (وهو إمام في الحديث والفقه، من أقران الإمام مالك بن أنس، وكانت بينه وبينه مكاتبات في مسائل من العلم) وقد وقعت في رواياته مناكير، والسبب في ذلك أنه كان له جار رجل سوء وكان بينهما عداوة، وكان هذا الرجل يضع الأحاديث ويكتبها بخط يشبه خط عبد الله بن صالح ثم يلقيها في داره بين كتبه، فيتوهم أنه خطها فيُحدث بها.

وحدث مثل هذا مع محدثين آخرين مثل: حماد بن سلمة، عبد الله بن ربيعة، وسفيان بن وكيع.. وغيرهم.

ويرىٰ المؤلف أن أسباب انتشار الوضع في هذه العصور كان بسبب أن الناس كانوا لا يُقبلون علىٰ علم ولا قول إلا أن يكون منسوبًا للكتاب والسنة، ولأن كتاب الله محفوظًا، فقد وجدوا في السنة بابًا مفتوحًا للوضع فيها، فاتخذت الأحكام الفقهية والحكم الهندية والفلسفات المعاصرة والقصص الإسرائيلية والمواعظ النصرانية، صورة الأحاديث النبوية، كي يُقبل عليها الناس ويتقبلونها.

ثانيًا: مصادر الأحاديث الموضوعة

١) **المصدر الذاتي**: كان يحلو لكثيرين من الوضاعين أن يطلقوا لأنفسهم أعنة الخيال، ويأتوا بكلام شبه الهذيان وينسبوه لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا الكلام من تلقاء أنفسهم من تأليفهم وإخراجهم، وهذا هو الغالب في الوضع وخاصة عند من يريدون تشويه الإسلام أو الانتصار للمذهب أو التوصل للأغراض الدنيوية.

٢) **أقوال الصحابة والتابعين**: كثيرًا ما يُروىٰ قول علىٰ أنه من كلام بعض الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين، فتجيء رواية أخرىٰ تحكية من قول النبي عليه الصلاة والسلام، وغالبًا تكون سند الرواية التي ينسب فيها القول لرسول الله عليه الصلاة والسلام ضعيفًا أو واهيًا، مثل القول المشهور: "حب الدنيا رأس كل خطيئة" نُسب في بعض الكتب لسيدنا عيسىٰ ابن مريم، وفي أخرىٰ للتابعي مالك بن دينار، و"ادرؤا الحدود بالشبهات" أُسند في بعض الكتب لعبد الله بن مسعود،

و"ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن" أيضًا من قول ابن مسعود.. وهكذا.

٣) **أقوال الحكماء والزهاد والأطباء والفلاسفة:** مثل القول المشهور"المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء"، بالرغم من أنه قول صحيح طبيًا إلا أن الرسول لم يقله، بل قاله طبيب، و"كفىٰ بالموت واعظًا" قاله بعض الزهاد، و"من عرف نفسه فقد عرف ربه" قول لحكيم.

٤) **الإسرائيليات**: تسربت بعض الأقوال من التوراة والتلمود والإنجيل إلىٰ بعض المحدثين عن طريق الوضاع والكذابين، وأيضًا عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا حيث كانوا يحدثون المسلمين بما في كتبهم، فنسبها القصاصون وأصحاب المجالس إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، كي يهتم الناس بحضور مجالسهم ويصدقونهم، فنجد التشبيهات والقصص اليهودية أدخلت علىٰ السنة مما لا يشبه كلام الرسول عليه الصلاة والسلام.

٥) **الخرافات والأوهام:** التي توجد بالقصص الشعبية والثقافة الاجتماعية.

لكن من أين لنا بهذه المعلومات؟ من قَسَّم هذه الأقسام واستخرج هذه الأحكام؟ إنهم علماء الأمة الإسلامية الذين سارعوا بالبحث والتحري من أجل الحفاظ علىٰ السنة النبوية من اعتداء الوضاعين والكذابين والمتوهمين، فإذا بحثنا في بعض الأحاديث ووجدناها غير صحيحة،

فهذا لا ينسحب علىٰ السنة النبوية كلها بالطبع، فالإنكار ليس للسنة النبوية الشريفة، والشك ليس فيما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام، لكن الهدف الوصول لما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام حقًا، فإن كان قد قال فقد صدق، لكن الإنكار والشك فيمن بلغ حتىٰ وصل إلينا، فالبحث هل قال رسول الله حقًا هذا الحديث، أم أُدخل عليه ولم يقله.

لذلك كان البحث في صحة المتن وإيجاد معايير للحكم علىٰ صحته في غاية الأهمية، والبحث في صحة المتن لا يبدأ فيه الباحث إلا بعد أن يجتهد علماء الحديث ويثبتوا صحة السند، لأنه لا معنىٰ للبحث في صحة المتن إذا كان السند أصلًا واهيًا أو موضوعًا، مثلًا القول: (شاوروهن وخالفوهن فإن في خلافهن بركة) هذا لا داعي للبحث في المتن لمعرفة صحته من فساده، لأن العلماء أثبتوا أنه باطل لا أصل له، بالرغم من أن واضعه وضع له سندًا إلىٰ صحابي، فمنهم من يسند كذبه إلىٰ السادة الصحابة مثل جابر، وأبي سعيد الخدري، وابن عباس، وآخرون يسندونه للسيدة عائشة، وآخرون لسيدنا أبي هريرة... وهكذا.

وإذا كان في البحث في صحة الإسناد مئات الكتب، فلم أجد من المعاصرين من ألف كتابـًا متخصصـًا فىٰ منهج نقد المتن سوىٰ كتاب (منهج نقد المتن) للدكتور صلاح الدين الإدلبي، إن نقد المتن موجود داخل كتب كثيرة، لكنه لم يتطور لأن يكون علمًا قائمًا بذاته، فلم يقم العلماء بخدمته كما خدموا نقد السند، وسبب ذلك كما يقول د. صلاح الإدلبي: "ذلك لاحتمال خوف العلماء من أن يُخرجوا من الحديث ما

هو من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام"، ويقول لكن ألا يجب أن نخاف أشد الخوف من أن ندخل في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ما ليس منه، وخاصة أن هذا الأمر يترتب عليه إضفاء قدسية علىٰ أحكام ليست من الدين، وإدخال أفهام ومعانٍ في الدين تغير من رسالته وتغير من عقائد الناس وعباداتهم، ود. الإدلبي يرىٰ أنه حتىٰ لو أدىٰ البحث إلىٰ إخراج بعض الأحاديث عن نطاق الصحة، ولو كانت مما قالها رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن ذلك أهون من إدخال ما ليس منها فيها.

لذلك فإن الدفاع عن السنة النبوية المطهرة يكون بأمرين مهمين يكمل أحدهما الآخر:

١) حفظها ودراستها والدفاع عن صحيحها والعمل بما جاء بها.

٢) استخراج ما قد يكون وُضع علىٰ لسان رسول الله وهو لم يقله، لأن الأغلب الأعم فيه أنه فاسد مفسد، لا يحقق سوىٰ أهواء من وضعوه.

وكلا الأمرين لا يقل أهمية عن الآخر، فلو سرنا في الطريق الأول فقط دون الثاني، فحفظنا الأحاديث، ودافعنا عن صحتها دون عرضها علىٰ معايير الصحة، سنجد أنفسنا ندافع عن أقوال غير معقولة ومعاكسة لمبادئ الدين ومُفسدة للمجتمع، لكن قد نجد الكثير ممن يتكلمون في نقد المتن، وقد لا نرتاح لبعضهم أو نرىٰ أن كلامهم يؤدي إلىٰ البلبلة والشك في السنة النبوية، لذلك لا بد أن يكون لدينا معيار للحكم علىٰ

من نسمعه ونأخذ منه، ومن نرفض حديثه ونرىٰ أنه لا يريد الخير، ولذلك معياران:

١) عندما يتم رفض المتن بلا أي دليل سوىٰ الهوىٰ، مثل من يقول: "الحديث دا مش منطقي، أو دا نزل في ناس عايشين في الصحراء واحنا في الحضر، فهو يخصهم ولا يخصنا"، وهكذا حيث يتم إلقاء التهم علىٰ الأحاديث بلا دليل علمي ولا بحث ولا دراسة.

٢) عندما يكون الهدف من وراء إلقاء التهم ورفض الأحاديث، إبعاد الناس عن السنة النبوية الشريفة وعن الدين.

أما متىٰ يكون البحث في متون الأحاديث ورفض الأقوال الكاذبة التي وُضعت علىٰ لسان رسول الله مقبولًا ومُرحبًا به عندما:

١) يصدر بعد بحث ووضع معايير واضحة يتم القياس عليها دون تدخل الأهواء والعصبيات.

٢) عندما يكون الهدف تبيان صحيح السنة التي توضح روعة الدين والدعوة إلىٰ اتباعه بفهم وحب واقتناع.

إن قبول الأحاديث المكذوبة يدخل في الدين ما ليس فيه، ورد الأحاديث الصحيحة يخرج من الدين ما هو منه، ولا شك أن كليهما مرفوض ومذموم، لذلك لابد من البحث الدائم عن صحة الأحاديث وصحة نسبتها لرسول الله عليه الصلاة والسلام، حتىٰ نحفظ للدين قواعده وأفهامه وقوانينه. لذلك وضع العلماء معايير للبحث في المتن، أي نقاط معينة يتم عرض المتن عليها، فإن حققها بنجاح مع صحة

السند، فهو قول رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإن لم يحقق إحداها، فهذا كلام منسوب لرسول الله كذبًا وزورًا.

إن تحقيق الأحاديث واستخراج ما هو مناقض للقرآن الكريم ولسنة رسول الله الصحيحة، يرفع الإيمان، وتتضح به رؤية المسلم، ويستنير قلبه وعقله.

مثال علىٰ ذلك: أخبرنا الله تعالىٰ أنه هو العدل، وأصبح اليقين بهذا المعنىٰ من الدين، وهذا المعنىٰ لا بد أن نجده في كل آية بكتاب الله تعالىٰ، وفي كل حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فالآيات والأحاديث التي تحمل هذا المعنىٰ تخطو بنا خطوة للأمام في زيادة اليقين والإيمان، فإذا وجدنا حديثًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام يعني أن الله تعالىٰ ليس بعادل، فهذا يمثل عقبة في طريق الإيمان، وبدلًا من أن يؤدي الحديث إلىٰ زيادة الإيمان واليقين، فإنه يؤدي إلىٰ:

١) إما أن يضطر المسلم إلىٰ قبول أمر غير معقول، وهو أن يؤمن بالصفة وعكسها في نفس الوقت، فيؤدي هذا إلىٰ اضطراب فكرته عن الله تعالىٰ، وإلىٰ عدم قدرته علىٰ التعامل مع الله تعالىٰ علىٰ أنه العدل المطلق، فيعتقد بداخله أن الله تعالىٰ لديه بعض الظلم.

٢) وإما أن يتجاهل الأحاديث كلها، بينما الأحاديث الصحيحة هي دين لا يجب تجاهله، ولا بد من اتباع ما فيها من أحكام.

٣) أو تؤدي إلىٰ تراجع دينه وبعده عن هذا الدين المتناقض وخاصة من جانب النساء، حيث تطلب منها هذه الأحاديث الإيمان بالصفة

وعكسها، فمثلًا يؤكد العلماء أن الإسلام قد كرَّم المرأة أيما تكريم، وهذا حقيقي، ثم ترىٰ أحاديث لا معنىٰ لها سوىٰ إهانة المرأة والحط من شأنها!

لذلك فإن تنقية الأحاديث من الموضوع المكذوب علىٰ رسول الله واجب علىٰ كل مسلم يمكنه القيام بذلك.






الباب الثالث

شروط صحة السند والمتن وأمثلة لتحقق شروط صحة المتن.

المثال الأول: إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْض بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ

المثال الثاني: إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَس، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّار

المثال الثالث: فَقَالَ رَسُولُ للَّه لعَلِيٍّ اذْهَبْ فَاضْربْ عُنُقَهُ

المثال الرابع: يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، الْمَرْأَةُ، وَالْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ

المثال الخامس: الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّار




كما أوضحنا من قبل أن صحة نسبة الحديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام أو رفعه إليه تتوقف علىٰ صحة السند وصحة المتن، وسنقدم الشروط التي وضعها العلماء لصحة كل منهما:

شروط صحة السند:

١) اتصال السند، بمعنىٰ أن يكون كل راوٍ سمع ممن فوقه من الرواة مباشرة دون واسطة.

٢) عدالة الرواة، وهو أن يكون الراوي ممن يُعرف بالدين والتقىٰ والصلاح والصدق.

٣) حفظ الرواة، وهو أن يكون الراوي حافظًا لحديثه جيدًا.

٤) خلو الحديث من الشذوذ، وهو مخالفة الراوي لمن هو أحفظ منه أو أكثر منه عددًا.

٥) خلو الحديث من العلة القادحة، وهي سبب خفي في الحديث لا يعرفه إلا الحفاظ من الرواة.

شروط صحة المتن:

١/ ألا يخالف ما جاء بالقرآن الكريم من أحكام وقوانين وصفات لله تعالىٰ ولرسوله.

٢/ ألا يخالف ما ورد من متواتر السنة القولية والسنة العملية الصحيحة، ولحديث الراوي الأصح.

٣/ ألا يخالف القواعد العامة للإسلام.

٤/ ألا يخالف ما هو معروف من صفات حديث الرسول عليه الصلاة والسلام من قلة الكلمات وفصاحة اللغة والتكلم فيما فيه الفائدة وفي معالي الأمور.

٥/ ألا يكون الرسول قد أخبر عن أمر وقع في مشهد عظيم، ثم ينقله واحد فقط مثل خطبة حجة الوداع.

٦/ ألا يخالف مقصدًا من مقاصد الشريعة.

٧/ ألا يخالف قواعد البديهيات العقلية والمنطق السليم والحس الأخلاقي.

٨/ ألا يخالف الحقائق التاريخية المعروفة أيام الرسول والصحابة.

٩/ ألا يوافق مذهب الراوي وهواه.

١٠/ أن يكون معبراً عن حق وبوضوح وبساطة، عن عدالة الإسلام ورحمته، وعظيم خلق رسول الله عليه الصلاة والسلام.

هذه الشروط جمعتها مما وضعه بعض الباحثين والمهتمين بأمر دينهم، وهي في مجموعها متوافقة مع أركان الإيمان ومع الفطرة الإنسانية السليمة، ومنطقية ومناسبة لقواعد الدين التي يعتقدها كل مؤمن، ومؤكدة علىٰ مكانة رسول الله عليه الصلاة والسلام وعظيم أخلاقه وصفاته، ويستطيع أي مسلم تعلم دينه، وعلم صفات ربه وصفات رسوله، أن يرىٰ أنها متوافقة مع القواعد العامة للدين الإسلامي ولا بد من تحققها لقبول الحديث.

وسوف نتعرف علىٰ كيفية تطبيق هذه المعايير من خلال أمثلة ساقها لنا السادة الصحابة والعلماء في تعاملهم مع الأحاديث.

أول معايير هي المعايير التي وضعتها سيدتنا وحبيبتنا وحبيبة رسولنا الكريم.. السيدة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، التي امتازت بالذكاء والفهم، وكثرة الرواية، وكانت تفسر حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وهي بين يديه، وكانت حريصة علىٰ تفهم معاني الكتاب والسنة، ومقابلة الكتاب بالسنة، وكانت تبادر بالسؤال عما لم يظهر لها، وكان رسول الله يشرح لها وتتلقىٰ منه الفهم الصحيح، ومع ملازمتها لرسول الله وحبه لها وصغر سنها وتفرغها، نمت لديها القوة العقلية العلمية والنظرة الصائبة لمفاهيم الدين.

المثال الأول لتطبيق شروط صحة المتن

أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: **لَمَّا أَنْ أُصِيبَ عُمَرُ، دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي، يَقُولُ: وَا أَخَاهْ وَا صَاحِبَاهْ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا صُهَيْبُ أَتَبْكِي عَلَيَّ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ". فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَرْحَمُ اللهُ عُمَرَ، لَا وَاللهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَحَدٍ، وَلَكِنْ قَالَ: "إِنَّ اللهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ الْقُرْآنُ (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)"**، رواه البخاري.

وفي رواية أخرىٰ للبخاري "عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَفَعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام: إِنَّ

الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، فَقَالَتْ: وَهَلَ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: **"إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ"**. قَالَتْ: وَذَاكَ مِثْلُ قَوْلِهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَامَ عَلَىٰ الْقَلِيبِ وَفِيهِ قَتْلَىٰ بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لَهُمْ مَا قَالَ: "إِنَّهُمْ لَيَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ"، إِنَّمَا قَالَ: **"إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ"** ثُمَّ قَرَأَتْ "إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ"، "وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ" يَقُولُ: حِينَ تَبَوَّءُوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ".

وفي رواية بمسند أحمد بن حنبل: لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ قَوْلُ عُمَرَ، وَابْنِ عُمَرَ، قَالَتْ: "إِنَّكُمْ لَتُحَدِّثُونِّي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ وَلَا مُكَذَّبَيْنِ وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخْطِئُ" يعني أنها تنفي شبهة تعمد الكذب علىٰ رسول الله عن عمر وابنه، لكنهم بشر، والخطأ وارد علىٰ السمع، فهو خطأ بشري محتمل، لماذا قالت ذلك وحكمت بهذا الحكم؟ لأنها عرضت كلامهم علىٰ كتاب الله فلم يتوافق معه.

إذاً نقض السيدة عائشة لمتن هذا الحديث جاء لعدة أسباب:

١) خالف متن هذا الحديث صريح القرآن الكريم، فالله تعالىٰ في قرآنه حكم بأن لكل نفس ما كسبت، (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) فوزر الإنسان لا يقع بأي حال علىٰ آخر، وبناءً علىٰ حكم الله تعالىٰ، فيستحيل أن يذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام حكمًا مخالفًا لما جاء به من كلام الله.

كذلك ذكرت مخالفة ما ذكروه عن حديث كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام مع الموتىٰ، وقولهم أنه قال: َعنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، قَالَ: "اطَّلَعَ النَّبِيُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْقَلِيبِ، فَقَالَ: وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ" رواه البخاريٰ. هذه الرواية قيلت بعد غزوة بدر حيث قُتل نحو خمسة وعشرين رجلًا من الكفار، فأمر رسول الله بحفر حفرة ووضعهم بها، ثم قيل إنه تكلم معهم وقال: وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا، فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ. هنا السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنكرت هذا المتن وأن رسول الله كلم الموتىٰ، استنادًا لقول الله تعالىٰ بالقرآن الكريم الذي هو المرجعية الأولىٰ لصحة المتن، قالت: إِنَّمَا قَالَ: "إِنَّهُمُ الْآنَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ حَقٌّ"، ثُمَّ قَرَأَتْ "إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ"، "وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ".

هكذا بمنتهىٰ الوضوح والمباشرة، حكمت السيدة عائشة علىٰ صحة المتن من خلال مبدأ عدم التعارض مع آيات القرآن الكريم، فلما وجدته مخالفًا ومعارضًا لما ذكره رب العالمين، أنكرته مباشرة دون الرجوع لسنده ولمن رواه، يكفيها فقط أن يخالف آيات القرآن لكي تحكم علىٰ صحته.

٢) مخالفته للحديث الأصح الذي سمعته السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها، قالت: "وَلَكِنْ قَالَ: "إِنَّ اللهَ يَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ

عَلَيْهِ"، وفي رواية أخرىٰ قالت إنه قال: "إِنَّهُ لَيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ وَذَنْبِهِ، وَإِنَّ أَهْلَهُ لَيَبْكُونَ عَلَيْهِ الْآنَ".

ويمكننا أن نضيف أسبابًا أخرىٰ لنقض الحديث:

٣) مخالفة الحديث لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي العدل، فالقضية التي يعرضها الحديث فيها ظلم للميت والله تعالىٰ ليس بظالم إنما هو العدل سبحانه، فما ذنبه إن بكىٰ عليه أهله، وبالتالي أي متن يحمل صفة مخالفة لما نعرفه من صفات الله تعالىٰ يكون غير مقبول لأنه فاسد المعنىٰ.

٤) مخالفته لفعل الرسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد فعل عكس هذا الكلام إذ بكىٰ علىٰ ابنه إبراهيم لما توفاه الله تعالىٰ، وبكىٰ علىٰ آخرين منهم عمه سيدنا حمزة.

المثال الثاني لتطبيق شروط صحة المتن

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَحَمْزَةُ، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: **"لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ"**، رواه البخاري.

وعَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي حَسَّانَ الْأَعْرَجِ، أَنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلَا عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَقَالَا: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ عليه الصلاة والسلام كَانَ يَقُولُ: "إِنَّمَا الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّابَّةِ وَالدَّارِ"، قَالَ: فَطَارَتْ شِقَّةٌ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ، وَشِقَّةٌ فِي الْأَرْضِ (دلالة علىٰ الغضب الشديد) فَقَالَتْ: وَالَّذِي

أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَىٰ أَبِي الْقَاسِمِ مَا هَكَذَا كَانَ يَقُولُ، وَلَكِنَّ نَبِيَّ اللهِ كَانَ يَقُولُ: "كَانَ **أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ** يَقُولُونَ: الطِّيَرَةُ فِي الْمَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالدَّابَّةِ"، ثُمَّ قَرَأَتْ عَائِشَةُ (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾)، الحديد. مسند الإمام أحمد - إسناده متصل رجاله ثقات.

الطيرة يعني التشاؤم، وهو حالة نفسيّة تقوم علىٰ اليأس والنّظر إلىٰ الأمور من الوجهة السَّيِّئة، والاعتقاد أنّ كلَّ شيء يسير علىٰ غير ما يُرام، وعكسه التفاؤل، شُئِم الشّخصُ: أصابه الشُّؤْم، فلا يرىٰ إلاّ سوءًا، ولا يتوقّع إلاّ مكروهًا، إذًا التشاؤم يحدث من ربط أحداث وأقدار سيئة بأي مما ذُكر، وجعلها سببًا لهذه الأقدار، ثم توقع حدوث كل ما هو سيئ نتيجة وجود هذه الأشياء في حياة الفرد، المرأة، الفرس، الدار.

- نقض السيدة عائشة لمتن هذا الحديث:

لكن قبل العرض لنقض المتن نؤكد هنا علىٰ معنىٰ أقرته السيدة عائشة، وهو حقها في الشعور بالغضب الشديد، والإعلان عن هذا الغضب، وقد كان هذا إما لشعورها بالإهانة، لأن الحديث أهان المرأة المسلمة وجعلها سببًا في أحداث سيئة، أو لأنه ينسب لرسول الله ما لم يقله، أو لكليهما، أي أننا من الطبيعي أن نغضب عندما نعلم بحديث نُسب لرسول الله وهو منه بريء، ونغضب عندما نشعر بالإهانة، لأنها الفطرة الطبيعية.

نقضت السيدة عائشة الحديث بسبب:

١) مخالفته للنص القرآني الصريح، (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فالله تعالىٰ يؤكد علىٰ أن كل الأقدار كتبها في كتاب من قبل الخليقة، وقد كتبها عن علم وحكمة، وجعل أقداره امتحانات لها أسباب عدة، منها ما هو بسبب من الإنسان، ومنها ما لم يكن له سبب فيه، ولكلٍ استقباله الناجح أو الفاشل، وكل قدر يحمل رسالة للمؤمن إن فقهها وتعامل معها التعامل الصحيح، فقد فاز وأفلح، وإن تجاهلها وعزاها لأسباب خاطئة، فقد خسر وفشل. فلا علاقة بالمرأة والدابة والدار بما يحدث من أقدار، بل إن وضع هذا الرابط يصرف عن الإنسان الرسالة الربانية التي تأتي بها أقداره، والتي يجب علىٰ المسلم فهمها واستيعابها وحسن التعامل معها بما يؤدي لنجاحه في اجتياز امتحاناته وأقداره، فهذا الربط فاسد يفسد علىٰ المسلم حياته ويبعده عن اتخاذ الأسباب المناسبة لإصلاح ما كان قد فشل فيه أو معرفة ما كان قد خفىٰ عنه.

ويمكن أن نضيف بعض الأسباب الأخرىٰ:

٢) مخالفته للحديث النبوي الشريف الصحيح الذي يحمل كل معايير الصحة وهو ما ذكرته السيدة عائشة، من أن هذا التشاؤم من صفات أهل الجاهلية، وأن الإسلام جاء بنبذ هذه الصفات، وجاء بالتفاؤل، وهو ما جاء بروايات أخرىٰ، إذا يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام: عن قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ"، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: "كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ"، رواه البخاري. هذا هو كلام النبوة، يحمل نور

العلم والمعرفة وحسن الظن بالله تعالىٰ وتناسق الأفكار ووضوحها، هذا هو ما يليق بنبينا الأمين وديننا العظيم.

٣) مخالفته لصفات رسول الله الذي هو رحمة للعالمين وبالمؤمنين رؤوف رحيم، فلم يكن ذو الخلق العظيم يهين المرأة ولا حتىٰ الجماد بجعلهم مصدرًا للشؤم، لذلك غضبت السيدة عائشة غضبًا شديدًا لأن الحديث مخالف لكل صفات رسول الله من العقل والعلم والأدب.

٤) مخالفته للقواعد العامة التي جاء بها الإسلام، وهي نبذ الخرافات والأوهام والتشاؤم والتطير، فالإسلام جاء لاحترام العقل واحترام الأسباب، وهذا التشاؤم يردنا لصفات الجاهلية التي أتىٰ الإسلام ليحاربها ويمحوها ويخلص العالم من فسادها، حيث إنها تمنع الناس من أي تقدم في دينهم ودنياهم.

٥) مخالفته للعقل، إذ أن الجزء الأول من الحديث نهىٰ عن التشاؤم "لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ"، والجزء الأخير أثبته "إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ"، وهذا مخالف للمنطق السليم والعقل الصحيح، ولا يليق أبدًا بأفصح الناس وأعقلهم عليه الصلاة والسلام.

المثال الثالث لتطبيق شروط صحة المتن

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، **أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُتَّهَمُ بِأُمِّ وَلَدَ رَسُولِ اللهِ (السيدة مارية القبطية)، فَقَالَ رَسُولُ لله لعَلِيٍّ (علي بن أبي طالب) اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ"، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ، فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ (حوض صغير به ماء) يَتَبَرَّدُ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اخْرُجْ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ، فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ**

فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَىٰ النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ مَا لَهُ ذَكَرٌ"، رواه مسلم.

هذا الحديث عن إشاعة قيلت عن أن رجلًا كان يُقال إنه يدخل علىٰ السيدة مارية القبطية زوجة رسول الله، أي كان متهمًا بأنه يدخل علىٰ غير مرضاة الرسول أو دون علمه أو أن بينه وبينها علاقة ما، فلما بلغ الرسول هذه الإشاعة، دعا سيدنا علي وأمره أن يذهب لهذا الرجل ويقتله! فذهب سيدنا علي لقتله فوجده في حوض ماء يتبرد فيه، فمد سيدنا علي يده إليه ليخرجه، فرآه عاريًا ولم يجد له عضوًا ذكريًا، فتركه ولم يقتله، لأنه علم عدم قدرته علىٰ فعل أي علاقة جنسية، ورجع إلىٰ رسول الله فأخبره الخبر. وانتهىٰ الحديث عند هذا الموقف.

هنا نقض الشيخ محمد الغزالىٰ رحمه الله متن هذا الحديث بكتابه الرائع (السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث) بباب "نماذج للرأي والرواية" يقول:" يستحيل أن يُحكم علىٰ رجل بالقتل فىٰ تهمة لم يُحقق فيها، ولم يُواجه بها المتهم، ولم يُسمع دفاعه عنها، بل كشفت الأيام عن كذبها! وقد حاول النووي غفر الله لنا وله، تسويغ هذا الحكم بقوله: لعل الرجل كان منافقـًا مستحقـًا للقتل لسبب آخر!! ونقول: متىٰ أمر رسول الله بقتل المنافقين !!! ما وقع ذلك منه.. بل لقد نهىٰ عنه.

وظاهر السياق أن الرجل نجا من القتل بعدما تبين من العاهة التىٰ به، استحالة توجيه الاتهام إليه، أفلو كان سليمـًا أبيح دمه!! هذا أمر تأباه أصول الاسلام وفروعه كلها.

إذاً بالحديث علة قادحة، وهي كافية في سلب وصف الصحة عنه، قال مدافع عن هذا الخبر: لعله من باب التعزير.. وهذا تفكير مستنكر! هل الإسلام أعطىٰ ولي الأمر حق قتل الناس لشبهة أو شائعة؟ أباسم التعزيز تستباح الدماء علىٰ نحو طائش..؟

إننا نقتل ديننا بهذا الفهم.. ونعرض سيرة نبينا للقيل والقال.

وسوف أتوقف طويلًا عند ما فعله النووي وغيره من تسويغات ومبررات وتلفيقات لأحاديث يستحيل بمعنىٰ كلمة يستحيل أن يقولها رسول الله عليه الصلاة والسلام، لماذا هذا التكلف الممجوج وهذا الجهد غير المحمود لتسويغ أحاديث لم يقلها رسول الله؟! لماذا نخرب ديننا ونحمله وزر أقوال ضد كل مبادئه وأحكامه وقواعده، لماذا؟! لماذا لا نحترم ديننا وعقولنا ونرفضها؟! لمصلحة من نظل نلف وندور ونلفق لتبرير أحاديث ظهر فسادها وضررها؟! فإذا كان علماؤنا في وقتهم لم يملكوا الأدوات التي تبين لهم الحقائق، وخافوا علىٰ ضياع الأحاديث إذا رفضوا منها حديثًا فاسدًا، فنحن اليوم نملك هذه الأدوات ولم نعد نخاف علىٰ ضياع الأحاديث الصحيحة إذا رفضنا الأحاديث التي تبين فساد متنها واستحالة قول رسول الله لها".

إذا.. من خلال تعليق الشيخ الغزالي علىٰ هذا الحديث ونقضه لهذا المتن يمكننا أن نصل لما فيه من مخالفات لشروط صحة المتن:

١) مخالفته لصريح القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يطلب محاكمة وأربعة شهود ليتم الحكم علىٰ من يرتكب هذه الفاحشة.

٢) مخالفته لسيرة الرسول وفعله، ففي حديث الإفك لم يأخذ بالإشاعات والأقاويل التي انتشرت بالمدينة طيلة أربعين يومًا، إنما بحث وتمهل وسأل واستقصىٰ حتىٰ يستطيع أن يعلن براءة زوجته الشريفة الطاهرة، والصحابي الذي اُتهم بها.

٣) فساد المعنىٰ لمخالفته صفة العدل في رسولنا الأمين، فهذا الحديث فاسد المعنىٰ لأنه يحمل معنىٰ أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يسارع بالحكم دون أدلة أو استقصاء أو شهود، وهذا يحمل صفة الظلم والرعونة، وحاشاه، فما كان رسول الله ليحكم إلا بالعدل كما أمره الله تعالىٰ.

المثال الرابع لتطبيق شروط صحة المتن

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: **"يَقْطَعُ الصَّلَاةَ، الْمَرْأَةُ، وَالْحِمَارُ، وَالْكَلْبُ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ"**، رواه مسلم.

يعني الحديث أن الصلاة تُقطع بمرور المرأة والحمار والكلب، لكن يمكن للمسلم أن يتقي ذلك القطع بوضع مسافة بمقدار "مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ". وقد بحثت في معنىٰ هذا التعبير، فوجدت حديث برواية مسلم عن معاذ بن جبل يقول: (كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤْخِرَةُ الرَّحْلِ..) وفي الشرح يقول الشارح: الرَّدِيف هُوَ الراكِب خَلْف الراكِب، وقَوْلَه: (لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنه إِلَّا مُؤْخِرَة الرَّحْل) أَرَادَ الْمُبَالَغَة فِي شِدَّة قُرْبه. ويقول: هِيَ الْعُود الَّذِي يَكُون خَلْف الراكِب، فراكب الجمل يكون بين عمودين صغيرين من الخشب حتىٰ يساعداه علىٰ

التماسك علىٰ ظهره، واحد من أمامه وواحد من خلفه، ومن المعروف أن المسافة بينهما هي مسافة جلسة الجالس فقط، وهي بين ٥٠ إلىٰ ٧٠ سم، يعني النهي عمن يمر أمام المصلي تمامًا فيكاد يحتك به.

وقَالَ الْأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ ذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ، فَقَالَتْ: "**شَبَّهْتُمُونَا بِالْحُمُرِ وَالْكِلَابِ**، وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَىٰ السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبْدُو لِي الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُؤْذِيَ النَّبِيَّ فَأَنْسَلُّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ"، رواه البخاري.

في هذا الحديث عندما سمعت السيدة عائشة ذكر قطع المرأة والكلب والحمار لصلاة المسلم، علقت عليه التعليق الذي يليق بإنسان عاقل يحمل كرامةً ونفسًا ترفض المهانة، اعترضت علىٰ تشبيه المرأة بالكلب والحمار في قطع الصلاة، ثم أتت بواقعة تنفي صحة هذا الحديث، قالت إنها كانت علىٰ سريرها الذي كان بين مكان الرسول والقبلة، يعني تكاد يكون بينها وبينه سنتيمترات، فتريد أن تجلس لكي تقوم من مكانها، فلا تفعل حتىٰ لا تزعجه، فتنسل من بين قدميه لتخرج لحاجتها.

ثم حديث آخر يوضح ما سبق، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُعَلَّىٰ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْعُرَنِيُّ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ، وَالْحِمَارُ، وَالْمَرْأَةُ، قَالَ: **بِئْسَمَا عَدَلْتُمْ بِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ كَلْبًا وَحِمَارًا**، لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقْبَلْتُ عَلَىٰ حِمَارٍ، وَرَسُولُ اللهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ مُسْتَقْبِلَهُ نَزَلْتُ عَنْهُ، وَخَلَّيْتُ عَنْهُ، وَدَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي صَلَاتِهِ، فَمَا أَعَادَ رَسُولُ الله صَلَاتَهُ، وَلَا نَهَانِي عَمَّا صَنَعْتُ، وَلَقَدْ

كَانَ رَسُولُ اللهِ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَجَاءَتْ وَلِيدَةٌ تَخَلَّلُ الصُّفُوفَ، حَتَّىٰ عَاذَتْ بِرَسُولِ اللهِ فَمَا أَعَادَ رَسُولُ اللهِ صَلَاتَهُ، وَلَا نَهَاهَا عَمَّا صَنَعَتْ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، فَخَرَجَ جَدْيٌ مِنْ بَعْضِ حُجُرَاتِ النَّبِيِّ فَذَهَبَ يَجْتَازُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَنَعَهُ رَسُولُ اللهِ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَفَلَا تَقُولُونَ: الْجَدْيُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ؟! مسند الإمام أحمد.

في هذا الحديث ذُكر عند ابن عباس رضي الله عنهما المقولة السابقة عمن يقطع الصلاة، فعلق أيضًا تعليقًا يليق بإنسان لديه عقل وكرامة ويرفض الإهانة، إنسان ذو فطرة سليمة وطبيعة سوية، وقال البؤس لكم أن عدلتم بامرأةٍ مسلمةٍ كلبًا وحمارًا، ثم أتىٰ ببرهان علىٰ عدم صحة هذا الحديث وهذا الحكم، إذ ذكر أنه أتىٰ المسجد وهو يركب حماره، ثم سار به حتىٰ أصبح أمام رسول الله وهو يصلي، فنزل عنه وتركه، ودخل في الصلاة مع رسول الله، ويقول: فما أعاد رسول الله صلاته، ولا نهاني عما فعلت، وهذه سنة فعلية تدحض الحديث السابق، كذلك قال إنه جاءت فتاة صغيرة تمشي بين الصفوف أثناء الصلاة، حتىٰ تعلقت برسول الله، فما أعاد صلاته ولا نهاها، ثم ذكر فعلاً فعله رسول الله لكن لم يعلق عليه أحد ولم يتخذ منه حكمًا، أن جديًا (معزة) خرج من إحدىٰ حجرات النبي، وتوجه نحوه يسير أمامه، فمنعه رسول الله، فلماذا لم يقال أن الجدي يقطع الصلاة؟

والآن إلىٰ عرض نقض هذا الحديث من خلال مدىٰ توافقه مع شروط صحة المتن.

السيدة عائشة وسيدنا ابن عباس نقضا متن هذا الحديث من خلال مخالفته لعدة أمور:

١) مخالفته لصفة رسول الله من الحفاظ علىٰ كرامة كل إنسان وعدم ذكر ما يهينه، فرسول الله عليه الصلاة والسلام ذو الخلق العظيم، رحمة الله للعالمين، لم يكن أبدًا ليتكلم كلامًا فيه إهانة لعاصٍ أو منافق، فما بال لو كان الكلام عن المرأة المسلمة، لقد وجدت السيدة عائشة وسيدنا ابن عباس في الجمع بين المرأة المسلمة والكلب والحمار إهانة لا يمكن أن تصدر من رسول الخلق العظيم، وأعلنا عن رفضهما لهذا المتن، وكان هذا أول نقض ذكراه للمتن، لذلك فإن من معيار صحة المتن، أن يحمل الكرامة لكل الناس، فلا يجب أن يتقبل مسلم أو مسلمة قولٌ نُسب لرسول الله يشعر فيه بالإهانة لأنه مستحيل في حقه عليه أفضل الصلاة وله أتم التسليم.

٢) مخالفته للسنة العملية التي ذكرها الراوي الأصح، ففعل الرسول الكريم تخبرنا به السيدة عائشة وسيدنا ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام فعل عكس ما جاء بهذا المتن، فقد خالف هذا المتن فعل الرسول، فقد صلىٰ وأمامه السيدة عائشة، وصلىٰ والصغيرة تسعىٰ بين الصفوف حتىٰ وصلت إليه وتعلقت به، وصلىٰ وقد نزل ابن عباس عن حماره مستقبلًا رسول الله، فما استنكر ما حدث ولا أعاد صلاته.

كذلك عَنْ مُوسَىٰ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي وَالدَّوَابُّ تَمُرُّ بَيْنَ أَيْدِينَا، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ فَقَالَ: "مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ، تَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدِكُمْ، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ، مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ"، رواه مسلم.

فالمسلم يصلي ويجعل أمامه مسافة بسيطة للسجود، ثم لا يضره أن يمر أمامه رجل أو امرأة أو طفل أو حيوان.

٣) مخالفته لحكم عكسي ذُكر في أحاديث أخرىٰ، فقد صنف البخاري بابًا بعنوان: مَنْ قَالَ لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ شَيْءٌ. وروىٰ فيه حديثًا عن عائشة رضي الله عنها، وأثرًا عن ابْن أَخِي ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَمَّهُ- يعني الزهري- عَنْ الصَّلَاةِ يَقْطَعُهَا شَيْءٌ فَقَالَ: "لَا يَقْطَعُهَا شَيْءٌ"، والحديث المذكور رواه أبو داود في سننه. وأما عن الخلاف في مسألة قطع الصلاة، فذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلىٰ أن مرور شيء بين المصلي والسترة لا يقطع الصلاة ولا يفسدها، أيا كان، ولو كان بالصفة التي توجب الإثم علىٰ المار، وقال الحنابلة مثل ذلك، إلا أنهم استثنوا الكلب الأسود البهيم فرأوا أنه يقطع الصلاة.

المثال الخامس لتطبيق شروط صحة المتن

عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ: **انْطَلَقْتُ أَنَا وَأَخِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّنَا مُلَيْكَةَ كَانَتْ تَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، هَلَكَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: "لَا"، قَالَ: قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَأَدَتْ أُخْتًا لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئًا؟ قَالَ: "الْوَائِدَةُ وَالْمَوْءُودَةُ فِي النَّارِ إِلَّا أَنْ تُدْرِكَ الْوَائِدَةُ الْإِسْلَامَ، فَيَعْفُوَ اللهُ عَنْهَا"**، مسند أحمد بن حنبل (إسناده متصل ـ رجاله ثقات) ـ الحكم علىٰ المتن (صحيح).

في هذا الحديث نجد ابنا متوفية ماتت قبل ظهور الإسلام، كانت تعمل

أعمالاً صالحة، يسألان عما إذ كانت أعمالها الصالحة فى الجاهلية تنفعها أم لا، فكان رد رسول الله أنها لا تنفعها، فسألا عن أنها وأدت ابنه لها فى الجاهلية، فهل تنفعها أعمالها فى العفو عنها من هذه الجريمة؟ فكانت الإجابة، أنها ومن وأدتها في النار!!!!!!!، إلا إذا كانت هذه المرأة قد أدركت الإسلام فأسلمت، فيعفو الله عنها، طيب ماذا عن الموءودة التى بالطبع لم ولن تدرك الإسلام !!!

يعلق الدكتور القرضاوي على هذا الحديث في كتابه (كيف نتعامل مع السنة النبوية) الباب الثالث فيقول:

من حق المسلم أن يتوقف في أي حديث يرى معارضته لمحكم القرآن إذا لم يجد له تأويلًا مستساغًا. وقد توقفت في هذا الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد بن حنبل وغيرهما، وانقبض صدري، وقلت لعل الحديث ضعيف الإسناد، لكنني وجدته صحيح الإسناد حتى الشيخ الألباني صححه.

وتساءلت هل للوائدة التي فعلت هذه الجريمة فرصة للنجاة، والموءودة الضحية التي قُتلت بلا ذنب جنت لا فرصة لها! وقد رجعت إلى الشُراح لأرى ماذا قالوا في توجيه الحديث، فلم أجد شيئًا يفسر لي هذا الحُكم الغريب! وهنا أقول إن الحكم في هذا الحديث يتعارض مع قوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾)، التكوير.

- إذًا.. يمكننا أن نتعرف على مخالفة متن هذا الحديث لمعايير صحة المتن من حيث:

١) مخالفته لصريح القرآن الكريم.

٢) مخالفته لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي العدل، حيث إنه ينضخ بالظلم للموءودة، وما كان الله تعالىٰ ليظلم ضحية قتلت ظلمًا وعدوانًا.

مما سبق نرىٰ أن نقد المتن بدأ من أيام الصحابة الكرام، فحتىٰ مع بلوغ صحة السند أعلاها، حيث كان من فم الصحابة مباشرة، إلا أن الأكثر علمًا والأقرب لرسول الله والأطول صحبة، لم يقبلوا الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بُناءً علىٰ صحة السند وفقط، إنما كان لهم نقد علمي ورفض لما فيه مخالفة لآيات القرآن الكريم، لأنهم يعلمون أنه يستحيل أن يناقض رسول الله رسالته التي يحملها للناس أجمعين.

إذًا قَبول كلامٍ ما علىٰ أنه حديث شريف قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام، يستلزم بالضرورة اجتياز حاجزين في منتهىٰ الأهمية والخطورة، حاجز صحة السند، وحاجز صحة المتن، لا بد أن يتحقق في الكلام المطروح علىٰ أنه كلام سيد الخلق، كل معايير صحة السند، وكل معايير صحة المتن، لخطورة ما سوف نصفه بأنه كلام سيدنا رسول الله، حيث إنه دين، فإذا لم يكن من كلامه، واتخذناه دينًا دون تمحيص ودراسة وإخلاص في البحث، فقد أدخلنا علىٰ دين الله ما ليس منه، وصنعنا دينًا موازيًا، دين من صنع البشر، دين مشوَه ومُشوه للعقيدة والإيمان والأفكار وحركة الحياة كلها، وأصبحنا عند الله تعالىٰ الأظلم علىٰ الإطلاق، يقول تعالىٰ: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾)، الأنعام.

لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله تعالىٰ الكذب، عن أَنَسٌ قال: إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ حَدِيثًا كَثِيرًا، أَنّ النَّبِيَّ قَالَ: "مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"، رواه البخاري. إذًا الأمر جد خطيرٌ جدًا ولا يجب أن نتهاون فيه، أو نقدس ما ليس بمقدس، لأنه لا أقدس عندنا من رب العالمين وما جاء به رسوله الأمين.

لهذا كان لا بد من العمل الدائم للتأكد من صحة ما هو منسوب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فمن الواضح إن علماء الحديث كان عندهم خوف شديد من أنهم لو رفضوا بعض الأحاديث لعدم صحة المتن، فسوف يؤدي هذا إلىٰ الشك في السُنة كلها، وهذا اعتقاد خاطئ، وسوء ظن بعقلية المسلمين وحسن إدراكهم، فالمسلم لا يفقد تمسكه بالسنة النبوية الشريفة لظهور بعض الأحاديث الموضوعة والمكذوبة علىٰ رسول الله، فهذا أمر وارد لا يقدح فيما هو صحيح منها، كما أن اتهام كل من يريد تنقية السنة الشريفة من أكاذيب أعداء الدين بإنكار السنة وتكفيره، أمر لابد من الحذر منه لأن كثير منهم من لا يريدون لأمتنا اتباع دينها النقي الطاهر الذىٰ يقيم العدل والحق والمساواة، ويحقق لها التقدم والرقي.

فإذا كان هذا الخوف وهذا الاعتقاد له تبريره قديمًا حيث صعوبة البحث والدراسة، فالآن لا تبرير له لأن العقول نضجت، والمعرفة اتضحت، والمعلومات توافرت بصورة غير مسبوقة، فمن الممكن تنقية الصالح من الطالح دون إصدار أحكام كلية غير حقيقية.




الباب الرابع

كتاب الإمام البخاري ونقد علماء

لمتون أحاديث وردت به




بداية أود عرض ثلاث نقاط خاصة بكتاب الإمام البخاري

أولًا: سأتكلم عن أمتع شعور مر بي بعد قراءة كتاب (مختصر صحيح البخاري)، أنا قرأته منذ عدة سنوات لكن إلىٰ الآن ما زلت أذكر حلاوة الشعور بالقرب من رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي شعرت به بعد الانتهاء من قراءة الكتاب، عادة نلجأ لكتب الأحاديث عندما نحتاج لحديث معين، لكن أنا قررت أن أقرأه كله لأتعرف علىٰ كل ما قاله رسول الله وما فعله، كنت أحب أن أرىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو في بيته، وهو يمشي بطرقات المدينة، وهو يصلي، وهو مع أصحابه، وهو يعطف علىٰ الفقراء، وهو يضحك، وهو يتعامل مع الرجال والنساء والأطفال.

من المعروف أن الإمام البخاري المتوفي ٢٥٦هـ اختار نحو ٤ آلاف حديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام من نحو ٦٠٠ ألف حديث جمعها في نحو ١٦ سنة، وقد اجتهد في وضع قواعد لصحة السند وجمع ما وجده صحيح الإسناد، فجزاه الله خيرًا، هو وكل العلماء الذين قاموا بمجهود كبير لحماية أحاديث رسول الله من الكذابين والوضاعين، لكن طبعا لا أنكر أني تجاهلت الأحاديث التي لم أجدها تتفق وما أعلمه من صحيح الدين.

ثانيًا: الخطأ الفادح والجملة الخاطئة التي لا أتخيل أن يقبلها مسلم، وهي أن (كتاب البخاري أصح الكتب بعد كتاب الله) جملة فيها اعتداء صارخ وفاجر علىٰ كتاب الله تعالىٰ الذي لا يجب أن يوضع معه أي كتاب آخر علىٰ وجه الأرض في جملة واحدة، إن كتاب الله تعالىٰ

أصدق وأدق وأرقىٰ وأحكم وأروع كتاب في الوجود، فلا يوجد كتاب علىٰ الأرض يقترب منه ولو من مسافة خمسين ألف سنة ضوئية، هل يجرؤ مسلم أن يقول فلان الشيخ الصالح هو أصدق كائن بعد الله تعالىٰ! بالتأكيد لا يجرؤ مسلم علىٰ هذا القول الأشد كذبًا علىٰ الإطلاق، فمن المستحيل المقارنة بين صدق شخص مهما كان، وصدق رب العالمين، ولا بين أي صفة لله تعالىٰ وصفة لأي بشر مهما كان.

وبالتالي فهذه جملة خبيثة تجعل من يسمعها يعتقد أن كتاب البخاري له من القدسية مثل كتاب الله تعالىٰ، فيقبله بما فيه علىٰ أنه يمثل مراد الله ورسوله، بلا قدرة علىٰ نقاش ما يتناقض فيه مع كتاب الله عز وجل وفعل رسوله الأمين. ولم يقل البخاري نفسه هذا عن كتابه قط، بدليل أن تلميذه الإمام مسلم خالفه في الحكم علىٰ بعض الأحاديث وألف كتابه في وجود الإمام البخاري، فلو كان لكتابه هذه القدسية ما استطاع الإمام مسلم أن يخالفه ويؤلف كتابه في حياة البخاري، ثم توالت الكتب من بعدهما، للنسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي والطبراني وابن حبان، كلٌ اجتهد وقدَّم ما وصل إليه حتىٰ لو كان مخالفًا لما جاء بالبخاري ومسلم.

ثالثًا: استعراض مختصر للعلماء الذين نقدوا متون أحاديث بكتاب البخاري من مقالات د. أحمد إبراهيم الشريف.

١) أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ)

هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي (٢٧٧ هـ - ٣٧١ هـ) أحد كبار شيوخ الشافعية في عصره، له مستخرج عن الصحيحين يطلق عليه «صحيح الإسماعيلي» انتقد فيه بعض أحاديث البخاري:

أخرج البخاري في «صحيحه» عَنْ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ: أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ".

وقد طعن فيه «الإسماعيلي»، قال ابن حجر في «فتح الباري» الجزء الثامن: "وقد استشكل الإسماعيلي هذا الحديث من أصله، وطعن في صحته، فقال بعد أن أخرجه «هذا خبر في صحته نظر، من جهة أن إبراهيم علم أن الله لا يخلف الميعاد، فكيف يجعل ما صار لأبيه خزيا، مع علمه بذلك»".

٢) الإمام الدارقطني المتوفي عام ٣٨٥ هجرية

واسمه علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي، وكان يلقب بأمير المؤمنين في الحديث. قال فيه الخطيب

البغدادي في «تاريخ بغداد» كان فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهىٰ إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة، مع الصدق والأمانة والثقة والعدالة، ووصفه القاضي أبو الطيب الطبري بقوله: «كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث»، ووصفه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» بقوله: «الإمام الحافظ المجود، شيخ الإسلام، علم الجهابذة» لذا فإن ما يقوله الإمام الدارقطني موضع ثقة، وقد ذكر الدارقطني انتقاداته في ثلاثة مصنفات:

أحدها هو «التتبع» قال في أوله «ابتداء ذكر أحاديث معلولة اشتمل عليها كتاب البخاري ومسلم أو أحدهما، بينت عللها والصواب منها».

والثاني: هو جزء «بيان أحاديث أودعها البخاري رحمه الله كتابه الصحيح»، قال في أوله «ما حضرني ذكره من الأحاديث التي خرَّجها محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كتابه «السنن الصحاح» عنده، مما اختلف في أسانيد بعضها وفي إرسال بعضها وفي إيصالها وفي عدالة ناقليها وجرحهم.

والثالث: انتقادات متفرقة في كتابه «العلل الواردة في الأحاديث النبوية»، وقد توسع فيه في ذكر علل الأحاديث.

وعدد الأحاديث التي أعلَّها الدارقطني في الصحيحين علىٰ ما أحصاه الحافظ ابن حجر يبلغ «مائتي حديث وعشرة» المتفق عليه منها اثنان وثلاثون، وانفرد البخاري بثمانية وسبعين، ومسلم بمائة.

٣) أبو الحسن القابسي ت ٤٠٣ هجرية

نقل عنه «ابن حجر العسقلاني» في كتابه «فتح الباري» انتقاده لهذا الحديث بالبخاري عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَىٰ رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، فَتَقُولُ: "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ"، ثَلَاثًا حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ".

قال «القابسي» «المعروف في هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقا وأما النار فيضع فيها قدمه قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقا إلا هذا».

٤) الإمام ابن حزم الظاهري «ت ٤٥٦» هجرية

رجل له مكانته وعلمه في التراث الإسلامي في الفقه والحديث، وقد اهتم ابن حزم بصحيح البخاري، فقد ذكر «حاجىٰ خليفة» في كتابه «كشف الظنون» أن الإمام ابن حزم له عدة أجوبة علىٰ صحيح البخاري، منها ما يتعلق بأبواب تقع بلفظ الحديث لكنها ليست من شرطه.

وقد انتقد الإمام ابن حزم أحاديث منها:

الحديث الأول: حديث الإسراء

عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا، عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَام، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ، فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ الليلة، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّىٰ أتوه لَيْلَةً أُخْرَىٰ، فِيمَا يَرَىٰ قَلْبُهُ وَالنَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ. قوله (قبل أن يوحىٰ إليه) هذا بلا خلاف من أحد من أهل العلم، إنما كان قبل الهجرة بسنة بعد أن أوحي إليه بنحو اثنتي عشرة سنة، فكيف يكون ذلك قبل أن يوحىٰ إليه.

الحديث الثاني: حديث المعازف

كما ضعف ابن حزم حديث المعازف الوارد في البخاري، قاله في «المحلىٰ بالآثار»: ومن طريق البخاري قال: حدثنا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، قال: حدثنا صَدَقَةُ بْنُ خَالِدٍ، قال: حدثنا ابْنُ جَابِرٍ، قال: حدثنا عَطِيَّةُ بْنُ قَيْسٍ الْكِلَابِيُّ، قال: حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنْمٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ، أَوْ أَبُو مَالِكٍ الأَشْعَرِيُّ، واللهِ مَا كَذَبَنِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام يَقُولُ: "لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ، والْخَمْرَ، والْمَعَازِفَ، ولَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَىٰ جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، فَيَأْتِيهِمْ رَجُلٌ لِحَاجَتِهِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُفْنِيهِمُ اللهُ، فَيَضَعُ الْعَلَمَ عَلَيْهِمْ، ويَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وخَنَازِيرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ". قال

الْبُخَارِيُّ، وقال هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، فَذَكَرَهُ وهذا منقطع لم يتصل، ما بين البخاري وصدقة بن خالد، ولا يصح في هذا الباب شيء أبدا، وكل ما فيه موضوع».

٥) ابن عبد البر ت ٤٦٣ هجرية

وهو فقيه ومحدث أندلسي له عدد من الكتب منها «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والإنباه على قبائل الرواة»، وغيرهما، ومن الأحاديث التي نقد فيها البخاري:

عَنْ الْحُسَيْنِ، قَالَ يَحْيَىٰ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ الْجُهَنِيَّ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَأَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فَلَمْ يُمْنِ، قَالَ عُثْمَانُ: "يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ وَيَغْسِلُ ذَكَرَهُ"، قَالَ عُثْمَانُ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، وَطَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ، وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَأَمَرُوهُ بِذَلِكَ، قَالَ يَحْيَىٰ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ.

قال ابن عبد البر في التمهيد: قال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني وذكر حديث يحيىٰ بن أبي كثير هذا فقال: إسناده جيد ولكنه حديث شاذ، وقد رُوي عن عثمان وعلي وأبي بن كعب أنهم أفتَوا بخلافه. قال يعقوب بن شيبة: هو حديث منسوخ كان في أول الإسلام

ثم جاء بعدُ عن النبي أنه أمر بالغسل من مس الختانِ الختانَ أنْزل أم لم ينزل.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه المسالك في شرح موطأ مالك: هذا حديث منكر، لا يُعرف من مذهب عثمان ولا من مذهب علي ولا المهاجرين، انفرد به يحيىٰ بن أبي كثير، وهو ثقة إلا أنه جاء بما شذ فيه وأُنكر عليه.

٦) الغساني الجياني ت ٤٩٨ هجرية

يعد أبو علي الغساني الجياني المولود سنة «٤٢٧هـ» شيخ الأندلس بلا منازع، ومن يُضرب أكباد الإبل في الرحلة إليه من بقية أنحاء الأندلس وخارجها وأثنىٰ ابن بشكوال عليه بقوله «كان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المسندين» وكتب عدة كتب من أبرزها «تقييد المهمل وتمييز المشكل».

وأشار الإمام النووي إلىٰ أن «الغساني» استدرك علىٰ البخاري ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها، ونزلت عن درجة ما التزماه، ونبه فيه علىٰ الأوهام الواقعة في الصحيحين كل علة علىٰ حدة ومعظمها متوجهة إلىٰ الرواة عنهما.

٧) ابن برهان ت ٥١٤ هجريا

كان ابن برهان حنبلي المذهب، ثم انتقل إلىٰ المذهب الشافعي، وكان متبحرًا في الفقه وأصوله والخلاف، وكان حاد الذهن، سريع الحفظ، مواظبًا علىٰ العلم، حتىٰ صار يُضرب به المثل.

يقول في كتابه «الوصول إلىٰ الأصول» الجزء الثاني «خبر الواحد لا يفيد العلم، خلافًا لبعض أصحاب الحديث فإنهم زعموا أن ما رواه مسلم والبخاري مقطوع بصحته، وعمدتنا أن العلم لو حصل بذلك لحصل لكافة الناس كالعلم بالأخبار المتواتر».

وقال: «لأن البخاري ليس معصومًا عن الخطأ، فلا نقطع بقوله، لأن أهل الحديث وأهل العلم غلطوا مسلما والبخاري وثبتوا أوهامهما ولو كان قولهما مقطوعا به لاستحال عليهما ذلك».

هذه أمثلة من العلماء القدامىٰ الذين نقدوا متون الأحاديث التي أوردها البخاري بكتابه، بالرغم من صحة سندها في الأغلب، وذلك لأسباب حقيقية منطقية، فمنها ما يتنافىٰ مع عدل الله تعالىٰ، ومنها ما يتنافىٰ مع التاريخ، ومنها ما يتنافىٰ مع اتصال السند، ومنها ما يتنافىٰ مع الأصح، ومنها ما ينافىٰ مع شروط صحة الرجال.. وهكذا.

نأتي لعلماء العصور الحديثة، نجد أنه بعد فترة من الكساد الفكري والثقافي مر بها العالم الإسلامي في زمن سيطرة الدولة العثمانية علىٰ مقدراتها، عادت النهضة مرة أخرىٰ في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لنجد جيلًا جديدًا من العلماء والباحثين الذين يمنحون العقل فرصة ليقول كلمته فيما يقرءون ويسمعون، ومن هنا وجدنا أنفسنا بجوار صف من رجال الدين الذين قرأوا صحيح البخاري فقبلوا منه ما استقام مع صحيح الدين وانتقدوا ما ظنوه غريبًا، علىٰ رأسهم..

٨) الإمام محمد عبده

وقد تدرج في العلم والمناصب حتىٰ عُين مفتيًا لمصر ١٨٩٩م، يقول حسبما ذكر تفسير المنار: «وأما ما ورد في حديث مريم وعيسىٰ، من أن الشيطان لم يلمسهما، عن شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام يَقُولُ: "مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) وفي رواية أخرىٰ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعُنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبَيْهِ بِإِصْبَعِهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ". وحديث إسلام شيطان النبي، وإزالة حظ الشيطان من قلبه، فهو من الأخبار الظنية، لأنه من رواية الآحاد، ولما كان موضوعها عالم الغيب، والإيمان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالىٰ: وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا «النجم: ٢٨» كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا».

وكذلك رفض الشيخ الإمام محمد عبده متن حديث سحر الرسول بالبخاري ومسلم.

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَىٰ، أَخْبَرَنَا عِيسَىٰ بْنُ يُونُسَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "سَحَرَ رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللهِ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْم أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ، وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ، قَالَ: قَدْ عَافَانِي اللهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَىٰ النَّاسِ فِيهِ شَرًّا، فَأَمَرَ بِهَا، فَدُفِنَتْ"، صحيح البخاري وصحيح مسلم.

وقال: «لا يخفىٰ أن تأثير السحر في نفسه يصل به الأمر إلىٰ أن يظن أنه يفعل شيئًا، وهو لا يفعله، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية، بل هو ماس بالعقل، آخذ بالروح، وهو مما يصدق قول المشركين فيه: (.. إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾) الإسراء، وليس المسحور عندهم إلا من خولط في عقله، وخُيل له أن شيئًا يقع، وهو ما لا يقع، فيُخيل إليه أنه يوحَىٰ إليه، ولا يوحَىٰ إليه، وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما النبوة وما يجب لها، أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحّ، فيلزم الاعتقاد به، وأن عدم

التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر.

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه الصلاة والسلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلىٰ المشركين أعدائه ووبّخهم علىٰ زعمهم هذا، فإذًا هو ليس بمسحور قطعًا، وعلىٰ أي حال قلنا: بل علينا أن نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا، ونأخذ بنَصّ الكتاب وبدليل العقل».

كما شاركه من قبل **الإمام أبو بكر الجصاص ت (٣٧٠هـ)** صاحب «أحكام القرآن» له شأن في زمانه وبين أقرانه، وقد أفردتْ له كتب التراجم مساحة وافية للتّعريف به، وبشيوخه وتلاميذه وبنتاجه العلمي.

وردًا علىٰ حديث «سحر الرسول» قال أبو بكر الجصاص الحنفي في كتابه أحكام القرآن «وهذا الحديث من وضع الملحدين» قال وضعه ملاحدة كفار وزنادقة في البخاري ومسلم، وللأسف جازت الحيلة علىٰ البخاري ومسلم فصدقا هذا الحديث وجعلاه في صحيحهما.

٩) محمد رشيد رضا ١٩٣٥م

يقول محمد رشيد رضا «١٨٤٩ – ١٩٣٥» تلميذ الإمام محمد عبده، في «تفسير المنار» بعد أن عرض الأحاديث المنتقدة علىٰ البخاري «وإذا قرأت ما قاله الحافظ ابن حجر فيها رأيتها كلها في فن الصناعة،

ولكنك إذا قرأت الشرح نفسه «فتح الباري»، رأيت له في أحاديث كثيرة بها إشكالات في معانيها، أو تعارضها مع غيرها، أكثر مما صرح به الحافظ نفسه، مع محاولة، من الحافظ، الجمع بين المختلفات، وحل المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض.

كذلك ذكر محمد رشيد رضا في مجلة المنار المجلد ٢٩ أن «حديث الذبابة (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وفي الآخَرِ دَاءً) الراوي: أبو هريرة، المحدث: البخاري، المصدر: صحيح البخاري، حديث غريب عن الرأي والتشريع، فمن قواعد الشرع العامة أن كل ضار قطعًا فهو محرم قطعًا، وكل ضار ظنًا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الأقل.

وكان بعض الشيوخ قد كفّروا د. محمد توفيق صدقي حين هاجم هذا الحديث في العشرينيات في المجلة نفسها، وقد دافع عنه رشيد رضا قائلًا: «ذلك المسلم الغيور لم يطعن في صحة هذا الحديث إلا لعلمه بأن تصحيحه من المطاعن التي تنفر الناس من الإسلام، وتكون سببًا لردة بعض ضعفاء الإيمان، وقليلي العلم الذين لا يجدون مخرجًا من مثل هذا المطعن، إلا بأن فيه علة في المتن تمنع صحته، وما كلف الله مسلمًا أن يقرأ صحيح البخاري، ويؤمن بكل ما فيه، وإن لم يصح عنده».

١٠) أحمد بن الصديق الغماري ١٩٦٠

عاش أحمد بن صديق الغماري في الفترة بين «١٩٠١- ١٩٦٠» وهو مغربي مشهود له بالعلم والحفظ لسنة النبي الكريم، وقد تجاوزت مؤلفاته المائة مؤلف.

قال الغماري في كتابه «المغير علىٰ الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير»، «فكم من حديث صححه الحفاظ، وهو باطل بالنظر إلىٰ معناه ومعارضته للقرآن أو السنّة الصحيحة أو مخالفة الواقع أو التاريخ، وذلك لدخول الوهم والغلط فيه علىٰ المعروف بالعدالة، بل قد يتعمد الكذب! فإن الشهرة بالعدالة لا تفيد القطع في الواقع، ومنها أحاديث الصحيحين: لأن فيها ما هو مقطوع ببطلانه، فلا تغتر بذلك ولا تتهيب الحكم عليه بالوضع لما يذكرونه من الإجماع علىٰ صحة جميع أحاديث الصحيحين غير مقبول ولا واقع».

١١) الشيخ محمد الغزالي (ت ١٩٩٦)

عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد أحد دعاة الفكر الإسلامي في العصر الحديث، عُرف عنه تجديده في الفكر الإسلامي وكونه من "المناهضين للتشدد والغلو في الدين"، كما عُرف بأسلوبه الأدبي في الكتابة واشتهر بلقب أديب الدعوة. عمل في عدة مناصب بوزارة الأوقاف، ثم أستاذًا في جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة، ودرّس في كلية الشريعة بقطر كما تولىٰ رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية بالجزائر لمدة خمس سنوات وكانت آخر مناصبه، وله نحو أربعين مؤلفًا في قضايا دينية مختلفة.

وقد رفض الشيخ الغزالي حديث فقء سيدنا موسىٰ عين ملك الموت المتفق عليه، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنْ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ"، حيث كتب في كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، الذي هوجم عليه أقسىٰ هجوم وأُلِّف ضده ١٤ كتابًا، قال الشيخ الجليل: «إن الحديث صحيح السند، لكن متنه يثير الريبة، إذ يفيد بأن موسىٰ يكره الموت، ولا يحب لقاء الله بعد ما انتهىٰ أجله، وهذا المعنىٰ مرفوض، ولا يليق بالأنبياء، ثم هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عمىٰ أو عور؟! لما رجعت إلىٰ الحديث في أحد مصادره ساءني أن الشارح جعل رد الحديث إلحادًا!»، ويستنكر «الغزالي» أي دفاع عن الحديث، ويقول: «إنه دفاع تافه لا يساغ، ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين، والحق أن في متنه علة قادحة تنزل به عن مرتبة الصحة».

وهكذا نرىٰ أن البخاري ومسلم قد قاما بمجهود كبير للتأكد من صحة السند وجعلا له قواعد ومعايير لقبوله، وكان هذا عملًا متميزًا في هذا الوقت لصعوبة البحث ومعرفة الحقائق، فجزاهما الله خير الجزاء علىٰ

عملهما المتميز، وهما قد استخدما ما تيسر لهما من أدوات عصرهما ليصلا لهذه النتائج، ويجب علينا الآن استخدام أدوات عصرنا لتنقيته مما قد يكون علق بكتابيهما من أحاديث مكذوبة وموضوعة لم يقلها رسول الله عليه الصلاة والسلام، تسيئ لديننا العظيم وتصمه بما ليس فيه مما يعطله عن بلوغ مراده من التقدم والرقي والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وقد رأينا أن علماء المسلمين لم يقبلوا علىٰ الكتاب صمًا وعميانًا بل كانت لهم أفهام وعقول استخدموها مع هذا الصحيح وغيره، فأقروا أغلبه واختلفوا مع بعضه، لكن هذا الاختلاف أرسىٰ فضيلة مهمة هي التفكير والبعد عن التقديس.

هكذا كان المسلمون وهكذا كان العلم، الكل يفكر والكل يقدم فكره بلا قيود ولا قدسية لأحد من البشر، لذلك أعتقد أن من اخترعوا وصف كتاب البخاري بأنه "أصدق كتاب بعد كتاب الله تعالىٰ"، هم من يريدون تقديس الكتاب لغلق باب التفكير والمراجعة، حتىٰ يتسنىٰ لهم وضع ما يريدونه علىٰ لسان البخاري، فيضطر المسلمون لقبول ما فيه بلا تفكير، فينتكسوا ويتخلفوا وتتداعىٰ عليهم الأمم كما فىٰ حديث رسول الله. ثم الغريب والعجيب أن يصموا كل من يريد تنقية الأحاديث من المكذوب والموضوع بأنه قرآني، حتىٰ يصبح الانتماء للقرآن الكريم كتاب الله تعالىٰ لنا وأثمن ما نملك، تهمة وعار وجريمة! وذلك حتىٰ ينجحوا في إبعاد المسلمين عن حقيقة دينهم، ثم يدخلوا عليهم ما يدمر دينهم ودنياهم، والجملة الصحيحة أن يوضع ككتاب متفوق علىٰ كتب الأحاديث الأخرىٰ، فيُقال مثلًا إنه الكتاب الأدق في

إيراد الأحاديث صحيحة السند، فهو أول من جرد الصحيح في كتابه، والإمام البخاري إذا استطاع أن يجتهد ويجمع نحو ٤ آلاف حديث يرىٰ أنها صحيحة السند، فإن وجد العلماء أن ٨٠ حديث منها مثلًا غير صحيحة، فهىٰ لا تمثل سوىٰ نسبة ٢٪ من ال ٤ آلاف حديث، فهذه نسبة خطأ ضئيلة وطبيعية وواردة في أي عمل بشري، فنحن نشكره ونستكمل ما بدأه.

إن علماء الحديث مثل البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي ومسند الإمام أحمد والطبراني وابن حبان، اعتمدوا في الحكم علىٰ صحة الأحاديث التي يروونها علىٰ صحة السند فقط، وقد كان المفروض أن يستكمل العلماء من بعدهم هذا الجهد المشكور، فيبحثوا في نقد المتن، ليصلوا إلىٰ أصح المتون، مثلما اجتهدوا ليصلوا لأصح الإسناد، لكن للأسف هذا لم يحدث، فنقد المتن حدث بصورة قليلة جدًا كفقرات داخل بعض الكتب.






الباب الخامس

١. نقد المتن لحديث "ناقصات عقل ودين"
٢. نقد المتن لحديث "وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ"
٣. نقد المتن لحديث "إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا أَقْبَلَتْ، أَقْبَلَتْ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ"
٤. نقد المتن لحديث "الْمَرْأَةُ خُلِقَتٍ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ"
٥. نقد المتن لحديث "فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ"
٦. نقد السند والمتن لحديث "لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً"




سوف نستعرض الآن بعضًا من الأحاديث المشهورة المنسوبة لرسول الله عليه الصلاة والسلام تخص المرأة المسلمة، وسوف نعرضها علىٰ شروط صحة المتن لنرىٰ مدىٰ تحقيقها لهذه الشروط.

الحديث الأول

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي زَيْدٌ هُوَ ابْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: **"يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"**، رواه البخاري.

سنتناول هذا الحديث جملة.. جملة.. ونقسمه لنقاط لنرىٰ مدىٰ توافقه أو تعارضه مع شروط صحة المتن..

الجملة الأولىٰ من الحديث: (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ **فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**،..)

سنأخذ الجملة فيما عدا (تَصَدَّقْنَ) سنبحثها مع الجملة الثانية.

إن المعنىٰ المباشر الواضح لهذه الجملة من الحديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أراه الله تعالىٰ أهل النار، فوجد أن أكثر أهلها النساء، ليسوا الكفار ولا المنافقين ولا الظلمة ولا الطواغيت، لا، إنما هن النساء! **فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ** سنطبق شروط صحة المتن التي طرحناها من قبل ونرىٰ مدىٰ تحققها في متن هذا الحديث، لنرىٰ هل تنطبق عليه فيمكننا مع صحة السند الثقة بأنه كلام رسول الله، أم لن تنطبق عليه، فنخرجه من دائرة كلامه عليه الصلاة وله التسليم.

الشرط الأول: ألا يكون المتن مخالفًا للقرآن الكريم

لا يفرق القرآن الكريم بين الرجل والمرأة في الاتصاف بالصفات الإيمانية والحسنة أو الصفات الكفرية والسيئة ، فلهما نفس الثواب علىٰ أعمال الإيمان، ونفس العقاب علىٰ الأخرىٰ، فلم يجعل سبحانه للنساء حالة خاصة تجعلهم الأكثر دخولًا للنار والعياذ بالله، وفي ذلك آيات عديدة نذكر منها هذه الآيات، يقول تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿١٢٤﴾، النساء.

يقول د. راتب النابلسي في شرح هذه الآيات الكريمة: "﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ﴾ الصالحات كلمة جامعة مانعة، من معانيها الاستقامة، والانضباط، ومن معانيها البذل والعطاء، أنفق ماله، أنفق علمه، أنفق خبرته، أنفق جاهه، أنفق وقته في طاعة الله. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ في هذه الآية إشارة إلىٰ أن المرأة مساوية تمامًا للرجل في التكليف والتشريف وفي المسئولية، لو أن الله عز وجل قال: من

يعمل من الصالحات من المؤمنين تعني أيضًا المؤمنات حكمًا بقاعدة التغليب، ولكن أراد الله أن يؤكد علىٰ أن المرأة كالرجل تمامًا، يمكن أن ترقىٰ إلىٰ أعلىٰ مستوىٰ بعملها.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ما هو النقير؟ أكلت تمرة ثم أمسكت بالنواة، في أحد طرفيها نتوء مؤنف كالإبرة تمامًا، أي حجمه واحد علىٰ خمسين من الميليمتر، إبرة، قال: في مستوىٰ هذا النقير لا تُظلَم، سواء كنت ذكرًا أم أنثىٰ.

يقول تعالىٰ: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾)، التوبة.

ثم يكمل شرحه فيقول: "أيها الأخوة الكرام، من حكمة الله جلّ جلاله في كتابه العزيز أنه إذا حدثنا عن الكفار والمنافقين جاء الحديث عن المؤمنين، وهذا من باب أن تبحث عن هدف، وأن تبتعد عن شيء غير صحيح، فلا بد من التوازن بين الإيجابيات والسلبيات، إن حدَّث عن حال أهل الجنة يأتي ذكر أهل النار، إن حدَّث عن المؤمنين يأتي ذكر الكفار المنافقين، فهذا التوازن أسلوب تربوي رائع لأنه يجعل الإنسان بين الرجاء والخوف.

لذلك أيها الأخوة بعد الحديث عن المنافقين والمنافقات ـ في الآيات ٦٧، ٦٨ ـ وكيف أنهم نقضوا عهودهم مع الله عز وجل، وانحرفوا عن منهج الله، وتعاملوا مع المؤمنين تعاملًا غير منطقي وغير عادل، يأتي ذكر المؤمنين والمؤمنات، فالآية الكريمة الواحدة والسبعون هي قوله تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ ولا بد من وقفة متأنية، هذه الوقفة تبين أن في قواعد البلاغة موضوع اسمه التغليب، فإذا قلت مثلًا: دخل سبعون فتاةً وفتىٰ، تقول: دخل، لا تقول دخلت، سبعون فتاة وفتىٰ، ما دام هناك ذكورًا وإناثًا تكتفي باختيار الذكور كقاعدة نحوية، وقاعدة صرفية، إذًا التغليب عندما يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمئات الآيات في القرآن الكريم، كل هذه الآيات المؤمنات معنيات قطعًا بهذه الآيات من باب التغليب، فإذا قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حتمًا إذا قرأت أخت كريمة مؤمنة هذا القرآن يجب أن تعتقد جازمة أن الله يخاطبها أيضًا علىٰ أساس التغليب، كأن تقول: الوالدان، الرجل لم يلد، لكن الوالدان تغليب صفة الأم كوالدة علىٰ الأب، وهكذا القمران، الشمس والقمر، فهذا التغليب قاعدة بلاغية.

فالله عز وجل في كل القرآن الكريم إذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذه الآية تعني يا أيتها المؤمنات من باب التغليب.

لكن في بعض الآيات القليلة ولحكمة بالغةٍ جاء ذكر المؤمنين والمؤمنات:

يقول تعالىٰ: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ ۗ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾)، التوبة.

الله عز وجل ذكر المنافقين والمنافقات، وحدثنا عن أحوالهم، وذكر الكفار ثم يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، لو رجعنا قليلًا إلىٰ الآية السابعة والستين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ ما الفرق بين ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ -علىٰ المنافقين والمنافقات- و﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾-تعني المؤمنين والمؤمنات؟

فرق كبير جدًا، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ هم متشابهون.

لكن المؤمنين والمؤمنات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ المؤمن ينصح أخاه، إن رأىٰ فيه خللًا يرشده إلىٰ هذا الخلل، إن رأىٰ ضعفًا في عبادته ينصحه ببرفق، فهناك تناصح مستمر، هذا التناصح يرقىٰ بالمجتمع الإيماني.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ مرة ثانية، المؤمنة تصل إلىٰ أعلىٰ درجة يصلها المؤمن، ونقول دائمًا: النساء يساوون الرجال في التكليف، والتشريف، والمسئولية، هن مكلفات كما يكلف الرجال، وهن مُشرفات كما يُشرف الرجال، وهن مسئولات كما يسُأل الرجال،

المرأة مساوية للرجل تمامًا في التكليف والتشريف والمسئولية. ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ الولاية: أنت وليّ، أي تنصحني، أنت وليّ ترشدني، تساعدني، تأخذ بيدي، تتعاون معي، التناصح، والتناصر، والتعاون، هذه صفات المؤمنين، فمجتمع المؤمنين يرقىٰ، يرقىٰ باستمرار، يرقىٰ بأدب، أي لا يوجد تناصح علني، فيما بينك وبينه، ما دام هذا الأخ مؤمنًا وأنت مؤمن رأيت فيه خللًا، تنصحه بينك وبينه، فيدع هذا الخلل، ولك أجر وله أجر". انتهىٰ كلام د. النابلسي.

هكذا نقرأ ونفهم ونتدبر كلام رب العالمين، جعل المؤمنين والمؤمنات في درجة واحدة تمامًا من القدرة علىٰ الوصول لأعلىٰ مراتب الإيمان، ولديهم من الأخلاق العلية والعقل السليم ما يجعلهم يتناصحون ويكونون أولياء لبعضهم البعض، فلا أفضلية لذكر ولا أنثىٰ، إنما الأفضلية للمؤمنين والمؤمنات، الذين يتناصحون في الخير ويعينون بعضهم البعض علىٰ البر والتقوىٰ، وكلام رب العالمين واضح ومباشر ولا تأويل فيه ولا تغيير.

وهكذا كل الآيات التي ذكرت الذكر والأنثىٰ بمساواة كاملة في الملكات والصفات الإيمانية التي تمكنهم من الوصول لأعلىٰ درجات ومراتب الإيمان، يقول تعالىٰ: (**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) ﴿٩٧﴾ النحل.

ويقول تعالىٰ: (**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**) ﴿٤٠﴾، غافر.

نخلص من هذا العرض عدم تحقق أول وأهم معيار من معايير صحة المتن في هذه الجملة، وهو ألا يكون مخالفًا للقرآن الكريم، فقد وجدنا هذه الجملة مخالفةٌ لكلام رب العالمين، ومتناقضة مع حكمه بالمساواة التامة بين الذكور والإناث في القدرة علىٰ الوصول لأعلىٰ درجات الإيمان والأخلاق، وبالتالىٰ فلا مجال ولا سبب في جعل النساء زمرة واحدة مستحقات لأن يكن أكثر أهل النار.

إذًا هذه الجملة من المتن

(**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ،..**)

مخالفة لصريح آيات القرآن الكريم التي أتت بالمساواة التامة بين الرجال والنساء في الثواب والعقاب.

الشرط الثاني: ألا يكون المتن مخالفًا لصفة من صفات الله تعالىٰ

التعبير بهذه الصورة (**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ**) يعمم الحكم باستحقاق النار علىٰ كل النساء، ولم يلجأ رب العالمين للتعميم أبدًا لأن فيه ظلم بيِّن، ويظهر هذا في عشرات الآيات لأنه سبحانه الحق العدل يحاسب بالذرة وليس بالجملة، يقول تعالىٰ: (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾)، الزلزلة. فهو سبحانه العدل، حتىٰ أنه لما يصف أهل

الكتاب، لا يصفهم كلهم بالصفة السيئة التي يأخذها عليهم، بل يقول سبحانه (ومنهم) و(منهم) يقول تعالىٰ: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا..) ﴿٧٥﴾، آل عمران.

ويقول تعالىٰ: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ﴿١٦٨﴾، الأعراف.

وهو سبحانه لما ينزل العذاب علىٰ قومٍ يستثني منهم الصالحين، فلا وجود عنده تعالىٰ لحكم عام ينزل بالصالح والطالح، يقول تعالىٰ: (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾)، الأعراف. ويقول تعالىٰ: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٥﴾)، الأعراف. وهكذا في عشرات الآيات الواضحة البينة، التي تؤكد أنه الله سبحانه وتعالىٰ عما يصفون، لا يصدر حكمًا عامًا علىٰ مجموعة كاملة ويجعلهم أكثر أهل النار، ومن يجرؤ علىٰ وصفه سبحانه بهذا، فقد افترىٰ علىٰ الله الكذب.

لذلك فمن المستحيل علىٰ رب العالمين وهو العدل ويأمر بالعدل، أن يصدر حكمًا عامًا باستحقاق النار علىٰ معشر النساء، ومنهن المؤمنات والصحابيات الجليلات، والمجاهدات الصالحات، والأمهات المكافحات.

وبهذا فإن هذه الجملة من المتن

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ،..)

مخالفةٌ لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي العدل، وما كان العدل سبحانه أن يحكم علىٰ جنس كامل باستحقاق النار.

ثم إن يوم القيامة وأحداثه والحساب ومن في الجنة ومن في النار، هي من الغيبيات التي تفرَّد بعلمها رب العالمين، يقول تعالىٰ: (..وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ..) (179)، آل عمران. ويقول تعالىٰ: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ..) (٥٩)، الأنعام.

فالله تعالىٰ وحده لا شريك له، له علم الغيب، ولا يعلم أحدٌ شيئًا من الغيب إلا هو، نؤمن بالغيب كما أخبرنا به، أن هناك الحياة الآخرة، ويوم القيامة، والحساب، والجنة والنار، لكنه سبحانه لم يخبر أحدًا مَن بالجنة ومَن بالنار، أصحاب الجنة وأصحاب النار استحقوها بصفات فيهم، لكنه لم يذكر سبحانه طوائف أو جماعات معينة، بل أخذ علىٰ اليهود والنصارىٰ ادعاءهم أنهم أصحاب الجنة، يقول تعالىٰ: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ **بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾)**، البقرة. سمىٰ رب العالمين ادعاءهم أنهم أصحاب الجنة، بالأماني، والأماني هي الرغبات التي لن تتحقق، ثم طلب منهم أن يأتوا ببرهانهم علىٰ هذا الادعاء، لأنه لا يقين لأي كائن علىٰ وجه الأرض بمعرفة

مصيره، وطبعًا بالأولىٰ مصير غيره، إلا أن يتغمدنا الله برحمته، ثم وضع القاعدة الربانية لدخول الجنة، قاعدة من يتبعها أيا كان جنسه أو عمره أو لونه أو انتماؤه، سيدخل الجنة، وهي تسليم الوجه لله تعالىٰ بالطاعة والقلب السليم والأعمال الصالحة.

لذلك فأي ادعاء لأي إنسان علىٰ وجه الأرض بدخول طائفة معينة أو جنس معين الجنة أو النار، هو ادِّعاء كاذب لا يحمل أي ذرة من الحقيقة، بل هي أوهام المدعي.

يقول تعالىٰ: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ﴿١٠٥﴾، التوبة. العمل هو أساس الحكم علىٰ المسلم، ثم هو وحده سبحانه من سنرجع إليه لينبئ كل بني آدم بحقيقة عمله ويحاسبه عليه، ولا يعرف الحساب ولا نتيجته إلا هو عز وجل.

كذلك وجَّه رب العالمين رسوله الأمين أنه عندما يُسأل عن الغيب، يقول: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ **وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴿٥٠﴾)، الأنعام.

ويقول تعالىٰ: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ ۚ **وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ** لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿١٨٨﴾)، الأعراف.

هذه صفة الله تعالىٰ، أنه عالم الغيب، ولا يُطلع علىٰ غيبه أحدًا، وما كان لأحد من رسله وأنبيائه أن يدَّعي علم الغيب، أو يملك الحكم علىٰ أمر يختص به رب العالمين وحده.

ويحتج البعض بالآية (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ **إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾) الجن. للدلالة علىٰ أن الله تعالىٰ يطلع بعض رسله علىٰ الغيب، ويدخلون فىٰ هذا البعض رسول الله عليه الصلاة والسلام، والرد علىٰ هذه الفهم سيكون من خلال نقطتين:

الأولىٰ: يقول ابن عاشور فىٰ تفسيره لهذه الآية: "أي يطلع الله بعض رسله لأجل ما أراده الله من الرسالة إلىٰ النّاس، فيُعْلم من هذا الإيمان أن الغيب الذي يطلع الله عليه الرسل هو من نوع ما له تعلق بالرسالة ، وهو غيب ما أراد الله إبلاغه إلىٰ الخلق أن يعتقدوه أو أن يفعلوه." أي أن الغيب هنا هو ما أنزله علىٰ رسله من رسالات بها اخبار بالغيب كالملائكة واليوم الآخر والجنة والنار...، وبؤكد هذا المعنىٰ الآية التىٰ تليها، يقول رب العالمين: (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾) فهذه الآية بينت نوع الغيب المطلع عليه، وهو الرسالات، وما بها من اخبار بالغيب.

الثانية: أنه إن كان المعنىٰ اطلاع الله تعالىٰ لبعض من ارتضاهم من رسله علىٰ غيبه، فهو لم يسمهم بأسماء ولم يعينهم، فلا يحق لنا أن نعين أحداً فىٰ أمر لم يعينه الله تعالىٰ.

إذًا هذه الجملة من المتن

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ،..)

مخالفةٌ لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي أنه وحده "عَالِمِ الْغَيْبِ".

القاعدة الثالثة: ألا يكون المتن مخالفًا لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وفعله.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي خَارِجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ الْعَلَاءِ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ بَايَعَتِ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اقْتُسِمَ الْمُهَاجِرُونَ قُرْعَةً فَطَارَ لَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فَأَنْزَلْنَاهُ فِي أَبْيَاتِنَا، فَوَجِعَ وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَلَمَّا تُوُفِّيَ وَغُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي أَثْوَابِهِ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام **فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام: وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟ فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللهُ؟ فَقَالَ: أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ وَاللهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللهِ مَا يُفْعَلُ بِي، قَالَتْ: فَوَاللهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا**، رواه البخاري.

رسول الله عليه أفضل الصلاة وله أتم التسليم يقف موقف العبد من ربه، إنه لا يتألىٰ علىٰ الله تعالىٰ، ولا يدَّعي العلم بما هو خاص برب العالمين، فهو وحده ولا شريك له، من يعلم حقيقة القلوب والأعمال، لذلك يستحيل علىٰ بشر لا يملك علم الله تعالىٰ أن يدَّعي المعرفة بمصير فلان أو علان، فما بالنا بمصير طائفة كاملة يمثلون نصف المسلمين، وهن النساء، لذلك توقف تمامًا وبوضوح عندما حكمت

الصحابية الجليلة علىٰ الصحابي المجاهد بأن الله تعالىٰ أكرمه، فقط نرجو له الخير، وأقر قضية مهمة جدًا في علاقة المؤمنين بربهم، وهي التوقف الكامل عن الحكم علىٰ أحد أنه من أهل الجنة أو النار، لذلك يستحيل أن يحكم رسول الله بمثل هذا الحكم الذي نهىٰ الصحابية عنه، وأقر أنه أمر خاص برب العالمين، لا يعلمه سواه.

إذًا هذه الجملة من المتن

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ،..)

مخالفُةٌ لما هو أصح من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام والذي يؤكد فيه عدم قدرته علىٰ الحكم علىٰ أحدٍ بالجنة أو بالنار، وهذا يتوافق مع آيات القرآن الكريم ومع صفة الله تعالىٰ بأنه وحده عالم الغيب.

القاعدة الرابعة: ألا يكون المتن مخالفًا للبديهيات العقلية والمنطق السليم

في هذا الموقف يحدِّث رسول الله عليه الصلاة والسلام النساء المسلمات اللاتي لو استحققن كلهن دخول النار، فهن بالنسبة لعدد أهل النار جميعًا منذ بدء الخليقة إلىٰ يوم القيامة، سيكن نقطة في بحر، فكيف سيكن أكثر أهل النار! إن التفكر في العدد فقط يؤدي بنا مباشرة إلىٰ خطأ لم يكن ليقع فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو الذي أوتي جوامع الكلم ولا ينطق إلا بالحق.

إذًا هذه الجملة من المتن

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ،..)

مخالفةٌ للبديهيات العقلية والمنطق السليم، حيث يستحيل عقلاً أن يزيد عدد النساء المسلمات المستحقات للنار عن عدد أهل النار أجمعين.

بهذا فإننا نرىٰ أن هذه الجملة الأولىٰ من هذا الحديث مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم، ومتناقضة مع حكمه بالمساواة التامة بين الذكور والإناث في القدرة علىٰ الوصول لأعلىٰ درجات الإيمان والأخلاق، وبالتالىٰ فلا مجال ولا سبب في جعل النساء زمرة واحدة مستحقات لأن يكن أكثر أهل النار. ومخالفةٌ لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي العدل، وما كان العدل سبحانه أن يحكم علىٰ جنس كامل باستحقاق النار. ومخالفةٌ لصفة من صفات الله تعالىٰ وهي أنه وحده "عَالِمِ الْغَيْبِ". ومخالفٌة لما هو أصح من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام والذي يؤكد فيه عدم قدرته علىٰ الحكم علىٰ أحدٍ بالجنة أو بالنار، وخالفةٌ للبديهيات العقلية والمنطق السليم، حيث يستحيل عقلاً أن يزيد عدد النساء المسلمات المستحقات للنار عن عدد أهل النار أجمعين.

الجملة الثانية من الحديث: (يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، **تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ** أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، **فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ..**)

تحمل هذه الجملة بمنتهىٰ الوضوح بلا تأويل ولا تغيير، أن النساء المسلمات بصفة عامة وخاصةً مَن أَمَامه من الصحابيات الكرام وزوجات الرسول أمهات المؤمنين ـ اللاتي بالتأكيد يحضرن صلاة العيد ـ يتصفن بصفة قبيحة جدًا تجعل أخلاقيات أي إنسان علىٰ وجه

الأرض في أدنىٰ درجاتها، وهي سلاطة اللسان وفحش الكلام، فمن يكثرن اللعن، يلعن مَن حولهن من الأزواج والأولاد والأصدقاء والجيران، فهؤلاء الصحابيات المؤمنات المجاهدات المكافحات لا يتصفن بحسن الخلق ولا بالصبر ولا بطهارة اللسان وعفة الكلام، بل يتصفن بصفة من أسوأ الصفات، وهي اللسان القبيح الذي يطلق اللعنات علىٰ من حوله، ثم إنهن إلىٰ جانب هذا القبح، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وهناك حديث يشرح معنىٰ يكفرن العشير، مكمل لهذا الحديث، وضعوه في إطار هذه الأحاديث المشوهة للدين من أجل تشويه نفسية الرجال والنساء ونشر الشعور بأن المرأة مخلوق سيئ في ذاته، وقد نجحوا في ذلك للأسف. يقول الحديث، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام: "أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ، قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىٰ إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ"، رواه البخاري.

فمعشر النساء لكونهن نساء، في طبعهن وخلقتهن أنهن لا يعرفن المعروف لمن يعاشرنه وهو طبعًا الزوج، وهو يحسن إليها الدهر كله، لكنها عند أول تقصير منه، تكفر كل الإحسان، وتدَّعي أنها لم تر منه خيرًا قط! النساء المسلمات كل النساء المسلمات يتصفن بهاتين الصفتين كثرة اللعن وكفر العشير.

سنبحث في نقد هذه الجملة من متن الحديث ونرىٰ مدىٰ موافقتها أو مخالفتها لشروط صحة المتن.

القاعدة الأولىٰ: ألا يكون المتن مخالفًا لصريح القرآن الكريم

الحديث يدعو النساء للصدقة (تَصَدَّقْنَ) من أجل جبر هذه الصفات القبيحة والتكفير عنها، وهذه الصفات القبيحة معاصٍ وسيئات، وقد جعل الله تعالىٰ مغفرة السيئات بالتوبة والعمل الصالح والاستقامة علىٰ أمره والانتهاء عما نهىٰ عنه، وليس بالصدقة، فتبعًا لآيات القرآن الكريم، فإن المطلوب هنا من النساء اللاتي يتصفن بهذه الصفات الكريهة القبيحة، التوبة والإيمان وحسن الخلق والانتهاء عما نهىٰ الله تعالىٰ عنه، واتباع ما أمر به، فمعالجة سوء الخلق، يكون بتركه والتوبة منه والاتصاف بحسن الخلق، وليس بالصدقة، إنها لو تصدقت بمالها كله، وبقيت علىٰ سبها ولعنها وكفرها للعشير، ما تُقبل منها ولا كُفرت هذه السيئات. يقول تعالىٰ: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ) ﴿٨٢﴾، طه. فرسول الله عليه الصلاة والسلام المبلغ عن ربه، المبلغ لرسالته لم يكن ليضع طريقًا لمغفرة الذنوب غير الطريق الذي أمر به صاحب الأمر والنهي سبحانه وتعالىٰ، من التوبة عن السوء، والإيمان بما أمر به رب العالمين، والعمل الصالح. فالصدقة لها مواضعها وأهميتها وثوابها، لكنها ليست المكفرة لسوء الخُلق، الذىٰ يكفر سوء الخُلق، حُسن الخُلق.

إذًا هذه الجملة من المتن

(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، **تَصَدَّقْنَ** فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، **فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ..)**

مخالفةٌ لصريح القرآن الكريم الذي جعل التوبة من الصفات السيئة بتركها والتخلق بالأخلاق الحسنة وليس بالصدقة.

القاعدة الثانية: ألا يكون المتن مخالفًا لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام

فرسول الله كمُعلم ومُوجه وهادٍ لأحسن الأخلاق، يستحيل أن يعرف من أحد من الرجال أو النساء خلقًا قبيحًا ثم يترك الأمر كأنه من المسلمات بلا توجيه ولا ردع ولا تربية، وكأنه أقر بوجود هذا الخُلق واعترف به وأنه لا سبيل لتغييره، فقط أمرهم بالصدقة، وهذا مستحيل في حق رسول الله المعلم الهادئ، فلدينا الكثير من الأحاديث فيها توجيهات مباشرة لمن يرىٰ فيه صفة غير إيمانية، يوجهه إلىٰ التخلص من الصفة السيئة، والتخلق بالصفات الحسنة، لذلك يستحيل أن يذكر اللعن وكفر العشير دون نهي وتوجيه.

مثال لذلك، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام: أَوْصِنِي، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ" فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: "لَا تَغْضَبْ"، رواه البخاري. رأىٰ أن به صفة سيئة وهي الغضب، فلم يقل له تصدق، قال له أن يكف عن هذا الخلق ولا يغضب. وفي حديث آخر عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ

الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، **مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ**، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ، لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"، رواه مسلم. لما رأىٰ عليه الصلاة والسلام سلوكًا غير صحيح، بمنتهىٰ الرُقي والوضوح والمباشرة، طلب من الصحابي الجليل تعديل سلوكه ليتناسب مع عبادة الصلاة، ونرىٰ الصحابي يصفه بأنه ما رأىٰ معلمًا قبله ولا بعده أحسن منه تعليمًا، فهو الرسول المبعوث ليعلم الناس ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، فيستحيل في حقه أن يرىٰ معشر النساء بهذه الصفات القبيحة ثم يأمرهن بالصدقة ولا يأمرهن بتركها والاتصاف بالصفات الحسنة.

كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يكره اللعن وحرمه حتىٰ لو كان للحيوانات.. عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، أَنَّ جَارِيَةً، بَيْنَا هِيَ عَلَىٰ بَعِيرٍ أَوْ رَاحِلَةٍ عَلَيْهَا مَتَاعُ الْقَوْمِ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَتَضَايَقَ بِهَا الْجَبَلُ، وأَتَىٰ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام فَلَمَّا أَبْصَرَتْهُ جَعَلَتْ تَقُولُ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: "لا تَصْحَبْنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللهِ". صحيح ابن حبان ـ إسناده متصل، رجاله ثقات.

يخبرنا الصحابي أنهم كانوا في سفر، فمرت القافلة بممر بين جبلين، وكانت فتاة تركب الراحلة وتسوقها، فجاءت بمكان ضاق به الممر بحيث أبطأت الراحلة، ثم وجدت رسول الله علىٰ راحلته قادمًا من أول الممر، فاضطربت وحثت الراحلة علىٰ الإسراع حتىٰ أنها لعنتها، فلما سمع رسول الله بهذا اللعن، أمر بمفارقة هذه الراحلة للقافلة، لما صدر من صاحبتها من لعن لها. فإذا كان يكره أن يُصاحب حيوانًا لُعن، فيستحيل أن يُصاحب الأزواج والأولاد الذين أكثرت الزوجات والأمهات في لعنهم وقد كره رسول الله أن يصحب الحيوان الذي لعنته الجارية، بالرغم من أنه حيوان لا يفقه، إلا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام فعل ذلك حتىٰ لا يتعود المسلمون علىٰ كلمة اللعن ولو كان لحيوان، لبشاعتها وطعنها في الدين، فلنا أن نتخيل غضبه إن كان هذا الأمر علىٰ إنسان.

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّ ثَابِتَ بْنَ الضَّحَّاكِ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، **وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ**، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ"، رواه البخاري. وفي هذا الحديث، "مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ" ومعشر النساء يكثرن اللعن، يلعن من يتعاملن معهن من أزواج وأولاد واخوه وآباء وأمهات، فهن كالقاتلات لكل هؤلاء، وهذا أمر يستحيل أن يفعلنه، ويستحيل أن يقبله رسول الله ويتعامل معه كأنه أمر لا يمكن تغييره، فيأمرهن فقط بالصدقة!

إذًا هذه الجملة من المتن

(تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ،..)

مخالفةٌ لسنة رسول الله وفعله، المُعلم الذي يستحيل في حقه أن يرىٰ خلقًا سيئًا فاحشًا، ثم يتركه بلا توجيه ويكتفي بالأمر بالصدقة.

القاعدة الثالثة: ألا يكون المتن مخالفًا للواقع

في واقعنا المعاش، ومنذ قديم الأزل، من المعروف أن الصفات السيئة التي ذُكرت لا تختص بمعشر النساء، إنما هي صفات سيئة تتواجد في أي شخصية سيئة، سواء كانت من الرجال أو النساء، وحتىٰ سلاطة اللسان والسب واللعن، يخبرنا الواقع أنها تكثر بين الرجال، لكثرة احتكاكهم بظروف العمل، ولسرعة غضبهم. أما كُفر العشير، فهي صفة لسيئ الخُلق من الرجال والنساء، وكم سمعنا عن أزواج كفروا عشرة زوجاتهم وأساؤوا إليهن بعدما قدمن لهم كل ما يمكن تقديمه من خير، فهي صفات تتواجد عند كل إنسان سيئ الخُلق، سواء كان من الرجال أو النساء.

إذًا هذه الجملة من المتن

(تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ..)

مخالفةٌ للواقع، فاللعن، وكفر العشير، صفات لكل سيئ الخلق من الجنسين.

بهذا فإننا نرىٰ أن هذه الجملة الثانية من هذا الحديث مخالفةٌ لصريح القرآن الكريم الذي جعل التوبة من الصفات السيئة بتركها والتخلق بالأخلاق الحسنة وليس بالصدقة. ومخالفةٌ لسنة رسول الله وفعله، المُعلم الذي يستحيل في حقه أن يرىٰ خلقًا سيئًا فاحشًا، ثم يتركه بلا توجيه ويكتفي بالأمر بالصدقة. ومخالفةٌ للواقع، فاللعن، وكفر العشير، صفات لكل سيئ الخلق من الجنسين.

الجملة الثالثة من الحديث: مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا.

هذا الجزء من الحديث يعني أن رسول الله يتعجب من أن النساء رغم أنهن ناقصات عقل ودين، إلا أنهن يستطعن أن يشغلن عقل الرجل الحازم ذي العقل الراجح، فلما سألن رسول الله ما نقصان العقل والدين، أجاب بأن هذا حكم الله، فقد جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وذلك في آية الدين بآخر سورة البقرة، يقول تعالىٰ: (...فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ...) (٢٨٢)، البقرة.

سنبحث في نقد هذه الجملة من متن الحديث (**أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا**)، ونرىٰ مدىٰ موافقتها أو مخالفتها لشروط صحة المتن.

سنبدأ بشرط ألا تكون مخالفة لسنة رسول الله لأن بها أمثلة مبينة لحقيقة منزلة شهادة المرأة.

القاعدة الأولىٰ: ألا يكون المتن مخالفًا لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام

إذا كانت هذه الجملة من الحديث تُرجع سبب وصف الرسول لنقصان عقل المرأة بأن شهادتها نصف شهادة الرجل في الشهادة علىٰ الدين، فإن فعله وسنته عليه الصلاة والسلام أخبرتا عكس ذلك، فرسول الله يخبرنا أن شهادة المرأة تعلو علىٰ شهادة الرجل في أمور هي أهم من الديون والأموال ألف مرة. **عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي تَزَوَّجَ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام بِالْمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ، فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ، وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ"**، رواه البخاري.

لقد تم الأخذ بشهادة المرأة، والتي قد تكون في أدنىٰ السلم الاجتماعي، وقد تكون غير متعلمة، أخذ رسول الله بشهادتها وحدها دون أن يشكك في عقلها ولا أمانتها، وهي شهادة أهم وأخطر من الشهادة في الأمور المالية، حيث يترتب عليها تحريم وتحليل وأنساب ومواريث، وبيت يقوم أو يهدم. في هذه الحالات المهمة والخطيرة، يتم أخذ شهادة المرأة وحدها حتىٰ دون اشتراط امرأة أخرىٰ معها كما يُشترط في شهادة الرجال في مختلف الشهادات، يعني لو جاء الرجل

وحده أو مع غيره بهذه الشهادة لا تقبل، وهذا لأنها الأعلم بهذا المجال، والأكثر اختلاطًا به، وهذا يتم في الحالات التالية: الرضاع والبكارة، والولادة، وعيوب النساء، والحيض، وانقضاء العدة، واستهلال المولود (وهو يعني صرخة المولود ولو لمرة واحدة وبصورة ضعيفة بعد ولادته ثم موته، لأن هذا يترتب عليه أمور كثيرة في الميراث وغيره)، ولا خلاف بين العلماء في قبول شهادة النساء منفردات في هذه الأمور التي يختص الاطلاع عليها بهنّ دون الرجال عادةً.

عن ابن جريج، قال: قال ابن شهاب: "مضت السنة في أن تُجوز شهادة النساء ليس معهنّ رجل فيما يَلِيْنَ من ولادة المرأة، واستهلال الجنين، وفي غير ذلك من أمر النساء الذي لا يطلع عليه ولا يليه إلّا هنّ".

نخرج من هذا التبيان لفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام، وموقف الفقه من بعده، أن المرأة كاملة العقل، تُقبل شهادتها ـ ولو كانت أمة أو جارية ـ في أخطر الأمور التي يترتب عليها أحكام أسرة كاملة من حيث الأنساب والمواريث والتحريم والتحليل، حيث أنها لو كانت ناقصة وضعيفة العقل، لكان من المستحيل أن يطمئن المجتمع إلىٰ قبول شهادتها وحدها في هذه الأحكام الخطيرة، لذلك فإن العلة المذكورة في الحديث للحكم بنقصان عقلها، ليست صحيحة، فلا يعقل أن تكون المرأة كاملة العقل عند شهادتها علىٰ الرضاع والعدة والولادة، وناقصة العقل عند الاتفاقات المالية! لذلك فإن الحكم بأن الله تعالىٰ جعل شهادتها علىٰ النصف من شهادة الرجل لا تعني نقصان العقل.

إذًا هذه الجملة من المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام التي أقرت الأخذ بشهادة المرأة منفردة في أمور مهمة تخص الأسر المسلمة وينبني عليها أحكام في غاية الأهمية.

القاعدة الثانية: ألا يكون مخالفًا للقرآن الكريم

١) يقول تعالىٰ: (**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾**) النساء.

تبدأ الآية الكريمة بأمر رباني بأن يعطي الزوج زوجته صداقها (مهرها) نحلة أي هدية بلا نية في استرجاعه، يقول د. النابلسي: (عقد الزواج أقدس عقد علىٰ الإطلاق، والله سبحانه وتعالىٰ أوجب للمرأة مهرًا، وهذا المهر نحله اللهُ المرأةَ، هذا الحق نحلة من الله، لذلك أمر الأزواج أن يؤتوا نساءهم صدقاتهن، الصدقات هي المهور، وأي عقد زواج ليس فيه مهر هو عقد فاسد. وقال بعض المفسرين: نحلة أي أن يدفع الرجل مهرها إليها عن طيب نفس دون أن تفكر في استرداده، والمرأة تمتلك مهرها كاملًا ولها أن تتصرف فيه، وهذا المهر يتدرج من العشرات إلىٰ الملايين).

هذه الآيات الكريمة تُظهر بمنتهىٰ الوضوح والمباشرة بلا أي تأويل ولا تغيير، أن للمرأة تملُّك مالها، ولها أن تتصرف فيه كما تشاء، بالبيع والشراء والتجارة، من خلال كتابة العقود والديون وما إلىٰ ذلك. ولم يضع الله تعالىٰ عليها أي ولاية أو أي محاذير في أن تفعل بمالها ما تشاء، وذلك لأنها مثل الرجل، كاملة العقل تستطيع إدارة أموالها بنجاح.

ثم في الآية التي تليها يأمرنا رب العالمين ألا نؤتي السفهاء أموالنا، يقول ابن عاشور في هذه الآية: (يراد به مطلق من ثبت له السفه، سواء كان عن صغر أم عن اختلال تصرّف، فتكون الآية قد تعرّضت للحجر علىٰ السفيه الكبير استطرادًا للمناسبة، وهذا هو الأظهر لأنّه أوفر معنىٰ وأوسع تشريعًا).

وفي معجم المعاني الجامع: السفاهة تعني نقص في العقل، حُمق وجهل. والسفيه من الناحية القانونية هو المبذر الذي يصرف ماله علىٰ غير مقتضىٰ العقل.

ثم نرىٰ العجب العجاب في تفسير هذه الآيات عند ابن كثير يقول: (ينهي تعالىٰ عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياما، أي: تقوم بها معايشهم من التجارات وغيرها. ومن ها هنا يؤخذ الحجر علىٰ السفهاء، وهم أقسام: فتارة يكون الحجر للصغر، فإن الصغير مسلوب العبارة، وتارة يكون الحجر للجنون، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين، وتارة يكون الحجر

للفلس، وهو ما إذا أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها، فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه.

ويستكمل بيقول: وقد قال الضحاك عن ابن عباس في قوله: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) قال: هم بَنوك والنساء (وحاشاه رضي الله عنه أن يقول هذا)، وكذا قال ابن مسعود، والحكم بن عتيبة والحسن، والضحاك: هم النساء والصبيان. وقال سعيد بن جبير: هم اليتامىٰ! وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: هم النساء. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العائكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "وإن النساء السفهاء إلا التي أطاعت قيمها (كفيلها أو وليها)".

هذا التفسير العجيب يريدنا أن نؤمن بالشيء وعكسه، في الآية ٤ يأمر رب العالمين أن يؤتي الأزواج زوجاتهم مهرهن كاملًا مهما كان كبيرًا، فقد يكون ملايين، يقول تعالىٰ: (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) ﴿٢٠﴾، النساء. ثم في الآية ٥ يفسر المفسرون النهي عن عدم إتيان السفهاء الأموال، بأنه نهي رب العالمين وأمره ألا يعطوا النساء أموالهم لأنهن هن السفهاء! وينسبون هذا الكلام لسيدنا ابن عباس رضي الله عنه، العالم بالقرآن الكريم الوقاف عند حدوده، فكيف يأمرنا رب العالمين في الآية ٤ بإعطاء النساء صدقاتهن كاملة بلا استرجاع، ثم

يأمرنا في الآية ٥ ألا نعطيهن الأموال لأنهن المقصودات بصفة السفهاء! هذا تناقض وتضارب لا يمكن لأي عقل أن يقبله.

وليؤكد ابن كثير علىٰ المعنىٰ الذي ذكره من سفاهة النساء، يستشهد بهذا الحديث رغم وضوح فساد متنه وسنده، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: "أَلا إِنَّ النَّارَ خُلِقَتْ لِلسُّفَهَاءِ، وَهِيَ لِلنِّسَاءِ، إِلا الَّتِي أَطَاعَتْ قَيِّمَهَا"، رواه الطبراني، (إسناد شديد الضعف فيه علي بن يزيد الألهاني وهو منكر الحديث).

إن أي عارف بالدين وبالنور الذي يخرج من كلمات رسول الله التي ينطق بالحق، لا بد أن يحكم ودون تردد أن هذا حديث موضوع مكذوب يخالف آيات القرآن الكريم وكل صفات الله تعالىٰ ورسوله وقواعد الدين والأخلاق، وبالتالي لا يستخدمه أبدًا، لكن لأن الفكرة فاسدة، فلن يُستدل عليها إلا بدليل فاسد.

ومما يؤكد علىٰ أهلية المرأة الكاملة في التصرف في أموالها مهما بلغ حجمها، ما أقره رب العالمين لها في الميراث، فلها نصيب مفروض، لها الحق التام في تملكه والتصرف فيه، مثلها مثل الرجل تمامًا، وهذا يدل علىٰ المساواة التامة بينهما في العقل والقدرة علىٰ إدارة الأموال والتصرف فيها.

إذًا القرآن الكريم يقر الحق الكامل للمرأة أن تتملك الأموال وأن تنفقها كما تشاء، كما يتملك الرجل الأموال وينفقها كما يشاء، ومن هذا الأمر أقر الفقهاء الذمة المالية المستقلة للمرأة، وأثبت لها حقها في

التملك والتصرف في أموالها وأملاكها كيفما شاءت، سواء كانت بالعمل أو الميراث أو المهر أو الهبة، ولا علاقة لأحد في تصرفها في مالها، ولا يحق لأحد أن يعقب عليها إلا من باب النصح فقط، كل هذا يدل علىٰ التساوي التام في العقل.

إذًا هذه الجملة من هذا المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت كمال عقلها، فمنحتها الحق فىٰ تملك كل أنواع الأموال مهما بلغت، وأقرت لها الحق الكامل في إدارة أموالها.

٢) يقول تعالىٰ: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) (١٢)، الممتحنة.

المبايعة لا تكون إلا مع كاملي الأهلية، وأصحاب القدرة العقلية علىٰ الإختيار والقيام بتنفيذ هذه البيعة، واتخاذ البيعة من النساء كما أخذها رسول الله من الرجال تدل علىٰ تساوي العقول وعدم وجود أي نقص لدىٰ النساء يمنعهن من المبايعة علىٰ عقد إيماني في غاية الأهمية، فناقصات العقل ناقصات الأهلية، لا يجوز التعاقد معهن، لكن هذا العقد الذي يفوق في قدره وأهميته أي عقد دنيوي، تم مع النساء وذكره

رب العالمين، ليؤكد كمال عقلهن وقدرتهن علىٰ الحفاظ علىٰ العقود والقيام بها.

إذًا من هذا العرض المختصر للآيات الكريمة والتي تشبهها كل آيات المواريث، والتي بها يعطي رب العالمين المرأة حقوقها المالية كالرجل بلا تخوف من نقص أو ضعف في عقلها، نرىٰ مخالفة هذا الحكم لأحكام القرآن الكريم.

إذًا هذه الجملة من هذا المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت كمال عقلها، حيث أمر رب العالمين رسوله بمبايعة النساء كما بايع الرجال.

٣) يقول تعالىٰ: (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾**)، الأعراف.

في هذه الآية الكريمة استخدام رب العالمين الفعل المذكر، ليس لأن الله تعالىٰ أخذ الشهادة من الذكور فقط، ولكن لأن هذا الفعل يستخدم ليدل علىٰ كل من الرجل والمرأة سواء بسواء، وهناك عدة مواضع بالقرآن الكريم تجعل شهادة الرجل والمرأة سواء، لأن الخطاب في اللغة العربية لطائفة تحوي ذكورًا وإناثًا، يكون الاسم أو الوصف أو

الفعل المذكر هو المستعمل في الخطاب ويُحمَل للجنسين معا طالما كان السياق لا يؤكد اختصاصه بالذكور فقط.

كمثال يقول تعالىٰ: (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا) ﴿٢﴾، الطلاق.

الأمر بالشهادة في هذه الآية الكريمة جاء بصيغة المذكر والتي تشمل الذكور والإناث، فالمطلوب هنا شهادة اثنين يتصفان بالعدل سواء كانا ذكرين أو أنثيين، وهكذا في الآيات المماثلة.

ويقول تعالىٰ: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾)، النور. في هذه الآيات الكريمة جعل رب العالمين شهادة الزوج وحده مساوية تمامًا لشهادة الزوجة وحدها، فكما يؤخذ بشهادة الزوج، يؤخذ بشهادتها، بلا تمييز بين الشهادتين، وبلا تشكيك في قدرتها علىٰ الشهادة، فلو كانت ناقصة العقل ولا يمكنها أن تقوم بالشهادة وحدها، كان لا بد من اتخاذ طريق أخرىٰ لمعالجة الأمر، لكن تم الحكم بناءً علىٰ المساواة التامة بين الزوجين في القدرة علىٰ الحكم وعلىٰ الشهادة.

إذًا هذه الجملة من هذا المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت مساواة المرأة للرجل في مختلف الشهادات الأخرىٰ.

٤) يقول تعالىٰ: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾)، الفتح.

في هذه الآيات الكريمة، ذكر رب العالمين الطائعين من عباده سواء كانوا رجالًا أو نساءً، علىٰ قدم المساواة في الثواب، فلهما نفس الثواب، وكذلك ذكر العصاة من الرجال والنساء، علىٰ قدم المساواة في العقوبة، فلهما نفس العقوبة، وهذا يدل علىٰ أن كليهما مكلف علىٰ السواء، والعقل مناط التكليف، فمناط الطاعة أو المعصية، العقل، فلو كان عقل المرأة ناقصًا ضعيفًا، لم يكن من العدل مساواتها بمن هو أعقل منها في التكاليف وفي الثواب والعقاب، والله تعالىٰ هو العدل، لم يكن ليساوي ناقصات العقل من النساء، بأصحاب العقل الكامل من الرجال، فيطالبهن بالوصول لأعلىٰ درجات الإيمان كما يطلب ذلك من أصحاب العقل الكامل، أو يجعل لهن نفس الثواب ونفس العقاب،

فناقص العقل من العدل أن تكون له معاملة خاصة، فيكون غير مطالب بما هو مطالب به الكامل، ولا يكون عليه عقاب الكامل، لكن المساواة التامة بالقرآن الكريم في كل هذه الأمور، لا تعني سوىٰ المساواة التامة في العقل، الذي يملك كل أدوات المعرفة، والقدرة علىٰ الاختيار، ويتحمل نتائج اختياراته.

يقول د. محمد عمارة في مقالته بجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٢: "في الاسلام العقل هو مناط التكليف، فغيبة العقل ترفع التكليف، ونقصانه ـ مثل السفه ـ يخل بمؤهلات التكليف. وبما أن التكليف في الفرائض الإسلامية، موجه إلىٰ الرجال والنساء علىٰ حد سواء فلا يمكن أن تكون المرأة ناقصة في العقل بمعنىٰ الضبط والإدراك، وفي هذه الحقائق ـ التي غفل ويغفل عنها الكثيرون ـ يقول الإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت (١٣١٠ ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٨٩٣ ـ ١٩٦٣م) «لقد قرر الإسلام الفطرة التي خُلقت عليها المرأة، فطرة الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم، فهي ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها، وعن بيتها، وعن جماعتها، وهي لا تقل في مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل، وإن منزلتها في المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة، وطاعة الرجل لا تنفعها وهي طالحة منحرفة، ومعصيته لا تضرها وهي صالحة مستقيمة (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤))،

النساء. (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ (١٩٥))، آل عمران.

إذًا هذه الجملة من المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لما ورد بصريح القرآن الكريم من المساواة التامة بين المسلمين والمسلمات في الثواب وفي العقاب، ذلك للتساوي في القدرة علىٰ الاختيار، وهذه المساواة لا تكون إلا بين ذوي العقول المتماثلة.

القاعدة الثالثة: ألا يكون المتن مخالفًا لقاعدة فقهية (المنطق)

علل هذا الحديث الحكم بنقصان عقل المرأة بأن الآية الكريمة جعلت شهادة المرأتين تساوي شهادة رجل واحد، **(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)** سنبحث صحة هذا الجزء من الحديث من خلال القاعدة الفقهية التي وضعها العلماء لاستنباط الأحكام القرآنية، وهىٰ "الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا" أي مصاحبة الحكم للسبب الذىٰ من أجله صدر هذا الحكم، فإذا زال السبب، زال الحكم. قال ابن القيم رحمه الله: "إذا علَّق الشارع (الله تعالىٰ) حُكمًا بسبب أو علة زال ذلك الحكم بزوالها". وفي الآية يقول تعالىٰ: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ (٢٨٢))، البقرة.

جاءت هذه الآية الكريمة في الشهادة علىٰ كتابة الدَين، أي في الأموال وما يخص العمل بالأسواق والتجارة، وقد علل رب العالمين اتخاذ امرأتين مع رجل بدلًا عن رجلين، بقوله: (أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ) أي هذا الحكم بسبب الخوف من أن تنسىٰ إحداهما، فتذكر أحداهما الأخرىٰ. وهو سبحانه لا يأتي بحرف ولا كلمة إلا بعلم وبحكمة، فقد كان يستطيع سبحانه أن يتوقف عند "مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ" وفقط علىٰ إطلاقها بلا تكملة ولا تعليل، وبذلك يتم الأمر ويتحقق الحكم، لكنه العليم الحكيم، يذكر العلة لتدور مع الحكم الذي أصدره، فقد علل الأمر بإمكانية أن تنسىٰ المرأة الواحدة أمرًا مهمًا في شروط هذا العقد، فتذكرها الأخرىٰ به، لماذا ذكر الله تعالىٰ هذه العلة أو هذا السبب، لأنه كان الغالب في النساء البعد عن أمور السوق وأمور التجارة، فإذا انتفت هذه العلة، وكانت المرأة الموجودة متمكنة من أمور السوق وخبيرة بما يحدث فيه من تعاقدات، فينتفي الحكم بوجوب وجود امرأتين فىٰ مقابل رجل واحد، وتكفي امرأة واحدة ورجل واحد أو أمرأتين أو رجلين.

إذًا العلة التي ذكرها الله تعالىٰ في الآية والتي من أجلها أوجب شهادة امرأتين هي نقصان العلم وليس في نقصان العقل. فلو توافر العلم تغير الحكم، ولو لم يكن الأمر معللًا بنقص الخبرة والبعد عن أمور السوق، ما ذكره رب العالمين ولكان الحكم مطلق بلا تعليل.

وكما بينا من قبل في الأخذ بشهادة امرأة واحدة في أمور الأسرة التي تعلمها النساء، ولا يؤخذ بشهادة الرجال مهما بلغ عددهم ذلك لعدم

تمكن الرجال من التواجد في هذه الأجواء الخاصة بالنساء، فلم يحكم أحدٌ أن هذا يعني نقصان عقل الرجال، لكنه أُرجع لسببه الواضح وهو نقصان العلم وليس نقصان العقل، كذلك الأمر في كتابة العقود والتواجد بالأسواق، علة اتخاذ شهادة امرأتين بدلًا من رجل واحد، هو نقصان العلم وليس نقصان العقل.

إذًا هذه الجملة من المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ لقاعدة مهمة من القواعد الفقهية، وهي مصاحبة الحكم لعلته، فإذا انتفت علة النسيان، انتفىٰ الحكم.

القاعدة الرابعة: ألا يكون مخالفًا للواقع

ماذا يخبرنا الواقع الذي نعيشه وعاشه أجدادنا وسيعيشه أحفادنا؟ يخبرنا أن مهمة المرأة كزوجة وكأم في غاية الأهمية والخطورة، كلنا نعلم أن الإدارة الناجحة للبيت بكل مهماته الشاقة، وتربية الأبناء بكل تفاصيلها التي لا تنتهي، ومراعاة الزوج بكل احتياجاته .. في حاجة لإنسانة تتمتع بقدر عالٍ من العقل والحكمة، هذه المهمة الخطيرة جدًا في تكوين المجتمع الناجح، وُسدت للمرأة، فإذا كانت ناقصة العقل خِلقةً وسيئة الخُلق طبعًا، فكيف يأتمنها المجتمع علىٰ صلاح الأسرة، وكيف يأمن الرجل علىٰ بيته وعلىٰ أولاده إذا كانت زوجته ضعيفة العقل سيئة الخُلق! لماذا لم يوكل المجتمع هذه المهمة الخطيرة

لكاملي العقل من الرجال؟ لماذا تترك البيوت لناقصات العقل اللاتي لا يُحسنَّ التصرف، وبالتالي لا يمكنهن تربية الأبناء ولا إدارة البيت ولا معاملة الزوج؟

إن الواقع يفرض حُكمه، إن حُكمَه أن المرأة تملك العقل الكامل الذي يؤهلها لأداء هذه المهمة الخطيرة، وقد ثبت هذا علىٰ مر العصور من خلال ملايين الأسر التي نجحت بسبب العقل الراجح للزوجة والأم التي قامت بمهامها علىٰ خير وجه، وفي هذا يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام، عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"، رواه البخاري.

فكما أن الرجل راعٍ ومسئول عن رعيته، فالزوجة راعية ومسئولة عن رعيتها، وقد نجد من الرجال من يتخلون عن مسئولياتهم ولا يقومون بواجباتهم ولا يرعونها، وكذلك قد نجد من النساء من يتخلين عن واجباتهن ولا يقمن بمسئولياتهن ولا يرعنَّها، وليس هذا لضعف العقل، لكنه لاتباع الهوىٰ وسوء الخلق عند كل من الرجال والنساء علىٰ حد سواء.

إذًا هذه الجملة من المتن

(أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا)

مخالفةٌ للواقع الذي يأتمن النساء علىٰ أخطر مهمة وهي مهمة إدارة الأسرة وتربية الأبناء، وهذا دليل عملي قطعي علىٰ كمال عقلهن.

بهذا نرىٰ أن هذه الجملة الثالثة من الحديث مخالفةٌ لشروط صحة المتن فهىٰ مخالفةٌ لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام التي أقرت الأخذ بشهادة المرأة منفردة في أمور مهمة تخص الأسر المسلمة وينبني عليها أحكام في غاية الأهمية. ومخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت كمال عقلها، فمنحتها الحق فىٰ تملك كل أنواع الأموال مهما بلغت، وأقرت لها الحق الكامل في إدارة أموالها. ومخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت كمال عقلها، حيث أمر رب العالمين رسوله بمبايعة النساء كما بايع الرجال. ومخالفةٌ لآيات القرآن الكريم التي أثبتت مساواة المرأة للرجل في مختلف الشهادات الأخرىٰ. ومخالفةٌ لما ورد بصريح القرآن الكريم من المساواة التامة بين المسلمين والمسلمات في الثواب وفي العقاب، ذلك للتساوي في القدرة علىٰ الاختيار، وهذه المساواة لا تكون إلا بين ذوي العقول المتماثلة. ومخالفةٌ لقاعدة مهمة من القواعد الفقهية، وهي مصاحبة الحكم لعلته، فإذا انتفت علة النسيان، انتفىٰ الحكم. ومخالفةٌ للواقع الذي يأتمن النساء علىٰ أخطر مهمة وهي مهمة إدارة الأسرة وتربية الأبناء، وهذا دليل عملي قطعي علىٰ كمال عقلهن.

الجملة الرابعة من الحديث: "أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا".

يقول الحديث إن النساء ناقصات دين بسبب أنهن في الحيض لا يصلين ولا يصمن، وفي المعجم نقص الشيء: ذهب منه شيء عن تمامه، نَقَصَ الشيءُ نَقَصَ ُ نَقْصًا، ونُقْصانًا: خَسَّ وقَلَّ. أي أن المرأة قل دينها وذهب منه قدرٌ نتيجة الحيض الذي لا تصلي فيه ولا تصوم.

وسوف نستعرض هذا التفسير لنقص الدين لنرىٰ مدىٰ تطابقه مع شروط صحة المتن.

القاعدة الأولىٰ: ألا يكون مخالفًا للقرآن الكريم

اعتبر الحديث أن أمر الله للمرأة بعدم الصلاة لأنه كتب لها الحيض، هو نقصان في دينها! لم يستح قائل هذا الكلام من أن يصم الله تعالىٰ بالظلم، فكيف يكتب الله تعالىٰ علىٰ مسلمٍ مانعًا يمنعه من الحج مثلًا.. ثم يجعل هذا نقصًا في دينه، يقول تعالىٰ: (.. وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا..) (٩٧)، البقرة. فهل من عاش ومات ولم يستطع الحج لأن الله تعالىٰ أمره ألا يحج إن لم يستطع إليه سبيلًا، هل ندعوه بناقص الدين! فلما يأمرها الدين ألا تصلي في أوقات الحيض، ندعي أن هذا نقصان في الدين!

ومثلا علىٰ مستوىٰ البشر، لو مدرس في فصل يعطي درجات علىٰ الحضور في حصته، ثم طلب من البعض القيام ببعض المهام خارج الفصل أثناء الحصة لصالح كل المجموعة، ثم بمجرد خروجهم

سجلهم لديه غياب، والغياب عن الحصة يعني نقصان درجاتهم، هل يمكن أن نصف هذا المدرس بالعدل؟! بالطبع هو ظالمٌ وتصرف تصرفًا غير أخلاقي في حق الطلبة الذين طلب منهم أداء المهام ثم سجلهم غياب فأنقص درجاتهم، فإذا كان هذا في حق البشر، فحاشاه تعالىٰ وهو العدل أن يفعل ذلك. يقول تعالىٰ: (لَيْسَ عَلَىٰ الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَىٰ الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَىٰ الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾)، التوبة.

رب العالمين الحق العدل أرحم الراحمين، لا يؤاخذ من كتب عليهم المرض، ويجعلهم في حل من الخروج للجهاد، لكنه يؤاخذ القادر علىٰ الخروج ولم يفعل، ومن سوء الأدب مع رب العالمين بعد أن بيَّن لنا آياته وأحكامه، نفتري عليه الكذب وندَّعي غير ما يقول.

إذًا هذه الجملة من المتن

"أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ ...؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"

مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم ولصفة الله تعالىٰ بالعدل، فما كان سبحانه لينقص من دين من أطاعه.

ويقول تعالىٰ: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ﴿١٨٥﴾، البقرة.

فالله تعالىٰ أرحم الراحمين رخص للمريض والمسافر الإفطار في شهر رمضان، بلا تهديد بأن هذا سيكون نقصانًا في الدين ولا في الثواب، بل أسماه يسرًا يحبه الله تعالىٰ وغير ذلك عسرٌ لا يحبه، وهكذا الإفطار لظرف الحيض، هو من المرض الذي رخص فيه تعالىٰ الإفطار، وجعل له قضاءً في أيام أخر، لذلك فإن الحكم علىٰ الإفطار أثناء الحيض بأنه نقص في الدين، حكم يتناقض مع حكم الله تعالىٰ.

إذا هذه الجملة من المتن

"أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ ... لَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"

مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم وحكم الله تعالىٰ، الذىٰ دعانا للتيسير بالأخذ برخصة الإفطار لغير القادر ولم يحكم عليه بنقص الدين.

القاعدة الثانية: ألا يخالف سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام

هناك عدة أحاديث لرسول الله عليه الصلاة والسلام تبين أن الله تعالىٰ يعطي المريض ثواب ما كان يفعله وهو صحيح، ما دام الذي منعه هو المرض الذي كتبه الله تعالىٰ له.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام كَانَ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: "إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا، وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ"، رواه البخاري.

كَانَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي كَبْشَةَ يَصُومُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لَهُ: أَبُو بُرْدَةَ سَمِعْتُ أَبَا مُوسَىٰ مِرَارًا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: "إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا"، رواه البخاري.

فالمرأة لو كانت محافظة علىٰ صلاتها، ثم كتب الله تعالىٰ لها الحيض ـ وهو كالعذر أو المرض ـ وأمرها ألا تصلي في هذه الفترة رحمة بها، فرسول الله عليه الصلاة والسلام بشرها بالأجر كاملًا، وهذا هو ما يتوافق مع كلام الله تعالىٰ. لذلك فإن علمنا بالله تعالىٰ وعدله التام، يجعلنا نؤمن ونصدق حديث رسول الله من أنه سبحانه يعطي المرأة ثواب الصلاة كاملة لطاعتها له فيما أمر من ترك الصلاة في هذه الفترة، وبالتالي فهي ليست بناقصة الدين لتركها الصلاة والصيام فترة الحيض، بل هي مُثابة ولها الأجر كاملًا.

وتأكيدًا علىٰ ما قاله رسول الله في هذه الأحاديث، سنرىٰ موقفه من السيدة عائشة عندما أتاها الحيض أثناء أدائها الحج، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ وَلَيَالِي الْحَجِّ وَحُرُمِ الْحَجِّ، فَنَزَلْنَا بِسَرِفَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَعَهُ هَدْيٌ فَأَحَبَّ أَنْ يَجْعَلَهَا عُمْرَةً فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ فَلَا، قَالَتْ: فَالْآخِذُ بِهَا وَالتَّارِكُ لَهَا مِنْ أَصْحَابِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا

رَسُولُ اللهِ وَرِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَكَانُوا أَهْلَ قُوَّةٍ، وَكَانَ مَعَهُمُ الْهَدْيُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَىٰ الْعُمْرَةِ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ يَا هَنْتَاهُ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِأَصْحَابِكَ فَمُنِعْتُ الْعُمْرَةَ، قَالَ: وَمَا شَأْنُكِ، قُلْتُ: لَا أُصَلِّي، قَالَ: فَلَا يَضِيرُكِ، إِنَّمَا أَنْتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِ آدَمَ كَتَبَ اللهُ عَلَيْكِ مَا كَتَبَ عَلَيْهِنَّ، فَكُونِي فِي حَجَّتِكِ فَعَسَىٰ اللهُ أَنْ يَرْزُقَكِيهَا، قَالَتْ: فَخَرَجْنَا فِي حَجَّتِهِ حَتَّىٰ قَدِمْنَا مِنًىٰ فَطَهَرْتُ، ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْ مِنًىٰ فَأَفَضْتُ بِالْبَيْتِ، قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَتْ مَعَهُ فِي النَّفْرِ الْآخِرِ حَتَّىٰ نَزَلَ الْمُحَصَّبَ وَنَزَلْنَا مَعَهُ، فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: اخْرُجْ بِأُخْتِكَ مِنَ الْحَرَمِ فَلْتُهِلَّ بِعُمْرَةٍ، ثُمَّ افْرُغَا، ثُمَّ ائْتِيَا هَا هُنَا فَإِنِّي أَنْظُرُكُمَا حَتَّىٰ تَأْتِيَانِي، قَالَتْ: فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغْتُ وَفَرَغْتُ مِنَ الطَّوَافِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِسَحَرَ، فَقَالَ: هَلْ فَرَغْتُمْ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَآذَنَ بِالرَّحِيلِ فِي أَصْحَابِهِ فَارْتَحَلَ النَّاسُ، فَمَرَّ مُتَوَجِّهًا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ. رواه البخاري.

هذا الحديث الشريف يبين لنا موقف الدين ممن قدر الله تعالىٰ عليها الحيض أثناء تأدية أعظم المناسك وهو الحج، لقد تألمت السيدة عائشة لما جاءها الحيض لعدم قدرتها علىٰ القيام بالعمرة التي يأتيها المتمتع قبل الحج، فقال لها سيدنا رسول الله: لا يَضِيرُكِ أَي لا يَضُرُّكِ، أي لا يضرك أمرٌ قد قدره الله تعالىٰ، فأقدار الله كلها خير، فأكملي حجتك، ثم قد يرزقك الله بعمرة قبل العودة، وقد فعل الزوج الرحيم، فأعانها علىٰ تأدية عمرة قبل العودة وانتظرها حتىٰ أدتها، ثم آذن بالرحيل.

لم يقل لها رسول الله إن حجتك ناقصة، أو أن هذا طبيعي لأن دينك ناقص، لكنه قال وفعل ما يؤكد علىٰ أنه قدر الله تعالىٰ، وأن هذا لا ينقص من دينها ولا من حجتها، بل اتخذ الخطوات اللازمة لتكملة نسكها، وأعانها علىٰ تحقيق رغبتها في العمرة.

هذا هو رأي الدين وموقفه من الحيض، فالدين كامل والعبادة كاملة ولا يُنقصها إلا الكذب علىٰ الله ورسوله.

إذًا هذه الجملة من المتن

"أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ ..؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"

مخالفةٌ لسنة رسول الله الذي يعد غير المستطيع بالأجر كاملًا.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام أَكْثَرُنَا ظِلًّا الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِكِسَائِهِ، وَأَمَّا الَّذِينَ صَامُوا فَلَمْ يَعْمَلُوا شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِينَ أَفْطَرُوا فَبَعَثُوا الرِّكَابَ وَامْتَهَنُوا وَعَالَجُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام: **"ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ"**، رواه البخاري.

في هذا الحديث الشريف يصف سيدنا أنس رضي الله عنه وأرضاه حال مجموعة من المسلمين كانوا في صحبة رسول الله في سفر، وكان الجو حارًا ولا يوجد ظل يستظلون به، حتىٰ كان أكثرهم ظلًا هو من يستظل بملابسه فقط، ويبدو أنهم كانوا في شهر الصوم لذلك صامت طائفة منهم ولم يأخذوا برخصة الله تعالىٰ لهم بالإفطار، فأدىٰ صومهم إلىٰ إجهادهم الشديد، والقعود عن أي عمل، وأفطرت طائفة وأخذت

بالرخصة، فقام المفطرون بخدمة المجموعة، فلما رأىٰ رسول الله هذه الصورة، قرر حُكمًا مهمًا، وهو أن من أخذوا بأمر الله تعالىٰ ورخصته في الإفطار، هم من أخذوا أجر الصائمين، فلم يصف من أفطر بأمر من الله أن دينه ناقص، بل رفع قدره وبشره بأجر الصيام كاملًا، وهذا هو فعل الله تعالىٰ العليم الحكيم العدل أرحم الراحمين مع كل من أطاعه وأخذ بأمره في ألا يشق علىٰ نفسه، وهو فعله مع النساء الذي كُتب لهن الحيض وأمرهن بعدم الصيام أثنائه، فلهن منه سبحانه الأجر كاملًا ولا نقصان في دينهن.

إذا هذه الجملة من المتن

"أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ ... لَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"

مخالفةٌ لسنة رسول الله الذي رفع قدر من أخذ برخصة الإفطار ووعدهم بالثواب كالصائمين.

بهذه الدلائل الواضحة التي جاءت بالكتاب والسنة، فإن أخذ النساء بأمر الله تعالىٰ بالإفطار في شهر رمضان أثناء الحيض، وتعويضه بعد ذلك، يستحيل أن يؤخذ علىٰ أنه نقص في الدين، بل هو طاعة لله ولرسوله، وثواب عظيم للطائعين.

كما أن في هذا الوصف خطأ شرعيًا، لأنها تقضي ما عليها من صيام، بينما لا تقضىٰ الصلاة، فبينهما اختلاف ولا يجوز الجمع بينهما فىٰ إصدار الحكم بالنقص كما قاله من قاله، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ مُعَاذَةَ، قَالَتْ:

" سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْحَائِضِ، تَقْضِي الصَّوْمَ، وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟ قُلْتُ: لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ، قَالَتْ: كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ "رواه مسلم. و"بِحَرُورِيَّة" الحرورية هي الصلبة الشديدة وكانت تطلق على المتطرفين. وبالتالي فإن الجمع بين الصلاة والصوم في وصف النقص خاطئة.

بهذا نرى أن هذه الجملة الرابعة من هذا الحديث مخالفةٌ لشروط صحة المتن، فهي مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم ولصفة الله تعالى بالعدل، فما كان سبحانه لينقص دين من أطاع أمره بعدم الصلاة. و**مخالفةٌ لآيات القرآن الكريم وحكم الله تعالى الذي دعانا للتيسير بالأخذ برخصة الإفطار لغير القادر ولم يحكم عليه بنقص الدين.** و**مخالفةٌ لسنة رسول الله الذي يعد الغير مستطيع للصيام بالأجر كاملًا بل رفع قدر من أخذ برخصة الإفطار ووعدهم بالثواب كالصائمين.**

وأخيراً سوف نستعرض هذا المتن إجمالاً لنرى مدى تطابقه مع شروط صحة المتن.

القاعدة الأولى: ألا يكون المتن مخالفًا للبديهيات العقلية والمنطق السليم والحس الأخلاقي

يقول الحديث: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: ...".

إنه من المخالف للحس والذوق الفطري الطبيعي، أن يأتي إنسان في صبح العيد حيث يجب نشر السرور والبهجة والفرحة، فتكون تهنئته عبارة عن توعد بالنار والنقص في العقل والدين! من يفعل هذا يُوصف بأكثر العبارات أدبًا بأنه قليل الذوق بعيد عن أدب الإسلام، فما بالنا لو كان من يدَّعون أنه قال ذلك هو الرسول رحمة الله للعالمين ذو الخلق العظيم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، إن معرفتي برسول الرحمة والأدب كله، يجعلني أوقن أنه لم يقل هذا الكلام البعيد كل البعد عن خلقه العظيم، لكن من يعتقد في رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه بهذه الصفات، فهو حر في اعتقاده، وسوف يُسأل عن ذلك أمام رب العالمين، الذي أرسل رسوله، ومدحه بخلقه العظيم.

إذا هذا المتن

مخالفٌ لأدب الرسول الكريم وخُلقه العالي ولطفه وحيائه ورحمته بالمؤمنين والمؤمنات.

القاعدة الثانية: ألا يكون المتن مخالفًا لما هو معروف من صفات حديث الرسول عليه الصلاة والسلام من قلة الكلمات وفصاحة اللغة والتكلم فيما فيه الفائدة وفي معالي الأمور.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ خُطْبَتُهُ؟ قَالَ: "كَانَتْ قَصْدًا، كَلَامٌ يَعِظُ بِهِ النَّاسَ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ"، مسند الإمام أحمد بن حنبل.

هذه هي صفة كلام الرسول، فقد قال: "إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا"، أي كلامه مختصر لكنه يحمل أعمق وأحكم المعاني، وكما قالت السيدة عائشة: (.. إِنَّ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)، وقالت: (.. إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام لَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ شَاءَ الْعَادُّ أَنْ يُحْصِيَهُ أَحْصَاهُ)، وفي هذا المتن تحدث فيه رسول الله نحو ٤٦ كلمة، ما بين تهديد ووعيد، ثم سؤال وجواب، ثم وصف مريع للمؤمنات، ثم سؤال وجواب. وليست هذه صفة كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام.

إذاً هذا المتن مخالفُ لصفة كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام.

بهذا نرىٰ هذا المتن مخالفٌ لأدب الرسول الكريم وخُلقه العالي ولطفه وحيائه ورحمته بالمؤمنين والمؤمنات. و مخالفُ لصفة كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم استفسار أخير ومهم، عقل المرأة ناقص عن من؟ ما هو المعيار الذي يُعتبر كاملًا وقد نقص عقل المرأة عنه؟ أول ما يتبادر إلىٰ الذهن هو نقصها عن عقل الرجل، فهل عقل الرجُل كاملٌ؟ إذا كان معيار الكمال أن الله تعالىٰ طلب عند الشهادة علىٰ عقد الدين رجلًا وامرأتين، فإن الله تعالىٰ طلب شهادة رجلين، فإذا كان عقله كاملًا، لماذا لم يأخذ الله تعالىٰ بشهادة رجل واحد؟ ألا يكون اشتراط رجلين يعني نقصان عقله، فكأن كل رجل يملك نصف عقل، والآخر يملك

النصف الآخر، لذلك أمر الله برجلين بدلًا من واحد، وهذا بالطبع تفسير لا يصح.

والمرأة دينها ناقص عن من؟ من يملك الدين الكامل الذي هو المعيار للكمال؟ أيضًا أول ما يتبادر للذهن أن الرجل هو من يملك الدين الكامل، فإذا كان دينها ناقص لأنها ممنوعة من الصلاة عدة أيام كل شهر، وممنوعة من الصيام إلىٰ أن تطهر فتقضي ما عليها، فماذا عن الرجل الذي لا يؤدي الصلاة كاملة، يؤديها قاعدًا أو نائمًا، ومن يؤديها قصرًا، هل دينه ناقص؟ والذي لم يؤد فريضة الحج لعدم الاستطاعة، هل دينه ناقص؟ والذي لا يؤدي الزكاة لفقره، هل دينه ناقص؟ وهكذا، أمثلة عديدة لنقصان الدين بالمعيار الذي بهذا الحديث المكذوب علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولم يُسم أصحابها بناقصي الدين، وذلك لأنها ليست بنقص في الدين، إنما هو اتباع لأمر الله تعالىٰ.

إذًا من خلال هذا العرض، نرىٰ أن هذا المتن لا يحقق شروط الصحة الواجبة، وبالرغم من ذلك انتشر وذاع صيته للأسف الشديد بين الناس، واستخدمه المفسرون في تفسير آيات الله تعالىٰ عن المرأة، واستخدمه الفقهاء في وضع فقه المرأة ووضع الشرائع الخاصة بها، وكذلك استخدمه كل من يريد محاربة الدين والتدليل علىٰ عنصريته ضد المرأة، وأصبح أداة فعالة في يد كل من يريد احتقار المرأة وسرقة أموالها، وإرهابها وقهرها.

ويمكننا أن نعرف دائمًا صحة المتن من عدمه من محاولات الشارحين من الدعاة والكتاب شرحه. هذا الحديث يكافح الدعاة والمشايخ

والوعاظ لشرحه وتفسيره بصورة تقلل وقعه السيئ علىٰ النساء، ونرىٰ الصفحات تكتب وتُلوىٰ أعناق الآيات، وتُخترع الأبحاث، وينتحر المنطق والعقل السليم عند شرحهم لهذا الحديث الذي يظهر تضاده مع شرع الله تعالىٰ وسنة رسوله، إنهم أهون عليهم أن يبرروا ما فيه من تضاد كامل للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وصفات الله تعالىٰ، علىٰ أن يقروا أن متنه مخالف للدين، وأنه لا يرقىٰ لدرجة الصحة، لا لشيء سوىٰ لأنه جاء بكتاب البخاري رحمه الله، بينما البخاري نفسه لم يصلنا أنه اعتقد في كتابه هذا التقديس غير المبرر، هو عمل اجتهد فيه ووضع معايير لصحة السند بينما لم يدَّع أنه وضع معايير لصحة المتن، أملًا أن يحقق العلماء من بعده هذه الخطوة المهمة، فيخرجون لنا الأحاديث صحيحة السند، صحيحة المتن، لندفع عن ديننا ما وضعه الكذابون عمدًا لتغيير المفاهيم الراقية التي أتىٰ بها ديننا العظيم، ولبث الفرقة بين المسلمين وجعلهم طوائف وجماعات متشاكسة وأحيانًا متحاربة، ولبث الشك في صفات الله تعالىٰ، وللأسف نجحوا في ذلك، فقدسنا ما ليس بمقدس، ولم نقدس ما قدسه رب العالمين، وأصبحنا نشبه ما حذرنا منه رب العالمين.

يقول تعالىٰ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ﴿١٧٠﴾، البقرة.

ويقول تعالىٰ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا

يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَىٰ اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾)، المائدة.

وكذلك أصبحنا نشبه ما حذر منه سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام من التشبه بهم، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ)، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"، رواه الترمذي.

هذا هو الشرك بالله تعالىٰ الذي حذرنا منه رسول الله، أن نعتقد أنه ما دام الشيخ فلان أو العالم علان قد قال إن هذا حرام فهو حرام، أو قال هذا حلال فهو حلال، الاعتماد علىٰ ما يقوله فلان أو علان وفقط، علىٰ أساس أنه كل ما يقوله صدق وأننا سنأخذ به دون رده لما أمر به رب العالمين، نعتمد علىٰ فهمه هو ودراسته هو دون أن يكون لنا فهمنا وتدبرنا كما أمر رب العالمين كل مسلم ومسلمة، هذا الاعتقاد أنه ما دام فلان قد قال فقد صدق وأطيعه دون تفكر أو تدبر، هذا شرك بالله تعالىٰ، لأننا بذلك اتخذناه معبودًا من دون الله جل وعلا.

وللدلالة علىٰ أنه يجب إنكار الأحاديث المناقضة لقواعد الدين والحس الطبيعي، والتي يتكلف الشراح تكلفًا مقيتًا لكي يقبلها الناس، سنستعرض هذه الفقرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: "أَكْذَبُ النَّاسِ الصَّبَّاغُونَ وَالصَّوَّاغُونَ"، سنن ابن ماجه.

يقول د. صلاح الإدلبي: هذه الرواية تخالف الواقع المحسوس، إذا لا يستطيع أحد أن يثبت أن الشغالين في هذه الحرف أكذب من غيرهم، وليس المعهود من رسول الله أن يذم أهل الصنائع، فالكذب مذموم حيثما كان وأيا كان المتصف به. وقد رد الإمام ابن القيم علىٰ هذا الحديث بأن أورد أن من الأمور الكلية التي يعرف بها كون الحديث موضوعًا، تكذيب الحس له، فالحس يرد هذا الحديث حيث أن الكذب في غيرهم أضعاف ما فيهم، ولا ينفعنا هنا أن نؤول الحديث تأويلًا لا تحتمله اللغة، يقول ابن القيم: "لقد تأوله أحدهم فقال: إن المراد ب الصَّبَّاغُونَ هم الذين يزيدون في الحديث ألفاظًا تزينه، والصَّوَّاغُونَ الذين يصوغون الحديث، وهذا تكلف بارد لتأويل حديث باطل".

أكد لنا ابن القيم أن التكلف البارد أي السخيف البعيد عن العقل والمنطق، الذي يتكلفه الشراح لشرح حديث منسوب لرسول الله، يعني عدم صحة هذا الحديث، لذلك عندما يتكلف الشراح شرح حديث رسول الله ويتفنون في تبرير أن يقال هذا الكلام للنساء المؤمنات يوم العيد، فهو كما قال ابن القيم: تكلف بارد لتأويل حديث باطل.

ثم سنعرض الآن المفاجأة التي كانت محجوبة عنا ولا ترد علىٰ لسان أي من العلماء والوعاظ.. وهي الحديث الصحيح سندًا ومتنًا، حيث

نرىٰ فيه كل علامات الصحة وكل علامات نور النبوة، وقد أورده الإمام البخاري أيضًا، ليؤكد لنا أنه لا يتعمد رواية الأحاديث الموضوعة، لكنه بحث في صحة السند ولم يبحث في صحة المتن، وترك للعلماء من بعده هذه المهمة التي لم تكتمل إلىٰ الآن.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَأَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ طَاوُوسٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **"شَهِدْتُ الْفِطْرَ مَعَ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يُصَلُّونَهَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، ثُمَّ يُخْطَبُ بَعْدُ.. خَرَجَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ (يشق صفوف الرجال) حَتَّىٰ جَاءَ النِّسَاءَ مَعَهُ بِلَالٌ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّـهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿١٢﴾، الممتحنة، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: أَنْتُنَّ عَلَىٰ ذَلِكِ قَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ: لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا، نَعَمْ، لَا يَدْرِي حَسَنٌ مَنْ هِيَ قَالَ: فَتَصَدَّقْنَ، فَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ ثُمَّ قَالَ: هَلُمَّ لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي فَيُلْقِينَ الْفَتَخَ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ،** قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: الْفَتَخُ الْخَوَاتِيمُ الْعِظَامُ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ"، رواه البخاري.

الحديث الشريف يصف موقفًا راقيًا يليق برقي وجلال سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، في عيد الفطر (وهنا محدد وواضح أنه عيد الفطر، وليس كما قال الراوي في الحديث السابق لا يعلم إن كان عيد

أضحىٰ أم فطر)، لما خطب في الجمع الموجود، شق صفوف الرجال لكي يصل لصفوف النساء، وفي ذلك قمة الأخلاق العظيمة، فهو يريد محادثتهن مباشرة، اهتمامًا بهن، وتأكيدًا علىٰ أنه لهن الحق في محادثته وسماعه، ولأنه مبعوث لتبليغ رسالة رب العالمين، قرأ عليهن آيات القرآن التي يريد التأكيد عليها، وهي آيات البيعة التي أمره رب العالمين أن يباعهم عليها، يريد أن يطمئن عليهن وعلىٰ أنهن علىٰ هذه البيعة، فلما انتهىٰ من قراءة الآيات قال: أنتن علىٰ ذلك؟ أي هل أنتن محافظات علىٰ ما ورد بهذه البيعة، أجابته إحداهن نيابة عن الجميع: نعم، فاطمأن رسول الله عليه الصلاة والسلام وأمرهن بالصدقة لحرصه علىٰ أن يبلغن الدرجات العلىٰ، لأن الصدقة تأكيد لإيمان المؤمن الصادق ورفع لدرجاته، فرسول الله كما وصفه رب العالمين، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فلما أمرهن بذلك، بسط سيدنا بلال ثوبه، وجعلن يلقين فيه الخواتم الكبيرة التي كانوا يلبسونها احتفالًا بالعيد، ومختلف الحلىٰ، لقد استجبن له عليه الصلاة والسلام بصورة سرَّته كثيرًا وأسعدته حتىٰ أنه أظهر سروره بالكلمة التي تعني منتهىٰ الحب والانشراح، وهي **"لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي"**.

سنبدأ في عرض هذا الحديث علىٰ شروط صحة المتن.

القاعدة الأولىٰ: ألا يكون مخالفًا للقرآن الكريم

يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ

وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ﴿٣٥﴾، الأحزاب.

لقد أكد متن الحديث علىٰ ما وصف الله تعالىٰ به المؤمنات من أنهن المتصدقات، وقد أثبت الحديث هذه الصفة لهن.

القاعدة الثانية: ألا يكون مخالفًا للسنة النبوية الشريفة، لحال الرسول وفعله.

بدأ رسول الله موعظته للنساء من خلال قراءة آيات من القرآن، وقد ذُكر أن جل خطبه ومواعظه كانت عبارة عن سرد آيات من القرآن الكريم، فهو أعظم وأحكم وأروع كلام ممكن أن يسمعه إنسان.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ خُطْبَتُهُ؟ قَالَ: كَانَتْ قَصْدًا، كَلَامٌ يَعِظُ بِهِ النَّاسَ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، مسند الإمام أحمد بن حنبل.

كما أنه معروف من صفات حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، قلة الكلمات وفصاحة اللغة والتكلم فيما فيه الفائدة وفي معالي الأمور. فرسول الله لم يتكلم في هذا الحديث سوىٰ بذكر آيات القرآن الكريم، ثم (**أنتن علىٰ ذلك؟ ـ فتصدقن ـ هلم لكن فداءٌ أبي وأمي**) وهذه هي صفة كلام الرسول، فقد قال: "إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ وَاخْتُصِرَ لِي اخْتِصَارًا"، أي كلامه مختصر لكنه يحمل أعمق وأحكم المعاني، وكما قالت السيدة عائشة: (.. إِنَّ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)، وقالت: (.. إِنْ كَانَ رَسُولُ

اللهِ عليه الصلاة والسلام لَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ شَاءَ الْعَادُّ أَنْ يُحْصِيَهُ أَحْصَاهُ)، ففي هذا الحديث الصحيح لم تزد كلماته عن ٩ كلمات، وهذه هي صفة كلام رسول الله، ذكر آيات ربه، رسالته العظيمة التي أرسله الله تعالىٰ بها، ثم أمر بالمعروف، بالصدقة، ثم دعا للمؤمنات الصالحات المتصدقات. بينما في الحديث الموضوع المكذوب الذي بيَّناه تحدث فيه رسول الله نحو ٤٦ كلمة، ما بين تهديد ووعيد، ثم سؤال وجواب، ثم وصف مريع للمؤمنات، ثم سؤال وجواب. وليست هذه صفة كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام كما بيَّنا من قبل.

إذًا نرىٰ موافقة المتن لأخلاق رسول الله عليه الصلاة والسلام العظيمة، فهو أحب أن يخاطب النساء وجهًا لوجه، فشق صفوف الرجال ليصل إليهن، وفي هذا اهتمام ورعاية وحب، ثم سألهن إذا ما كن علىٰ البيعة التي بايعهن والتي تلاها من القرآن الكريم، فلما أجبن بالإيجاب، طلب منهن أن يُصدقن البيعة بالتصدق والإنفاق في سبيل الله، ـ فالصدقة تأتي للتصديق علىٰ طاعة الله تعالىٰ والعمل المخلص في سبيله، ولا تأتي بالموازاة مع سوء الخُلق ـ فأنفقن في الحال، وهذا يدل علىٰ علو إيمانهن وحبهن لله ورسوله، عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْأَضْحَىٰ وَيَوْمَ الْفِطْرِ، فَيَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا صَلَّىٰ صَلَاتَهُ وَسَلَّمَ قَامَ، فَأَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي مُصَلَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ بِبَعْثٍ ذَكَرَهُ لِلنَّاسِ، أَوْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَمَرَهُمْ بِهَا، وَكَانَ، يَقُولُ: " تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا تَصَدَّقُوا "، **وَكَانَ أَكْثَرَ مَنْ يَتَصَدَّقُ النِّسَاءُ**. رواه مسلم. واللفتة الأخرىٰ

أنه لم يطلب منهن أن يستأذن أزواجهن، فهو يقر بهذا التصرف النبوي الشريف، إنهن لسن ناقصات عقل، بل لهن الأهلية الكاملة والعقل الكامل والقدرة الكاملة علىٰ التصرف في أموالهن.

موافقة المتن لحب رسول الله عليه الصلاة والسلام وتقديره للنساء، لما رآه من إيمانهن وعاطفتهن الجياشة نحو نصرة الدين والإنفاق في سبيل الله تعالىٰ، فقال كلمة تدل علىٰ الحب والإعجاب بفعلهن، وهي "لَكُنَّ فِدَاءٌ أَبِي وَأُمِّي"، ولم يفد أحدًا بأبويه سوىٰ سيدنا سعد، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام يُفَدِّي أَحَدًا بِأَبَوَيْهِ إِلَّا لِسَعْدٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: "ارْمِ سَعْدُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي".

موافقة المتن لما أظهره رسول الله عليه الصلاة والسلام من حبٍ وتقديرٍ للنساء

عنِ ابْنِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَعَنْ لَيْثٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: **"حُبِّبَ إِلَيَّ الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ "**، مصنف عبد الرازق ـ إسناد ضعيف لأن به موضع إرسال، وباقي رجاله ثقات ـ وهنا رسول الله عليه الصلاة والسلام حُبب له كل ما هو طيب، وقد جمع عامة النساء بهذا الحب لكي يتضاد هذا مع أخلاق الجاهلية التي تحتقر عامة النساء، حتىٰ أنه قال في حديثه الشريف: عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ قَالَ: **يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَائِشَةُ"**، قَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: "أَبُوهَا"، جامع الترمذىٰ ـ إسناده متصل، رجاله ثقات.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "رَأَىٰ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ مُقْبِلِينَ، قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: "مِنْ عُرُسٍ" فَقَامَ النَّبِيُّ مُمْثِلًا (في مواجهتهم)، فَقَالَ: **"اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ"**، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ، رواه البخاري.

من هذا نرىٰ موافقة هذا المتن للحديث الشريف للقرآن والسنة والسيرة والعقل والحس والواقع وذو معنىٰ راقٍ وعظيم، فهو معبرٌ عن حق وبوضوح وبساطة، عن عدالة الإسلام ورحمته، وعظيم خلق رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويؤكد علىٰ قيام رسول الله برسالته ودعوته للرجال والنساء سواءً بسواء، وعلىٰ حرصه علىٰ حصول المؤمنات علىٰ أعلىٰ الدرجات.

والذي يؤكد صحة متن هذا الحديث الشريف، ما ذكرته الصحابية الجليلة في حديث آخر، عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: "تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ"، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ، **وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ**، فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي، وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ، قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللهِ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللهِ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَىٰ أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ

رَسُولُ اللهِ: "مَنْ هُمَا؟"، فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَزَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "أَيُّ الزَّيَانِبِ؟"، قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: "لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ"، رواه مسلم.

فهي قد ذكرت الموقف، وقالت مثل ما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام في حديث العيد، حيث أمر النساء بالصدقة. وهذا تأكيد علىٰ صحة هذا المتن، واختلاق الآخر والافتراء به علىٰ الله ورسوله.

ومن الملاحظات المهمة علىٰ الحديث بالصيغة الأولىٰ (ناقصات عقل ودين) أنه لم يذكر أن النساء تصدقن بالفعل وسارعن يلقين حليهن في حجر سيدنا بلال، ولم يذكر انشراح قلب الرسول لما رآه من سرعة استجابتهن لطلبه بالتصدق، فهو لم يكتف بوضع أكاذيب علىٰ الله ورسول الله، بل اقتطع من الحديث ما يدل علىٰ حسن إيمان النساء وجهادهن وإنفاقهن في سبيل الله، وهذا ما يؤكد أن هذا الوضع مُتعمد ليخدم غرض الإساءة للنساء المسلمات، ووصمهن بأنهن أكثر أهل النار، وأنهن ناقصات عقل ودين، فينصرفن عن هذا الدين الذي يعدهن بالنار، ويهينهن بإلصاق صفة نقص العقل والدين بهن، وللأسف تلقف الكثير من علمائنا هذا الحديث بالقبول والترحيب، وأقاموا عليه أحكامًا وفقهًا عنصريًا ضد المرأة، وخسر المجتمع نصفه الأهم، خسر مشاركتهن في العلم وفي الحياة، ونجح أعداء الدين.

ومما يؤكد علىٰ صحة هذا المتن ما جاء بالبخاري من روايتين تتفقان مع متن هذا الحديث:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَيُّوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ النَّبِيِّ أَوْ قَالَ عَطَاءٌ أَشْهَدُ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ، وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ"، رواه البخاري.

وحَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنّ رَسُولَ اللهِ خَرَجَ يَوْمَ أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ، فَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، ثُمَّ أَتَىٰ النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي خُرْصَهَا وَتُلْقِي سِخَابَهَا"، رواه البخاري.

استعرضنا فيما سبق نحو أكثر من ٢٠ نقطة تبين الأخطاء المفزعة في الحديث الأول الذي ما كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ليرتكبها أبدًا وحاشاه صلىٰ الله عليه وسلم أن يُخطئ كل هذه الأخطاء، إن الكذاب واضع هذا الحديث قد استعار موقف رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم عيد الفطر وهو موقف صحيح، ووضع له سندًا وأقام عليه حديثًا هدفه تقسيم المجتمع المسلم بناءً علىٰ العنصرية لجنس دون الآخر، وتشويه صورة المرأة، ونعتها بأسوء الصفات، ونقد المساواة والعدل اللذين قام عليهما الإسلام، وهذا يذكرنا بما عند اليهود من عنصرية بغيضة ضد المرأة، ويذكرنا بما قاله رسول الله عليه الصلاة والسلام في أن المسلمين سيتبعون اليهود والنصارىٰ في كل أفعالهم..عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام

قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، قَالَ: فَمَنْ"، رواه البخاري، وقد قاموا بتحريف كتبهم، حيث لم يتعهد الله تعالىٰ بحفظها كما حفظ لنا كتابه الكريم، يقول تعالىٰ فيهم: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ﴿٧٨﴾، آل عمران، فلا نستبعد أن يقوم مسلمون منافقون بهذا الوضع علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، أويقوم به الحاقدون الأعداء من اليهود، فهم لم يستطيعوا الوضع بالقرآن أو تحريفه، لكنهم استطاعوا ذلك بالسنة الشريفة، لذلك لا بد من وضع التأكيد علىٰ شروط صحة المتن كعنصر أساسي لقبول أي حديث عن رسول الله، وعلىٰ رأس هذه الشروط ألا يكون المتن مخالفًا بأي صورة وبأي قدر لآيات القرآن الكريم، فالحمد لله أن قرآننا هو المرجعية التي لم ولن يستطيعوا تغييرها أو الخوض فيها بمؤامراتهم وأكاذيبهم.

إن الحديث الثاني هو الحديث الذي يحمل كل معايير صحة المتن، وهو يدل علىٰ صدق الإمام البخاري في بحثه وعدم تعمده الخطأ، لقد روىٰ الحديثين، اعتمادًا علىٰ صحة السند فقط، فهو قد بحث بقدر ما أتيح له، وتوصل لصحة السندين، وكان دور العلماء من بعده ترجيح الأصح بناءً علىٰ صحة المتن.

لقد رزقنا الله تعالىٰ السنة النبوية المطهرة، والتي هي أقوال الرسول وأفعاله وسيرته الطيبة، تلك السنة التي هي تطبيق كامل وواقعي للقرآن الكريم، لذلك يستحيل أن تخالفه ولا بقيد أنملة، وأي مخالفة بها للقرآن الكريم، إنما هي دلالة قاطعة علىٰ أنها ليست من سنة رسول الله، فقد وصفت السيدة عائشة خُلق الرسول الكريم وما تحتوي من صفات وأقوال وأفعال، بأنها تطبيق للقرآن الكريم، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ فَقَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"، مسند الإمام أحمد.

لذلك يقول تعالىٰ: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ﴿٣١﴾، آل عمران.

فاتباع رسول الله هو علامة الحب لله تعالىٰ، لأنه علىٰ خلق عظيم، ولأنه حقق كل ما جاء بالقرآن الكريم في حياته اليومية مما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه، وهذا الاتباع يعني المحافظة علىٰ سنته المطهرة والتمثل بسيرته العطرة، يقول تعالىٰ: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) ﴿٢١﴾، الأحزاب.

هذه هي المكانة العالية الرفيعة لسنة الرسول في ديننا الحنيف، التي يجب أن نعمل دائمًا علىٰ تنقيتها مما أُدخل عليها من أكاذيب متعمدة وغير متعمدة، لنلقىٰ الله تعالىٰ بعقيدة صحيحة وقلب سليم.

الحديث الثاني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام:
"لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزْ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ"، متفق عليه (رواه البخاري ومسلم)

سنتغاضىٰ عن الجزء الخاص باللحم رغم غرابته الشديدة، وسنبحث الجزء الثاني: (وَلَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ)! مليار علامة تعجب، هنا كلمة ناقصة، (وَلَوْلَا حَوَّاءُ...؟.. لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا)، هل مثلًا لولا حواء موجودة لم تخن أنثىٰ زوجها الدهر، طبعًا هذا غير صحيح، لأنها بالطبع موجودة، إذًا الكلمة الناقصة هي، وَلَوْلَا حَوَّاءُ "خانت زوجها"، لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا.

سنعرض متن هذا الحديث لشروط صحة المتن لنرىٰ مدىٰ توافقه معها:

أولًا: ألا يخالف القرآن الكريم

هل أخبرتنا أي آية بالقرآن الكريم أن أمنا حواء خانت زوجها؟ لم يحدث علىٰ الإطلاق ولا بأي صورة.

هل أخبرتنا أي آية بالقرآن الكريم أن رب العالمين أقر بخيانة أمنا حواء فأفرد لها عقوبة خاصة لخيانتها؟ لم يحدث علىٰ الإطلاق.

هل أخبرتنا أي آية بالقرآن الكريم بتوبة خاصة بأمنا حواء نتيجة خيانتها؟ لم يحدث علىٰ الإطلاق.

فما الذي حدث؟

الذي حدث يخبرنا به رب العالمين: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾)، طه.

هذه آيات واضحة ومباشرة وسهلة علىٰ الفهم، وسوس الشيطان لأبينا آدم، فاستجاب واستجابت معه أمنا حواء، هل يمكن أن تكون خانته بمعنىٰ الاستجابة للشيطان والأكل من الشجرة، لكن الله تعالىٰ نسب المعصية لسيدنا آدم وحده، فهو من نسي أمر ربه واستجاب لوسوسة الشيطان، يقول تعالىٰ: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾)، طه.

فلا توجد أي إشارة من بعيد ولا قريب بأي معصية صغيرة أو كبيرة خاصة بأمنا حواء.

لكن بالبحث بالقرآن الكريم وجدت للخيانة معنىٰ مختلف عما نعرفه، فهل خانت ستنا حواء زوجها بهذا المعنىٰ؟

يقول تعالىٰ: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ **فَخَانَتَاهُمَا** فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾)، التحريم. إن معنىٰ الخيانة هنا هي ألا تكون معه علىٰ الإيمان بالله تعالىٰ مثلما قال ربنا علىٰ زوجتيّ سيدنا نوح وسيدنا لوط. فى هذه الآية يقول د. النابلسي: "ينبغي أن تعلموا علم اليقين أن خيانة زوجة نوحٍ وزوجة

لوطٍ لم تكن خيانة فِراش، ولا يمكن لامرأة نبيٍّ أن تخونه في الفِراش، هذا مستحيل، لكنها خانته خيانة دعوة، لم تؤمن بدعوته، الأولىٰ وصفته بأنه مجنون، والثانية دلَّت قومها علىٰ ضيوفه كما رَوَت كتب التفسير، أي لم تؤمن به، وخانت دعوته"

بالتأكيد أمنا حواء لم تخن سيدنا آدم هذه الخيانة بنص القرآن الكريم، لأنهما آمنا بالله تعالىٰ معـًا واستغفرا معًا عندما أكلا من الشجرة، يقول تعالىٰ: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾)، الأعراف. كل منهما شعر بسوء المعصية التي ارتكباها، واعترفا بما فعلاه، واستغفرا ربهما. رب العالمين ذكرهما معًا بالتساوي عند ارتكاب المعصية، وعند الندم والاستغفار، وتلقىٰ هذا الاستغفار بقبول التوبة.

إذًا هذا المتن

لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مخالفٌ لصريح القرآن الكريم الذي لم يذكر أي معصية خاصة بستنا حواء.

كما أنه مخالف لصريح القرآن الكريم الذي أخبرنا بمعصيتهما معـًا وبتوبتهما معًا وقبول الله تعلىٰ للتوبة.

ثانيًا: ألا يكون مخالفًا للبديهيات العقلية والمنطق السليم

ما هي احتمالات الخيانة بالمعنىٰ الذي نعرفه ـ أن تخون زوجها مع رجل آخرـ ولا يوجد علىٰ وجه الأرض غيرهما! هل هناك أي عقل أو

منطق في هذا الكلام؟ الإجابة: لا يوجد أي عقل عنده أدنىٰ قدر من المنطق والوعي والإدراك يوافق علىٰ قبول الحكم بخيانة زوجة لا يوجد غيرها هيٰ وزوجها علىٰ وجه الأرض..

إذًا هذا المتن

لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مخالفٌ لبديهيات العقل والمنطق السليم.

ثالثًا: ألا يكون مخالفًا للواقع

الواقع أن بنات حواء وآدم لا يتصفن بصورة عامة بالخيانة، بل إن الواقع ينبئنا بأنهن الأكثر وفاءً، ففي الأغلب الأعم، المرأة بعاطفتها ترتبط بزوجها ارتباطًا وثيقًا ولا تبحث عن غيره، وترىٰ في ذلك تحقيقًا لأنوثتها، بينما الكثير من الرجال يبحثون عن امرأة أخرىٰ ويخونون زوجاتهم ويعتقدون أن ذلك يحقق رجولتهم، فالخيانة صفة مذمومة نراها في أصحاب الأخلاق السيئة من الرجال والنساء علىٰ السواء، ولا يتصف بها جنس دون الآخر.

إذًا هذا المتن

لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ

مخالفٌ للواقع.

إذًا تفسير معنىٰ الخيانة بهذه الصورة غير وارد بالمرة وعكس ما جاء بالقرآن الكريم، ومن ثمَ فمستحيل وألف ألف مستحيل أن يكون

رسول الله عليه الصلاة والسلام قد قال هذا الحديث.

ولنتأكد من ذلك سنبحث من أين أتىٰ هذا الحديث، فلنستعرض كلام اليهود في حق المرأة، هذا جزء من بحث قام به باحث عن وضع المرأة عند اليهود: "في التوراة (التوراة المحرفة) تعتبر المرأة هي أصل الخطيئة؛ فهي التي أغوت آدم فعليها أن تتحمل العقاب والآلام وتكون سيادة الرجل عليها ووصفوها بأقذع العبارات وبأنها مثيرة الفتن ومفتاح الشر، وتصور التوراة أم البشر حواء علىٰ أنها امرأة ماكرة وقد انقادت للشيطان المتمثل بصورة الحية، وتقوم بإغراء آدم بالأكل من الشجرة وعصيان أمر ربه وهي التي تسببت في طرده من الجنة، وحسب التوراة فإن الحية خدعت حواء وحواء أغرت آدم لكن نرىٰ أن العقوبات تنصب علىٰ الحية وعلىٰ حواء رغم أن آدم وحواء قد وقعا كليهما في المعصية، وعندهم المرأة لا ترث إن كان هنالك إخوة ذكور، وصوروا ستنا سارة زوجة إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء علىٰ أنها ظالمة تضطهد جاريتها، ستنا هاجر، وجاء في سفر التكوين: وأنها أذلتها فهربت من وجهها، ويقولون المرأة أمر من الموت ولا وجود لمرأة صالحة ولو بنسبة واحد في الآلف".

كل هذه الآراء الخبيثة منسوبة كذبًا لرب العالمين مثلما أخبرنا ربنا عنهم يقول (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّـهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

هذه الأفكار الخبيثة أدت لأفعال فيها ظلم كبير للمرأة واحتقار لها، حتىٰ إن رب العالمين أنزل آياته العظيمة علىٰ السيدة مريم عليها السلام وهي موجودة بين كبار أحبار اليهود واختارها واصطفاها وطهرها وقدر لها أن تدخل محراب بيت المقدس الذي كان الأحبار يحرمونه علىٰ النساء، لكي تكون العابدة الزاهدة صاحبة الآية العظيمة، ليريهم حقيقة مكانة المرأة عند رب العالمين، وسمىٰ رسوله باسم أمه (عيسىٰ ابنَ مريم)، لكنهم ظلوا علىٰ كفرهم بآيات الله تعالىٰ واتهموها بأبشع الاتهامات.

ومما يخيف ويقلق ويوجب الحذر، حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، قَالَ: فَمَنْ"، رواه البخاري. يحذرنا رسول الله تحذيرًا شديدًا من اتباع اليهود والنصارىٰ، فماذا فعل اليهود والنصارىٰ؟ حرَّفوا كتبهم واستبدلوها بكتب الأحبار والرهبان والقساوسة، وأنزلوا بها أهواءهم ومصالحهم وحبهم للدنيا والعلو فيها. فإذا علمنا إلىٰ ماذا آل إليه حال اليهود والنصارىٰ مع دينهم ومع ربهم من الكفر واللعن ، فعلينا أن نتقي الله تعالىٰ ونخشاه ونحذر أشد الحذر حتىٰ لا يكون مصيرنا مثلهم. ومما يجب ألا نتبع اليهود فيه، أن نرتضي العنصرية البغيضة ضد المرأة، وأن نرتضي إلصاق مثل هذه الأحاديث بخير خلق الله عليه الصلاة والسلام وهو بريء منها.

وأحب أن أعرض لكم حديثًا دار بيني وبين طالب دكتوراه بالأزهر الشريف ـ فى التعليقات ـ بعد ما سمع إحدىٰ فيديوهاتي علىٰ قناة تناغم علىٰ اليوتيوب، ذكرت فيه هذا الحديث ونقدت متنه، ووجدته لا يحقق شروط صحة المتن.

وسأطلق عليه الأستاذ..

الأستاذ: "بداية أشكر لحضرتك أسلوبك وهدوئك وتوثيقك لكلامك، وأحترم تماما رأيك، ولكن لا أوافقك في رد حديث رواه البخاري وغيره، ولنحاول فهم إشارة النص ودلالاته منطوقًا ومفهومًا، ونعمل فيه قواعد اللغة وأصولها، ثم نستمع بحيادية إلىٰ ردود وفهوم السابقين والمعاصرين حوله، وحينها لا شك ستتغير قناعتك.

أصل مادة الخيانة كما بين إمام اللغة ابن فارس رحمه الله حيث قال: (الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقص. يقال خانَه يخون خوْنا وذلك نقصان الوفاء)، وهذا النقصان شيء جبلّي في طبيعة المرأة لضعفها (طبيعتها الخلقية وما تتعرض له من حيض ونفاس وحمل وولادة ورضاعة، فهو ضعف تشريف وتكليف لا غضاضة فيه، ومأجورة عليه)، فهو مورَّث في بنات حواء، فذلك معنىٰ قوله (ولولا حواء لم تخن أنثىٰ زوجها) وليس المراد خيانة في الدين ولا خيانة في الفراش، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما زنت امرأة نبي قط، ولا خلاف بين أهل العلم في ذلك، وكذا ليس معنىٰ ذلك أن المرأة مقهورة علىٰ هذا المعنىٰ فلا قِبل لها بدفعه، بل هي مأمورة كالرجل بمجاهدة النفس والترفع بها عن مواقع الذم ولو كانت من الجبلّيات،

كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم: (لو أحسنتَ إلىٰ إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرًا قط) فهذا بيان طبيعة جبلية وهو قريب من معنىٰ العوج الوارد في أحاديث أخرىٰ وليس معناه أن يستسلم المرء لنوازع النفس والطبائع التي جاء الشرع بتهذيبها والرفعة بها والسمو إلىٰ معالي الأمور وأشرافها والتنزه عن سفاسفها، وقد تتابع أهل العلم علىٰ تفسير خيانة حواء آدم: بترك النصيحة له في شأن الشجرة، ونحو ذلك- في هذا المعنىٰ توجيه نفسي تربوي للزوج أن يحلم علىٰ زوجه ويتجمل بالحكمة في معاملته إياها إزاء ما يراه أحيانا من تنكبها الطريق القويمة إلىٰ الطريق المعوجة، (وأن ذلك من جبلاتهن وطبائعهن إلا أن منهن من تضبط نفسها ومنهن من لا تضبط وفي استحضار ذلك إعانة علىٰ احتمالهن ودوام عشرتهن)، كما يقول أبو زرعة العراقي في تكميل طرح التثريب (ج٧، ٦٤)- ثم قد ورد في آدم نظير ما قيل في حواء عليهما السلام كما في جامع الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته) قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح، وليس مفاده توريث الخطيئة كما يتوهمه بعض المتهوكين أو المشككين فإن القاعدة المحكمة في الإسلام (ألا تزر وازرة وزر أخرىٰ)، ولكن هذا باب الطبائع الإنسانية كقول الله جل ثناؤه: "إن الإنسان خلق هلوعا" ونظائر ذلك، وحقيقة الامتحان الموقَع علىٰ الإنسان أن يستحب الآخرة علىٰ الدنيا ويقاوم نزعات النفس الأمارة

بالسوء ويجاهدها في الله ويؤثر طريق الرشد علىٰ طريق الغواية بما أولاه الله من حرية الاختيار علىٰ حد قول الله تعالىٰ "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"، (فمعنىٰ خيانتها -كما يقول الحافظ ابن حجر- : أنها قبلت ما زين لها إبليس حتىٰ زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق) ونزع العرق هو المسألة الجبلية الموروثة في الطباع، السالف ذكرها. وأما دعوىٰ مناقضة القرآن فليس في القرآن أن آدم خان زوجه، حتىٰ يكون هذا الحديث مناقضًا له، بل فيه بيان معصية آدم: (وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ)، وفيه بيان الملامة عليهما معا: (فبدت لهما سوآتهما)، وهذا لا يعارض ما في الحديث كما لا يخفىٰ، بل كل ما في الأمر أن الحديث فيه مزيد تفصيل، ولعل التنبيه علىٰ معصية آدم وحده في هذا السياق القرآني إشارة إلىٰ أن الرجل مخاطب بأن يكون قوّامًا بالمعنىٰ الشرعي وأن مسئوليته في القيادة الحكيمة والرعاية السديدة أعظم وأولىٰ، فتوجه اللوم له لأجل ذلك. فكما رأيت لا يرد حديث جليل كهذا متفق علىٰ صحته بين أئمة الحديث لأجل اشتباه منشؤه سوء الفهم وقصر النظر". (منقول).

أنا: "شكرًا أستاذ علىٰ عرضك لوجهة نظرك.. واسمح لي أن أبين وجهة نظري.. وسأكتب الكلام الذي ذكرته ثم الرد عليه.

أول سبب لبحثي في كل دروس فهم الأقدار وأسماء الله الحسنىٰ وغيرها من الدروس أن أحقق الإيمان لنفسي أولًا، لأن التقليد في الإيمان لا يصح واعتبره بعض العلماء شركًا بالله تعالىٰ لأن صاحبه يقبل قضايا الدين والإيمان بلا فهم ولا دليل، فكأنه يأخذ من هذا

العالِم أوامره ونواهيه وفهمه وليس عن الله تعالىٰ، وبالتالي فبحثي لديني أولًا، لأنني المسئولة عنه أمام رب العالمين، ولن ينفعني أن أقول قال فلان أو علان.. فماذا أفعل إن أخطأوا! ربنا أعطاني عقلًا وأدوات للمعرفة مثل كل من فكر وتدبر وأبدىٰ رأيه.. فإن أصبت فلي أجران.. وإن أخطأت فلي أجر واحد.. كما أخبرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.. فمن هذا المنطلق سوف أستعرض كلام حضرتك وأرد عليه".

قلت: "أصل مادة الخيانة كما بين إمام اللغة ابن فارس رحمه الله حيث قال: (الخاء والواو والنون أصلٌ واحد، وهو التنقص. يقال خانَه يخون خوْنا وذلك نقصان الوفاء)، وهذا النقصان شيء جبلّي في طبيعة المرأة لضعفها (طبيعتها الخلقية وما تتعرض له من حيض ونفاس وحمل وولادة ورضاعة، فهو ضعف تشريف وتكليف لا غضاضة فيه، ومأجورة عليه) فهو مورَّث في بنات حواء".

الرد: "الخيانة لغة وفهمًا وعقلًا.. تعني نقصان الوفاء، ثم تقول نقصان الوفاء هذا شيء جبلي في طبيعة المرأة لضعفها، بينما لا علاقة البتة بين معنىٰ الخيانة -وهي أمر مستقبح وخلق سيئ ولا يليق بأي مسلم- وبين طبيعة المرأة وما قدره الله تعالىٰ لها من عوارض خاصة بالحمل والولادة، ثم تأتي بالنتيجة غير المنطقية فتقول إنه ضعف تشريف وتكليف لا غضاضة فيه، الكلام يعني أنه لا غضاضة في كونها خائنة لأن عوارض الحمل والولادة تأتيها! لأن هذه العوارض تضعفها فتجعلها خائنة، ثم هي مأجورة علىٰ هذه العوارض، أدخلت قضايا

مختلفة في بعضها، بعضها صحيح مثل أنها مأجورة علىٰ عوارض الحمل الولادة، وبعضها غير صحيح مثل أن خيانتها نابعة من هذه العوارض! هل هذا منطق يفترض أن يجعل أي مسلم يؤمن بصحة هذا الكلام؟!".

قلت: "وقد تتابع أهل العلم علىٰ تفسير خيانة حواء آدم: بترك النصيحة له في شأن الشجرة، ونحو ذلك".

الرد: "هذا التفسير للخيانة عكس ما جاء بالقرآن الكريم، فحينما ذكر رب العالمين الآيات التي بها ذكر لمعصية سيدنا آدم وزوجته.. ذكر أنها مسئولية مشتركة، (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾)، البقرة، ولما ذكر أحدهما في المسئولية عن المعصية.. ذكر سيدنا آدم فقط، قال تعالىٰ: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾)، طه، ثم الآية التي تلقي اللوم كاملًا علىٰ سيدنا آدم لاستجابته لوسوسة الشيطان، قال تعالىٰ: (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾)، طه. فكيف بعد كلام الله الذي تعلمناه بهذا الوضوح والمباشرة أُصدق كلام من يقول أن تفسير خيانة ستنا حواء

أنها تركت النصيحة في شأن الشجرة؟ من أين هذا الاعتقاد وليس له أي دليل من كتاب أو سنة؟!".

قلت: "فمعنىٰ خيانتها -كما يقول الحافظ ابن حجر- أنها قبلت ما زين لها إبليس حتىٰ زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق".

الرد: "كلام مناقض للقرآن الكريم حيث جاءت الآية السابقة أن الشيطان وسوس لسيدنا آدم وليس لستنا حواء (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ)، فيكفي هذا الكلام خطأً أنه مناقض للقرآن، ولن أعلق علىٰ ما به من أخطاء أخرىٰ".

قلت: "وأما دعوىٰ مناقضة القرآن فليس في القرآن أن آدم خان زوجه، حتىٰ يكون هذا الحديث مناقضا له، بل فيه بيان معصية آدم: (وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ)، وفيه بيان الملامة عليهما معا: (فبدت لهما سوآتهما)، وهذا لا يعارض ما في الحديث كما لا يخفىٰ، بل كل ما في الأمر أن الحديث فيه مزيد تفصيل، ولعل التنبيه علىٰ معصية آدم وحده في هذا السياق القرآني إشارة إلىٰ أن الرجل مخاطب بأن يكون قوّامًا بالمعنىٰ الشرعي وأن مسئوليته في القيادة الحكيمة والرعاية السديدة أعظم وأولىٰ، فتوجه اللوم له لأجل ذلك".

الرد: "مناقضة القرآن ليست في أن سيدنا آدم خان زوجته، لكنها في القضايا والأفهام المغلوطة المعاكسة التي ذكرتها من قبل، وهذا يعارض الحديث بمنتهىٰ الوضوح وجملة، وهذه الجملة فى ردك:(هذا

لا يعارض ما في الحديث كما لا يخفىٰ)، لن تقلب الأمور وتجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، وقولك: (ولعل التنبيه علىٰ..) لعل تجعل الأمر يخضع للفهم الخاص بقائل هذه الكلمات لا تلزم أحدًا".

قلت: "فكما رأيت لا يرد حديث جليل كهذا متفق علىٰ صحته بين أئمة الحديث لأجل اشتباه منشؤه سوء الفهم وقصر النظر".

الرد: "هذا أسلوب سيئ يجعل كل من لا يقبل هذا الكلام، سيئ الفهم وقصير النظر، وبالتأكيد هذا أبعد ما يكون عن دعوة القرآن الكريم للتعلم والتفكر والتدبر والتدين عن علم وفهم، فلا دين بأسلوب التلقين واحتكار العلم والفهم، وأن هناك طائفة واحدة ملكت كل الفهم والعلم والباقي إن لم يؤمنوا بكل كلامهم وفهمهم فهم سيئو الفهم وقصيرو النظر!

تحياتي لحضرتك وأنا سعيدة بهذا النقاش، وقد اختصرت كثيرًا ولم أرِد أن أردَّ علىٰ كل النقاط.. فقط المحورية، وفرض علىٰ كل مسلم ومسلمة أن يتعلم دينه في ضوء ما أتاحه لنا رب العالمين من أدوات ووسائل تقدمت كثيرًا جدًا عما مضىٰ، فكل الشكر لعلمائنا القدامىٰ والمحدثين فيما يقومون به من جهد لتعليمنا ديننا.. لكن كل مسلم ومسلمة لا بد أن يعرفوا أن كل إنسان مطالب بالعلم وأنه سوف يحاسب وحده ولن ينجيه أنه أخذ هذا الرأي من الشيخ فلان أو علان، فالله تعالىٰ جعل القرآن سهلًا مباشرًا واضحًا لكل من يريد أن يتعلم ويتدبر، وشكرًا لحضرتك".

الأستاذ: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله، بارك الله فيكم أستاذة أسماء، طبعا كامل تقديري لكل كلامك وفهمك العالي وحرصك علىٰ الحق، وأشكر لك أدبك الجم وذوقك الرفيع، ما زال عندي تعقيبات وردود علىٰ ردودك ولكن سأتريث قليلًا، فقد عزمت بإذن الله علىٰ بحث الموضوع برمته بحثًا وافيًا مجردًا من كل تعصب، لكن ريثما أنتهي من بحث الدكتوراه، وأعدك بإذن الله أن تصلك نتائجي، فالعلم رحم بين أهله، ولتكن هذه بداية جيدة لتلك الصلة بعون الله، رفع الله قدركم ورزقنا الإخلاص والقبول جميعًا".

أنا: "شكرًا جزيلًا لتعليق حضرتك، وسأكون سعيدة جدًا بالتواصل العلمي مع حضرتك، العلم الخالص لوجه الله تعالىٰ، والذي نبتغي به الدفاع عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وتبيان ديننا العظيم كما أنزله رب العالمين". انتهىٰ النقاش.

فما رأيكم دام فضلكم؟

أرأيتم ما نقله الأستاذ - الذي أحترمه وأقدره - من شرح للعلماء القدامىٰ لهذا الحديث، هل لو كانت هذه قدرتهم علىٰ الفهم والشرح والتعليق، هل نحن ملزمون بها؟ بالطبع نحن لسنا ملزمين بهذا الشرح وخاصة بعد ما ظهر تكلفه ومخالفته الكاملة لما جاء بالقرآن الكريم ومخالفته للواقع وللمنطق والعقل، لكن المحزن حقًا هو ألا يكون لدارس الدكتوراه بالأزهر الشريف رأيه الخاص القائم علىٰ علمه وأبحاثه، فقط نقل الرأي القديم، بل ودافع عنه وهو يرىٰ ما فيه من نقائص، بدليل قوله في بداية كلامه: "بداية أشكر لحضرتك أسلوبك وهدوئك

وتوثيقك لكلامك، وأحترم تماما رأيك"، يحترم ما توصلت إليه من رأيٍ ويرىٰ أن كلامي موثق، (وهو موثق بآيات صريحة بالقرآن الكريم)، "ولكن لا أوافقك في رد حديث رواه البخاري وغيره"، إن توثيق رأيي بآيات القرآن الكريم لا يكفي لرد حديث بالبخاري وغيره! والله لا أجد تعليقًا يصف هذه الحالة المؤسفة جدًا جدًا.

ثم إنه يُلقي عليَّ بما سيقدمه من علوم مختلفة "فهم إشارة النص ودلالاته منطوقا ومفهوما، ونعمل فيه قواعد اللغة وأصولها"، كي أخشىٰ ما سيقدمه وأعتقد أنه لا قبل لي بهذه العلوم الصعبة التي يعتقد أني لا أحوزها، فأُسلِّم بكلامه.

ثم يبدأ في توجيهي لقبول ما سيقول، وتهديدي بالاتهام بعدم الحيادية "ثم نستمع بحيادية إلىٰ ردود وفهوم السابقين والمعاصرين حوله، وحينها لا شك ستتغير قناعتك"، يرىٰ أنني إن سمعت بحيادية، فلا شك ستتغير قناعاتي، فإن لم تتغير قناعاتي، فهذا يعني مباشرة أنني لم أسمع بحيادية، وأن الأهواء قد حجبتني عن الفهم الذي يمليه علي! لا يوجد أي احتمال آخر، لا يوجد احتمال أن هذا الرأي لم يصب الحقيقة، وأن رأيي له جانب من الصحة، وخاصة أنه موثقٌ بآيات القرآن الكريم، لا، لا يوجد إلا احتمال أنني لم أسمع بحيادية!

شيءٌ محزنٌ حقًا، لكنه محفزٌ علىٰ الاستمرار في نقد المتون المتهاوية التي تظهر مخالفتها الجلية للقرآن الكريم، ولسنة رسول الله الصحيحة.

الحديث الثالث

حدثنا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حدثنا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ، حدثنا هِشَامُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ: **أَنَّ رَسُولَ اللهِ رَأَىٰ امْرَأَةً، فَأَتَىٰ امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا، فَقَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فقَالَ: "إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ"**، رواه مسلم

ماذا يعني هذا الحديث؟

يعني أن رسول الله عليه أفضل الصلاة وله أتم التسليم كان يجلس مع أصحابه، ومجلس رسول الله مجلس علم، أو إدارة دولة، أو قضاء مصالح المسلمين، هو مجلس وقار وهيبة ورفعة، وبينما هم جلوس مع صاحب الخُلق العظيم، ترك الحديث مع أصحابه والأمور المهمة التي يتكلم فيها لما رأىٰ امرأةً تمر، وظل ينظر إليها حتىٰ تحركت شهوته، لأن تحرك الشهوة لا يأتي من النظرة الأولىٰ ـ وحاشاك يا حبيبي يا رسول الله ـ فترك المجلس وذهب لزوجته السيدة زينب وهي تدبغ جلدًا لها، فدعاها لإقامة علاقة، وقضىٰ حاجته، ثم خرج إلىٰ أصحابه وقد علموا كل هذه التفاصيل، علموا أنه نظر لامرأة فاشتهاها فذهب لزوجته، وعلموا حتىٰ تفاصيل ماذا كانت تفعل ببيتها وقت ذهابه، فأقام معها علاقة زوجية، ثم خرج إليهم. لقد علموا كل هذه المعلومات الدقيقة الخاصة في التو واللحظة! فلو كانوا استنبطوا أو تخيلوا ما حدث مع رسول الله من خلال تعليقه علىٰ المرأة التي مرت،

فكيف استنبطوا ماذا كانت تفعل زوجته ببيتها وقت قدوم رسول الله إليها؟وكيف علموا بإقامته لعلاقة زوجية معها؟!

ثم إلينا بالسبب الذي ذكروه فيما مر به رسول الله، إنها المرأة، كل إمرأة و أي إمرأة ، عندما تقبل علىٰ الجالسين فهي تقبل في صورة شيطان، وعندما تدبر فهي أيضًا تدبر في صورة شيطان.

لم أتألم وأنا أشرح حديثًا مثلما تألمت وأنا أشرح هذا الحديث، وتعجبت وذُهلت، كيف سمح علماء الحديث وتركوا هذا الحديث يسري بين الناس؟! كيف هان عليهم رسول الله فأقروا صحة حديث يصفه بهذه الأوصاف التي لا تليق بالكبير المحترم فيهم، فما بالنا برسول الله عليه أفضل الصلاة وله أتم التسليم، الشريف العفيف الحيي! هل كل هذا حتىٰ لا يُقروا أن بكتاب مسلم حديثًا موضوعًا مكذوبًا علىٰ رسول الله، هل هذا معقول!

ولنرىٰ شرح النووي لهذا الحديث: (وَمَعْنَىٰ الْحَدِيث: أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ رَأَىٰ اِمْرَأَة فَتَحَرَّكَتْ شَهْوَته أَنْ يَأْتِي اِمْرَأَته أَوْ جَارِيَته إِنْ كَانَتْ لَهُ، فَلْيُوَاقِعهَا لِيَدْفَع شَهْوَته، وَتَسْكُن نَفْسه، وَيَجْمَع قَلْبه عَلَىٰ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ. قوله: (إِنَّ الْمَرْأَة تُقْبِل فِي صُورَة شَيْطَان وَتُدْبِر فِي صُورَة شَيْطَان)، قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ: الْإِشَارَة إِلَىٰ الْهَوَىٰ وَالدُّعَاء إِلَىٰ الْفِتْنَة بِهَا لِمَا جَعَلَهُ الله تَعَالَىٰ فِي نُفُوس الرِّجَال مِنْ الْمَيْل إِلَىٰ النِّسَاء، وَالِالْتِذَاذ بِنَظَرِهِنَّ، وَمَا يَتَعَلَّق بِهِنَّ، فَهِيَ شَبِيهَة بِالشَّيْطَانِ فِي دُعَائِهِ إِلَىٰ الشَّرّ بِوَسْوَسَتِهِ وَتَزْيِينه لَهُ.

وَيُسْتَنْبَط مِنْ هَذَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهَا أَلَّا تَخْرُج بَيْن الرِّجَال إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْغَضّ عَنْ ثِيَابهَا، وَالْإِعْرَاض عَنْهَا مُطْلَقًا. قَوْله: "أَنَّ النَّبِيّ رَأَىٰ اِمْرَأَة فَأَتَىٰ اِمْرَأَته زَيْنَب، وَهِيَ تَمْعَس مَنِيئَة لَهَا، فَقَضَىٰ حَاجَته، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَصْحَابه فَقَالَ: إِنَّ الْمَرْأَة تُقْبِل فِي صُورَة شَيْطَان... إِلَىٰ آخِره"، قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بَيَانًا لَهُمْ، وَإِرْشَادًا لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، فَعَلَّمَهُمْ بِفِعْلِهِ وَقَوْله).

التعليق علىٰ هذا الشرح جملة جملة:

(أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ رَأَىٰ اِمْرَأَة فَتَحَرَّكَتْ شَهْوَته)، كأنه أمر مباح وطبيعي أن يسمح المؤمن لنفسه أن ينظر لامرأة حتىٰ تتحرك شهوته.

("إِنَّ الْمَرْأَة تُقْبِل فِي صُورَة شَيْطَان وَتُدْبِر فِي صُورَة شَيْطَان"، قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ: الْإِشَارَة إِلَىٰ الْهَوَىٰ وَالدُّعَاء إِلَىٰ الْفِتْنَة بِهَا لِمَا جَعَلَهُ الله تَعَالَىٰ فِي نُفُوس الرِّجَال مِنْ الْمَيْل إِلَىٰ النِّسَاء، وَالِالْتِذَاذ بِنَظَرِهِنَّ، وَمَا يَتَعَلَّق بِهِنَّ، فَهِيَ شَبِيهَة بِالشَّيْطَانِ فِي دُعَائِهِ إِلَىٰ الشَّرّ بِوَسْوَسَتِهِ وَتَزْيِينه لَهُ.)

هنا العلماء ـ ولا نعرف من هم ـ أهانوا المرأة المسلمة الشريفة العفيفة واعتبروها مصدرًا للفتنة ـ حتىٰ لو كانت فىٰ لبسها وجدها واحترامها علىٰ ما يحبه الله تعالىٰ ورسوله ـ وأضافوا أنه لا لوم علىٰ الرجال لما جعله الله في نفوسهم من الميل للنساء، والتلذذ بالنظر إليهن، والتلذذ بالنظر لكل ما يتعلق بهن، هذه التي تتلذذ بالنظر إليها أيها الرجل أنت مجبر عليه لأنه من عند الله، وهي تشبه الشيطان لأنها مثله تدعوك للشر

وتزينه لك، أما أنت أيها الرجل فلا حرج عليك، إنما الإثم كله عليها، فهي الشيطانة التي تتلذذ بالنظر إليها!

ثم الوصول للنتيجة الحتمية لهذه الصورة البشعة، (يَنْبَغِي لَهَا أَلَّا تَخْرُج بَيْن الرِّجَال إِلَّا لِضَرُورَةٍ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْغَضّ عَنْ ثِيَابهَا، وَالْإِعْرَاض عَنْهَا مُطْلَقًا) يعني تُعامل أسوء معاملةَ لا لشيء إلا لكونها امرأة، فلا تخرج ولا تشارك في أي نشاط في الحياة ولا لتتعلم، وعلىٰ الرجل أن يتعامل معها بتجاهل تام كأنها غير موجودة، ويعرض عنها تمامًا، لتحيا بلا حياة، ويتم وأدها وهي حية، بالرغم من أنه هو من يتلذذ بالنظر إليها، لكن لأنه رجل، فلا إثم عليه، ولأنها امرأة فالإثم عليها.

هذه هي صورة المرأة التي صُورت بها من خلال هذا الحديث، ليس في الاعتبار أن هذه المرأة هي الأم والأخت والزوجة والخالة والعمة، المؤمنة المجاهدة المكافحة المصلية الصائمة المتصدقة العالمة العفيفة، فما دام الله خلقها امرأة، فهي تغدو وتروح علىٰ هيئة شيطان!

ثم قال العلماء مرة أخرىٰ الذين لا نعرف أيًا من أسمائهم ولا صفاتهم، (قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بَيَانًا لَهُمْ، وَإِرْشَادًا لِمَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، فَعَلَّمَهُمْ بِفِعْلِهِ وَقَوْله)، فهل يُعلم رسول الله المسلمين من خلال ارتكابه لمعصية! يعلمهم أن النظر مباح حتىٰ تتحرك شهوتهم، ثم يعلمهم أن العلاقة الخاصة يمكن أن يعلم الأصحاب أنها تمت بين الزوجين، ويعلمهم أن المرأة خلقها الله تعالىٰ فلم يكرمها، بل أهانها وجعلها تشبه الشيطان في قدومها وإدبارها؟!

سنعرض متن هذا الحديث لشروط صحة المتن لنرىٰ مدىٰ توافقه معها:

أولا: ألا يخالف القرآن الكريم

١) يقول تعالىٰ: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾)، النور.

أمرٌ من رب العالمين لرسوله الكريم أن يقول للمؤمنين أن يغضوا من أبصارهم، فهل يمكن أن نتخيل للحظة أن رسول الله يأمر المؤمنين بغض البصر، بينما هو يطلق بصره علىٰ امرأة تمر بهم وهم في مجلس النبوة، حتىٰ تتحرك شهوته ولا يستطيع الصبر، فيذهب في الحال لزوجته ليقيم معها علاقة! هل يعتقد مسلم في رسوله هذا الاعتقاد الفاسد، هل يعتقد أنه يعصي أمرًا من الله تعالىٰ! بالتأكيد هذا مستحيل وألف ألف مستحيل.

ويقول تعالىٰ: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾)، الأحزاب. حكم الله تعالىٰ أن رسول الله هو الأسوة الحسنة، هو الأسوة الحسنة في تحقيق أمر الله تعالىٰ وطاعته، فيستحيل أن يأمره تعالىٰ بأمر ويخالفه.

ويقول تعالىٰ: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾)، القلم.

وصاحب الخلق العظيم هو الذي يغض بصره عما أمر رب العالمين بغض البصر عنه، والذي يكرم كل بني آدم من الرجال والنساء كما

أكرمهم رب العالمين، والذي هو بكل المؤمنين والمؤمنات رؤوف رحيم، والذي هو عف اللسان، يختار من الكلمات ألطفها وأرقها وأطيبها، والذي يحب الطيب والنساء وقرة عينه في الصلاة.

إذًا هذا المتن مخالف للقرآن الكريم

فصاحب الخلق العظيم يطيع أمر ربه فيما أمر به، ولم يكن ليطلق بصره، ولا يهين النساء.

٢) يقول تعالىٰ: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾)، الأحزاب.

هذه الآية الكريمة تلخص صورة المرأة التي خلقها رب العالمين وكرمها ورفعها بهذ الإيمان وهذه الصفات الجليلة، كما رفع الرجال بهذا الإيمان وهذه الصفات، ولم يحدث في كتاب الله تعالىٰ أن شبه الرجال أو النساء بعمومهم بالشيطان، بل جعل للشيطان أولياء من الرجال والنساء يعدهم ويمنيهم ويخوفهم، فهم في صفات الإيمان سواء، وفي اتباع الشيطان سواء، يقول تعالىٰ: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾)، الأنعام.

إذًا هذا المتن مخالف للقرآن الكريم

فرب العالمين وصف المؤمنات بأرقىٰ صفات الإيمان، ولم يذكر بأي حال تشبيه المرأة ـ لكونها امرأة ـ بالشيطان.

القاعدة الثانية: ألا يكون مخالفًا لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وصفاته الكريمة

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام: "لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ الْأُولَىٰ لَكَ، وَالْآخِرَةَ عَلَيْكَ"، سنن الدارمي.

نهىٰ رسول الله عن النظرات بعد الأولىٰ، لأن الأولىٰ لا يستتبعها تأثر ولا تحرك في المشاعر، أما اتباع النظرة الأولىٰ بالثانية والثالثة، فهي عليه لأنها تؤدي لتحرك المشاعر وإلىٰ تحرك الشهوة والغريزة.

فهل يقول رسول الله ما لايفعل؟! حاشاه عليه أفضل السلام وله أتم التسليم، بل هو الصادق الذي يُصدق فعله قوله، والذي يتقي الله تعالىٰ في كل ما يقول ويفعل.

ثم نبحث في أن أصحابه علموا أن شهوته تحركت لما رأىٰ المرأة، وأنه لذلك ذهب لزوجته، وعلموا أنه أقام معها علاقة زوجية! فما حكم الشرع في إفشاء أسرار العلاقة؟ تجيب لجنة أمانة الفتوىٰ بدار الإفتاء المصرية:

(إفشاء ما يقع بين الرجل وزوجته حال الجماع أو ما يتصل بذلك حرام شرعًا، فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ عليه

الصلاة والسلام: (إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)، أخرجه مسلم في صحيحه.

قال الإمام النووي في "شرحه علىٰ صحيح مسلم" (١٠/ ٨): [فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَحْرِيمُ إِفْشَاءِ الرَّجُلِ مَا يَجْرِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ مِنْ أُمُورِ الِاسْتِمْتَاعِ وَوَصْفِ تَفَاصِيلِ ذَلِكَ وَمَا يَجْرِي مِنَ الْمَرْأَةِ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَنَحْوِهِ].

وعن أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ فَقَالَ: (لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ: مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا) فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقُلْتُ: إِي وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: (فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ)، أخرجه أحمد في مسنده.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام أَنَّهُ قَالَ: "الشِّيَاعُ حَرَامٌ"، قَالَ ابْنُ لَهِيعَةَ: يَعْنِي: الَّذِي يَفْتَخِرُ بِالْجِمَاعِ، أخرجه أحمد في مسنده). انتهت الفتوىٰ.

هل بعد هذا التحذير الشديد الصارم من رسول الله تجاه إفشاء العلاقة الزوجية يمكننا أن نصدق أنه قد خرج علىٰ أصحابه وأخبرهم أنه أقام علاقة مع زوجته، بل أخبر بالتفاصيل، بأنه وجدها تدبغ جلدًا لها، فأخذها من عملها وأقام العلاقة!

إن هذا يتناقض تمامًا مع حيائه وأدبه العالي، وهو الحيي العفيف، عن عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي عُتْبَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ"، رواه مسلم.

إذًا هذا المتن مخالف لسنة رسول الله وصفاته وأخلاقه

فصاحب الخلق العظيم حيي عفيف لم يكن ليتتبع بنظره، ولم يكن ليظهر أمر العلاقة الزوجية.

ثم نعرض لهذا الرأي من كتاب "ضعيف البخاري ومسلم"، يقول صاحب هذا الكتاب: (هذا كتاب حاولت فيه أن أجمع كل الأحاديث الضعيفة في صحيحي البخاري ومسلم، والتي انتقدها قبلي الحفاظ، ولا أعلم بوجود كتاب شامل بهذه الطريقة الموسوعية، ولكن توجد بعض الكتب عن هذا الموضوع): (هذا الحديث **فيه طعنٌ برسول الله** وقد أخرجه مسلم بعدة ألفاظ منها: حدثنا عمرو بن علي حدثنا عبد الأعلىٰ حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن أبي الزبير عن جابر: «أن رسول الله رأىٰ امرأةً، فأتىٰ امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها، فقضىٰ حاجته، ثم خرج إلىٰ أصحابه، فقال: إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأةً، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه». وأخرجه كذلك: حدثنا زهير بن حرب حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا حرب بن أبي العالية (فيه ضعف) حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله: أن النبي رأىٰ امرأة، فذكر أنه قال: «فأتىٰ امرأته زينب وهي تمعس منيئة»، ولم يذكر تدبر في صورة شيطان (وهو ثابت

بنفس هذا الإسناد عند أحمد). ثم قال مسلم: حدثني سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير قال، قال جابر، سمعت النبي يقول: «إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقعت في قلبه، فليعمد إلىٰ امرأته فليواقعها، فإن ذلك يرد ما في نفسه».

(وهذا الحديث مردودٌ لانقطاع سنده ووجود النكارة الشديدة في متنه. وهذا محال علىٰ رسول الله، فقد نزهه الله عن ذلك وعصمه. وقد حاول بعض العلماء التكلف بالإجابة عن هذه النكارة بأجوبة ليست بالقوية، إلا أن الحديث الضعيف لا يُعبئ بشرحه أصلًا، والله أعلم.

وما جاء من طريق ابن لهيعة من تصريح أبي الزبير بالتحديث من جابر، مردود، لأن ابن لهيعة ضعيف جدًا من غير رواية العبادلة يقبل التلقين، فلا يعتبر به ولا يكتب حديثه. والملاحظ أن الذي روىٰ قصة المرأة هما هشام الدستوائي وحرب بن أبي العالية فقط عن أبي الزبير، بينما أغلب الرواة رووا الحديث عن أبي الزبير دون تلك القصة: معقل بن عبيد الله (مسلم)، وابن جريج (ابن حبان ١٢|٣٨٥)، وابن لَهيعة (أحمد ٢٣|٧٧)، وموسىٰ بن عقبة (أحمد ٢٣|٤٠٣) كلهم كاللفظ الأخير عند مسلم أي دون تقبل وتدبر في صورة شيطان. كما أن النسائي في الكبرىٰ (٨|٢٣٥) قد روىٰ الحديث عن قتيبة بن سعيد عن حرب عن جابر (أي مرسلًا، والحديث المرسل هو الحديث الذي سقط من سنده صحابي فهو غير متصل السند، فدرجته ضعيف)، ورجح هذا فقال: «هذا كأنه أولىٰ بالصواب من الذي قبله». والله المستعان علىٰ ما يصفون). انتهىٰ.

هذا النقد لمتن هذا الحديث يؤكد لنا أنه استحالة حدوثه في حق أشرف الخلق أجمعين وأطهرهم وأعظمهم خُلقًا، كما أنه يستحيل في وصف المرأة عامة بالشيطان، لا لشيء سوىٰ لكونها امرأة، ذلك الوصف الذي حول مجتمعاتنا المسلمة من مجتمعات إسلامية تقود حضارة الدنيا، إلىٰ مجتمعات فاشلة مريضة لا تقوم لها قائمة، فالنفوس التي تربت علىٰ هذه العنصرية، يستحيل أن تحيا حرة شريفة تبدع وتكافح وتتقدم، لأن العنصرية تعني الشعور الزائف بالتميز، والذي معه لا يحتاج هذا المتميز للكفاح والتقدم، ولا يستطيع الأقل فيه الموصوم بالقلة والضعة أن يبدع أويتقدم، لقناعته أنه لا يستطيع ولا يملك أدوات الفكر والإبداع، فأصبحت أمتنا في قاع الأمم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الحديث الرابع

عَنْ مَيْسَرَةَ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ:

"اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ"، رواه البخاري.

حَدِيثُ ابْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ:

"الْمَرْأَةُ خُلِقَتٍ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّكَ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَهَا تَعِشْ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ".

وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ - المستدرك علىٰ الصحيحين.

شرح الحديث (موقع الدرر السنية)

(كان صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ كَثيرًا ما يُوصي بالنِّساءِ، وقدْ قال صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ: "خَيرُكم خَيرُكم لأَهلِه"، أخرجَه ابنُ ماجهْ والتِّرمذيُّ، ولَمَّا كان في خَلْقِ النِّساءِ ضَعْفٌ وأُنوثةٌ بأَصلِ خِلقَتِهنَّ، نَبَّه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ علىٰ ذلك، فقال في هذا الحَديثِ: "استَوْصُوا بالنِّساءِ"، يَعني: تَواصَوْا فيما بيْنكم بالإحسانِ إليهِنَّ؛ "فإنَّ المرأَةَ خُلِقَت مِن ضِلَعٍ"، والضِّلَعُ أحدُ عِظامِ الصَّدرِ، والمعنىٰ: أنَّ في خَلْقِهن عِوَجًا وضَعْفًا مِن أصْلِ الخِلْقةِ، "وإنَّ أعوَجَ شَيءٍ في الضِّلَعِ أعلاهُ"، فوَصَفَها

بذلك للمُبالَغةِ في وصْفِ الاعوِجاجِ، وللتَّأكيدِ علىٰ معنَىٰ الكَسْرِ؛ لأنَّ تَعذُّرَ الإقامةِ في الجِهةِ العُليا أمْرُه أَظهَرُ. وقيل: يَحتَمِلُ أنْ يكونَ ذلك مَثَلًا لأعْلَىٰ المرأةِ؛ لأنَّ أعلاها رَأسُها، وفيه لِسانُها، وهو الَّذي يَنشَأُ منه الاعوِجاجُ، وكذلك المرأةُ عِوَجُها الشَّديدُ يكونُ في أعْلىٰ شَيءٍ فيها، وهو خُلقُها وفِكرُها، "فإنْ ذهَبْتَ تُقيمُه كَسَرْتَه"، يَعني: إذا أَرَدْتَ أنْ تُقيمَ الضِّلَعَ وتَجعَلَه مُستقيمًا، فإنَّه يَنْكَسِرُ، وكذلك المرأَةُ إنْ أَردْتَ منها الاستِقامةَ التَّامَّةَ في الخُلُقِ أدَّىٰ الأمرُ إلىٰ كسْرِها، وكسْرُها طَلاقُها، كما في رِوايةِ مُسلِمٍ، وفيه: إشعارٌ باستِحالةِ تَقويمِها. "وإنْ تَركْتَه لم يَزَلْ أعوَجَ" علىٰ حالِه التي خُلِقَ عليها، فلا يَقبَلُ الإقامةَ، وهذا ضرْبُ مَثَلٍ لِما في أخلاقِ النِّساءِ مِن الاعوجاجِ، فإنْ أُرِيدَ مِنهنَّ الاستقامةُ ربَّماً أفضَىٰ ذلك إلىٰ الطَّلاقِ.

ثُمَّ قالَ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ: "فاستَوْصُوا بالنِّساءِ"؛ فإنَّه لا سَبيلَ إلىٰ الانتِفاعِ بها إلَّا بالصَّبرِ علىٰ هذا الاعوِجاجِ مع مُداراتِها، فيَجِبُ الصَّبرُ عليهنَّ والإحسانُ إليهنَّ، وحُسنُ مُعاشرتِهنَّ مع ذلك، أو كأنَّ فيه رمْزًا إلىٰ التَّقويمِ برِفقٍ، بحيث لا يُبالِغُ فيه فيُكسَرُ، ولا يَترُكُه فيَستمِرُّ علىٰ عَوَجِه، والحاصلُ أنَّه لا يَترُكُها علىٰ الاعوجاجِ إذا تَعدَّتْ ما طُبِعَتْ عليه مِن النَّقصِ إلىٰ تَعاطي المعصيةِ بمُباشَرتِها، أو ترْكِ الواجبِ، وإنَّما المرادُ أنْ يَترُكَها علىٰ اعوجاجِها في الأُمورِ المباحةِ.

وفي الحديثِ: النَّدبُ إلىٰ المداراةِ لاستِمالةِ النُّفوسِ وتَألُّفِ القلوبِ.

وفيه: سِياسةُ النِّساءِ بأخْذِ العفْوِ عنهنَّ والصَّبرِ علىٰ عِوَجِهنَّ). انتهىٰ الشرح.

وما يصل إلينا من المعاني الظاهرة للحديث ومن الشرح له ما يلي:

أولًا: بدأ الشرح بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أوصىٰ بالمرأة وأن خيركم خيركم لأهله ليهيئنا لاستقبال الكلام وتقبله لأنه وصية الرسول للمرأة وأنه تكريم لها وتحقيق لوصيته.

ثانيًا: أن المرأة أقل تكريمًا من الرجل، فالرجل خلقه الله تعالىٰ من التراب كاملًا مستقيمًا، بينما المرأة تابعة لخلقه، فهي خُلقت من ضلعه، ولم تخلق مثله من التراب بصورة مستقلة.

ثالثًا: الشرح الخاص بتشريح الضلع، فالضلع بطبيعته أعوج، وهو الذي خلق الله تعالىٰ منه المرأة، لذلك فهي مخلوقٌ أعوجٌ، خلقت عوجاء من الأصل، فالله تعالىٰ خلق آدم مستقيمًا سليمًا من العيوب، بينما خلقها هي عوجاء! ثم اللمسة الخاصة بشكل وتكوين الضلع، وهي أن أعوج جزء فيه هو أعلاه، وهي كذلك، وأيضًا أعوج جزء فيها معوجٌ أعلاها، حيث عقلها ولسانها، فكلاهما خلقهما الله تعالىٰ معوجين.

رابعًا: نتيجة لما سبق، ونتيجة للتأكيد علىٰ خلقتها العوجاء، فدارها تعش بها، يعني خذها علىٰ قدر عقلها المعوج، (مشي حالك معاها) وتعامل معها علىٰ أنها معوجة لا أمل في إصلاح ما في عقلها ولسانها من عوج فهذه خلقتها، فهي في درجة أقل منك، فأنت المستقيم الكامل الخالي من العيوب في أصل الخلقة، وهي المعوجة في أصل خلقة الله تعالىٰ لها.

سنعرض متن هذا الحديث لشروط صحة المتن لنرىٰ مدىٰ توافقه معها:

أولا: ألا يخالف القرآن الكريم

سنبحث في مدىٰ تحقق شروط صحة المتن في هذه الجملة **"الْمَرْأَةُ خُلِقَتٍ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ"** لنرىٰ ما الذي أخبرنا به القرآن الكريم عن قصة خلق زوج سيدنا آدم وهي المقصودة من كلمة الْمَرْأَةُ.

١. يقول تعالىٰ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ** ..) ﴿١﴾، النساء.

في هذه الآية الكريمة يقول د. النابلسي:

(المرأة مساوية للرجل من حيث التشريف والتكليف : هذه الزوجة مِن نِعَم الله أنها إنسان، أنت إنسان، وهي من جنسِك، أنت إنسان لك فكر وهي إنسان لها فكر، أنت إنسان تحب الحقيقة وهي إنسان تحب الحقيقة، أنت إنسان تسعىٰ إلىٰ الراحة النفسية، وهي كذلك، والله تعالىٰ قال: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾(٣٦)، آل عمران، الخصائص الجسمية مختلفة، والعقلية مختلفة، من دون تفضيل لكن مختلفة، والاجتماعية مختلفة، والنفسية مختلفة، ومع ذلك متساويان من حيث التكليف والتشريف والمسئولية، شيء رائع، متساويان في الشرف، فالنبي الكريم حينما فتح مكة ركز راية النصر عند قبر السيدة خديجة، ليشعر الناس أن هذا الفتح المبين لها منه نصيب، هي سنده من

الداخل، الإنسان إن ترك عملًا عظيمًا في الحياة، هذه المرأة التي معه، والتي تخدمه، والتي تصبر عليه، والتي تهيئ له الجو المناسب، والتي ترضىٰ أن يغيب عنها طويلًا ليقوم بأعمال جليلة، هذه سند من الداخل، النبي ما نسي أن السيدة خديجة مع أنها ماتت، هذا الفتح المبين لها منه نصيب، فالمرأة مساوية للرجل من حيث التشريف، ومن حيث التكليف، كلفها بالصلاة والصيام والحج والزكاة، وكلفها بأركان الإسلام، بأن تنطق الشهادتين، وأن تصلي وتصوم، وأن تحج، وكلفها بأركان الإيمان، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالىٰ، وجعلها مسئولة عن أولادها وزوجها. (انصرفي أيتها المرأة، وأعلمي من ورائك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله)، "ورد في الأثر".

إذًا: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الزواج من آيات الله الدالة علىٰ عظمته: هي إنسان، ولكن من طبيعة ثانية، أنت وإياها تتكاملان، هي تسكن إلىٰ قوتك، وأنت تسكن إلىٰ عاطفتها المتأججة، هي تسكن له لأنه يحميها، وهو يسكن لها لأنها تلبي له حاجات هو بحاجة إليها.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الزواج من آيات الله الدالة علىٰ عظمته، لأن الله إذا قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فصلت: ٣٧.

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الشورىٰ: ٢٩.

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم: ٢١.

إذًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾). انتهىٰ الشرح.

نرىٰ د. النابلسي فسر الآية وتجنب تمامًا ذكر الحديث الذي يفسر خلق زوج آدم من ضلعه.

بينما نجد في معظم التفاسير لهذه الآية ومنهم تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور يقول: (والنفس الواحدة: هي آدم، والزوج: حوّاء، فإنّ حوّاء أُخرجت من آدم، من ضلعه، كما يقتضيه ظاهر قوله: "منها"، و"مِن" تبعيضية، ومعنىٰ التبعيض أنّ حوّاء خُلقت من جزء من آدم، قيل: من بقية الطينة التي خُلق منها آدم، وقيل: فصلت قطعة من ضلعه وهو ظاهر الحديث الوارد في الصحيحين، ومن قال: إنّ المعنىٰ وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل، لأنّ ذلك لا يختصّ بنوع الإنسان فإنّ أنثىٰ كلّ نوع هي من نوعه). انتهىٰ.

هنا اعتبر ابن عاشور أن قوله تعالىٰ: "مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" أي خلق حواء من جسد آدم، أي أن النفس هي الجسد، بينما النفس ليست الجسد، يقول تعالىٰ: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾)، الشمس، فالنفس هنا هي الصفات والملكات والطباع والأفكار والشهوات، فالنفس لا تقتصر علىٰ الجسد، إنما تعبر عن الصفات والخصائص الإنسانية.

وفي هذه الآيات يقول د. النابلسي في تفسير معنىٰ النفس (بتصرف):

(﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ هذه النفس تخاف وتتعرف إلىٰ الله كي تطمئن، من جعل هذه النفس تحب من أحسن إليها؟ من جعلها تحب التملك كي تحافظ علىٰ مكتسباتها؟ فالنفس الإنسانية لها قوانين: تحب السلامة، وهذا دافع كبير كي تنجو من عذاب الله، وتحب السعادة فهذا دافع آخر، وتحب من أُحسن إليها وهذا دافع ثالث، تخاف: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، سورة المعارج: ١٩، ضعيفة تحب أن تكون في حماية القوي، فالنفس غير بنية الجسم وغير الأجهزة، والجهاز العصبي والعظمي والقلب والأوردة والشرايين والرئتان والأمعاء وجهاز الهضم والغدد الصماء والدماغ والعضلات غير هذا البناء المحكم، النفس لها قوانين فالنفس البشرية تخاف وترجو وتطمع وتحب وتكره وتستعطف). انتهىٰ كلام د. النابلسي.

إذًا النفس في القرآن الكريم هي مجموع فكر الإنسان وعقله ومشاعره، ذاته الداخلية والخارجية، ليست بالجسد الذي يؤخذ منه الضلع، إنما هي كينونة الإنسان، فلما رب العالمين يخبرنا أنه سبحانه خلقنا من نفس واحدة أي من نفس الصفات والطاقات والخصائص البشرية، وخلق منها (من هذه النفس الواحدة) زوجها، فإن الفهم يكون أنه خلقنا جميعًا كبشر من نفس واحدة، بصفات إنسانية واحدة، ولو كان الخلق من سيدنا آدم، كانت اللغة تقول (خلق **منه** زوجها)، لكنه قال: (خلق **منها**، أي من هذا المصدر الأساسي وهي النفس)، أي خلق زوج سيدنا آدم بنفس الصفات والطاقات والخصائص البشرية، والزَّوْجُ لغة: القرينُ والنظيرُ والمثيلُ. وذلك مثل زوج القفازات وزوج الأحذية،

متماثلان تمامًا، لا يمكن وجود عوج في أحدهما، لو وجد العوج، لانتفت صفة الزوجية، وانتفىٰ التماثل، وانتفت المصلحة التي تُحصل من تماثلهما.

٢. يقول تعالىٰ: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**) ﴿١٢﴾، المؤمنون.

بالمعجم: سُلالة: ذرية. سليل الشَّخص: ابنه، أو واحد من نسْله.

هُوَ مِنْ سُلاَلَةٍ عَرِيقَةٍ: مِنْ جَماعَةٍ حافَظَتْ علىٰ عَراقَتِها، لَهَا صِفَاتٌ عَرِيقَةٌ مَوْرُوثَةٌ.

إذًا السُلالة تعني الذرية نتيجة زواج، زوج وزوجة، أب وأم، كلاهما معًا يمثلان أصل الأولاد والأحفاد والجماعات. وكلام الله تعالىٰ دقيق ومحكم ويصف الخلق بدقة بالغة، وكل حرف وكل كلمة لها دلالتها المقصودة، والآية الكريمة (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ) يخبرنا ربنا فيها أنه خلق الإنسان، كل الإنسان علىٰ وجه الأرض، نتيجة تزاوج مَن أصلهم من الطين، والسلالة التي هي المواليد، لا يمكن أن تكون ناتجة من طرف واحد هو سيدنا آدم، بل هي حتمًا من طرفين، والطرفين من طين كما أخبرنا رب العالمين، فلو كان سيدنا آدم من طين، والسيدة حواء من ضلعه، ما كان رب العالمين ليطلق عليهما معًا أنهما من طين.

٣. يقول تعالىٰ: (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾**)، الحجر.

ويقول تعالىٰ: (**خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾**)، الرحمن.

بالمعجم، الإنْسَانُ: هو اسم جنس لكائن حيّ مفكِّر قادر علىٰ الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقليّ، يقع علىٰ الذَّكر والأنثىٰ من بني آدم، ويطلق علىٰ المفرد والجمع.

الإنْسَانُ: المخلوق الحي المفكر للمذكر والمؤنث ، جمع أناسي وأناس. (فقهية)

الإنْسَانُ: من يتميّز بسموّ خلقه.

فالإنسان كل الإنسان، أصله من صلصال من حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، لا يوجد إنسان أصله من ضلع إنسان آخر، وكلمة الإنسان تقع علىٰ الذَّكر والأنثىٰ من بني آدم، فهو إنسان، وهي إنسان، ينطبق عليهما مواصفات الخلق الأول، وتنطبق عليهما صفة الإنسانية، فالإنسان هو اسم جنس لكائن حيّ مفكِّر قادر علىٰ الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقليّ، وهذا لكل إنسان منذ بداية الخلق، فإذًا كل إنسان سواء كان ذكرًا أم أنثىٰ، سواء كان آدم أم زوجه، فأصل خلقته الصلصال، ولا شيء آخر.

يقول تعالىٰ: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾)، النحل. فالإنسان هنا هو كل إنسان منذ بدء الخليقة إلىٰ يوم القيامة ذكرًا كان أم أنثىٰ. هذا هو معنىٰ كلمة إنسان.

٤. يقول تعالىٰ: (**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ**) ﴿٥٥﴾، طه.

يقول تعالىٰ: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ..**) الحج، ٥.

يؤكد علينا رب العالمين أنه خلقنا جميعًا من الأرض، من التراب، ذكورًا وإناثًا، ومجموع الناس الذي خلقهم رب العالمين من التراب وليس من أي شيء آخر، أتوا من زوج وزوجة، أتوا من التراب أيضًا، فلا يوجد أي عنصر دخيل علىٰ هذا مادة الخلق، لا يوجد خلق من خلق آخر، وإلا كانت الآية لا تعبر عن حقيقة الأمر، وحاشاه سبحانه، فهو العليم الحكيم الذي يضع كل حرف بعلم وحكمة ودقة تليق بعظمته وقدرته.

إذًا فهذه الجملة من الحديث **إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ**

مخالفة لآيات القرآن الكريم التي تخبرنا بأن كلا من آدم وحواء قد خلقا من الطين ومن الصلصال ومن التراب، ولم تخلق حواء من أي مادة أخرىٰ.

٥. يقول تعالىٰ: (**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴿٤﴾)، التين.

بالمعجم: تقوَّمَ يتقوَّم، تقوُّمًا، فهو مُتقوِّم، تقوَّم العودُ: اعتدل وزال عوجُه واستوىٰ.

قوم الشيء تقويما: أزال اعوجاجه وعدله.

خلق الله تعالىٰ الإنسان، الإنسان كل الإنسان من الذكور والإناث، في أحسن صورة، ظاهرًا وباطنًا، خلقه معتدلًا وأزال عوجه وعدله، فهل يصلح بعد هذه الآية الكريمة أن ندَّعي علىٰ رب العالمين أنه خلق المرأة من ضلع فيه اعوجاج، خلقها غير مستوية الخلقة، بها عوجًا وضعفًا من أصل الخلقة! وذلك مع استحالة تقويم هذا الاعوجاج، رب العالمين الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ يُفترىٰ عليه بأنه خلق الإنسان الذي كرمه وحمله الأمانة وبه عوج، وذلك بعد أن أخبرنا أنه خلق الإنسان كل الإنسان في أحسن تقويم.

يقول ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير) في تفسير هذه الآية الكريمة:

(وتعريف {الإنسان} يجوز أن يكون تعريف الجنس، وهو التعريف الملحوظ فيه مجموع الماهية مع وجودها في الخارج في ضمن بعض أفرادها أو جميع أفرادها.

ويُحمل علىٰ معنىٰ: خلقنا جميع الناس في أحسن تقويم.

ويجوز أن يكون تعريف {الإنسان} تعريف الحقيقة نحو قولهم: الرجل خير من المرأة، فلا يلاحظ فيه أفراد الجنس بل الملحوظ حالة الماهية في أصلها دون ما يعرض لأفرادها مما يغير بعض خصائصها. ومنه التعريف الواقع في قوله تعالىٰ: "إن الإنسان خلق هلوعًا"، سورة المعارج، ١٩.

والتقويم: جعل الشيء في قَوام (بفتح القاف)، أي عَدل وتسوية، وحسن التقويم أكمله وأليقه بنوع الإنسان، أي أحسن تقويم له، وهذا

يقتضي أنه تقويم خاص بالإنسان لا يشاركه فيه غيره من المخلوقات، ويتضح ذلك في تعديل القوىٰ الظاهرة والباطنة بحيث لا تكون إحدىٰ قواه موقعة له فيما يفسده، ولا يعوق بعض قواه البعضَ الآخر عن أداء وظيفته فإن غيره من جنسه كان دونه في التقويم). انتهىٰ.

لأن هذه الآية الكريمة تنسف الفرية التي نسبوها لرب العالمين، أنه خلق الرجل كاملًا مستقيمًا في أحسن تقويم، بينما خلق المرأة ناقصة معوجة لا أمل في علاج نقصها ولا اعتدال اعوجاجها، جاء ابن عاشور بجملة غريبة جدًا وسط التفسير وهي (الرجل خير من المرأة)، فلأن هذه الآية الكريمة تثبت بما لا يدع مجالًا لأي أقاويل أخرىٰ أن ستنا حواء خُلقت في أحسن تقويم وليس بها أي نقص أو اعوجاج في أصل الخلقة، فجاء بهذه الجملة ليظل محتفظًا بمعنىٰ أن الرجل خير من المرأة رغم ما قاله رب العالمين أنه خلق الإنسان كل الإنسان رجلاً كان أو إمرأة في أحسن تقويم.

في تفسير الوسيط لسيد طنطاوي يقول:

(والتقويم في الأصل: تصيير الشيء علىٰ الصورة التي ينبغي أن يكون عليها في التعديل والتركيب. تقول: قومت الشيء تقويمًا، إذا جعلته علىٰ أحسن الوجوه التي ينبغي أن يكون عليها، وهذا الحسن يشمل الظاهر والباطن للإنسان، والمراد بالإنسان هنا: جنسه. أي: لقد خلقنا –بقدرتنا وحكمتنا– جنس الإنسان في أكمل صورة، وأحكم عقل).

هذا التفسير هو الذي يتناسب مع ما حكم به رب العالمين في الآية الكريمة، من أنه سبحانه خلق الإنسان، كل الإنسان، في أحسن تقويم،

وحاشاه سبحانه أن يخلق مخلوقًا مُكرمًا وفي أصله نقص وعوج، فهو قد حَمْل الأمانة للإنسان، كلُ الإنسان، ووهبه كل الأدوات من عقل سليم ونفس مستقيمة لكي يقوم بهذه الأمانة التي أبت الجبال أن تحملها، فلم يكن سبحانه ليُحمل هذه الأمانة الثقيلة ويُحاسب عليها كل إنسان من ذكر وأنثىٰ، إلا وقد أعطىٰ كل منهما كامل الأدوات التي تجعله ينجح في حمل هذه الأمانة.

يقول تعالىٰ: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾)، الأحزاب.

إذًا فهذه الجملة من الحديث **إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ**

مخالفة لآيات القرآن الكريم التي تخبرنا بأن كلا من آدم وحواء قد خلقا في أحسن تقويم، فلم يخلق أحدهما في أحسن تقويم والآخر معوجًا.

فمن أين أتت قصة خلق الله تعالىٰ لستنا حواء من ضلع سيدنا آدم؟

يقول د. سامي الإمام أستاذ الديانة اليهودية/ كلية اللغات والترجمة/ جامعة الأزهر: جاء بالتوراة أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ خلق في اليوم الأول النور، وفي اليوم الثاني السماء، وفي اليوم الثالث الأرض والبحار، وفي اليوم الرابع القمر والنجوم، وفي اليوم الخامس الطيور والأسماك، وفي اليوم السادس الكائنات الحية؛

الحيوانات والبهائم والوحوش والزواحف.

وكذلك خُلق الإنسان في اليوم السادس، وممَّا جاء في سياق خلق الإنسان:

(ثم قال الله: لنصنع الإنْسان علىٰ صورتنا، كمثالنا، فيتسلّط علىٰ سمك البحر، وعلىٰ طير السماء، وعلىٰ الأَرض، وعلىٰ كل زاحفٍ يزحف عليها. فخلق الله الإنسان علىٰ صُورته، علىٰ صورة الله خلقه، ذكرًا وأُنثَىٰ خلقهم)، أما اليوم السابع فجاء في وصفه أنه اليوم الذي أتمّ الله فيه عمله الذي قام به، فاستراح من جميع ما عمله!

(ولم يكن قد نبت بعد في الأَرض شَجر برِّي ولا عُشب برِّي، لأَن الرب الإله لم يكن قد أَرسل مطرًا علىٰ الأَرض، ولم يكن هناك إنسان ليفلحها، إلاَّ أن ضبابًا كان يتصاعد من الأَرض فيسقي سطحها كلّه).

إذن كان الضباب المتصاعد من جوف الأرض يسقي سطحها بما فيه من نباتات جاء وصفها كالتالي:

(إنّي قد أَعطيتكم كل أَصناف البقول الْمُبْزِرة المُنتشرة علىٰ كل سطح الأَرض، وكل شَجر مُثْمر مُبْزِر، لتكون لكم طعامًا، أَما العشب الأَخضر فقد جعلته طعامًا لكل من وحوش الأَرض وطيور السماء والحيوانات الزَّاحفة، ولكل ما فيه نسمة حياة).

وكيف خلق الله آدم؟ الذي كان من ضرورات خلقه أن يفلح الأرض؟

(ثم جبل الرب الإله آدم من تراب الأَرض ونفخ في أَنفه نسمة حياة، فصار آدَم نفسًا حيّة، وأقام الرّب الإِله جَنَّة في شَرقيّ عَدْن ووضع فيها آدم الذي جبله).

وغرس الله، في وسط الجنّة التي وضع فيها آدم، شجرتي الحياة، ومعرفة الخير والشَّرّ. وكان نهر يجري في جنة عَدن ليَسقيها، ينقسم هذا النهر من هناك إلىٰ أَربعة أَنهُر:

نهر فيشون، ونهر جيحون، ونهر حيداقل، ونهر الفرات! تلك الأنهار التي دار حولها جدل كبير ولا يزال حيرت العلماء والدارسين.

(وأخذ الرب آدم ووضعه في جَنَّة عَدْنٍ ليفْلحها ويعْتني بها).

كُلف آدم إذن بمهمتين؛ أن يفلح تلك الجنّة، وأن يعتني بها! وأن يأكل ما يشاء منها – لكن الرب حذر آدَمَ قَائِلا: (كل ما تشاء من جميع أشجار الجنّة، ولكن إيّاك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشَّرِّ لأنك حين تأكل منها حتمًا تموت)– عقاب المخالفة واضح ولا لبس فيه هو (الموت الحتمي).

فليأكل آدم ممّا يحلو له ويلذ ويطيب من كل ما في الجنّة من ثمار وأطايب غير شجرة واحدة الأكل من ثمارها معناه الموت!

ثم يخاطب الرب نفسه فيقول: (ليس مُستحْسنًا أن يبقىٰ آدم وحيدًا، سأَصنع له معينًا مشابهًا له)!

يورد نص التوراة سببًا آخر يضاف إلىٰ ما سبق ليبرر خلق حواء، نلحظه في نهاية الفقرة التالية:

(وكان الرب الإله قد جبل من التّراب كل وحوش البرّية وطيور الفضاء وأحضرها إِلىٰ آدَم ليرىٰ بأَي أسماء يدعوها، فصار كل اسْم أطلقه آدَمُ

علىٰ كل مخلوق حيٍ اسمًا له، وهكذا أطلق آدمُ أسماءً علىٰ كل الطّيور والحيوانات والبهائِم، غير أَنَّه لم يجد لِنفسه مُعينًا مشابهًا له).

يتضح ممّا سبق أن الله أوكل لآدم تسميَّة اﻻلمخلوقات الحيّة، الطيور والحيوانات والبهائم.

ويتبين لآدم في هذه المرحلة أنه لا يوجد من بين المخلوقات من يشبهه! فكان ذلك سببًا جديدًا يضاف لعدم استحسان الرب أن يكون آدم وحيدًا في جنسه فقرر الرب أن يصنع له معينًا مشابهًا له؛ هي حواء.

وكيف صنع الرب حواء؟ تقول التوراة:

(فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق، ثم تناول ضلعًا من أَضلاعه وسَدّ مكانها باللَّحم، وعمل من هذه الضِّلع امرأَة أحضرها إلىٰ آدم).

ويستأنف آدم مهمة التسمية التي أوكلها إليه الرب:

(فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، فهي تدعىٰ امرَأَةً لأَنها من امْرِيءٍ أُخِذَت)).

نرىٰ بهذا الشرح بالتوراة مخالفة صريحة لعقيدتنا وديننا الإسلامي:

١) (أما اليوم السابع فجاء في وصفه أنه اليوم الذي أتمّ الله فيه عمله الذي قام به، فاستراح من جميع ما عمل).

فالمعنىٰ وكأن الله تعالىٰ تعب بعد أن أتم خلق المخلوقات في ستة أيام، فاستراح سبحانه في اليوم السابع، بينما معتقدنا تبعًا لما يقول تعالىٰ:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾)، ق.

ويقول تعالىٰ: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾)، البقرة.

فالله تعالىٰ لا يصيبه التعب، ولا يغفل لحظة ولا أقل من ذلك عن حفظ السموات والأرض، فهو العلي العظيم.

٢) (ثم قال الله: لنصنع الإنْسان علىٰ صورتنا، كمثالنا، فيتسلّط علىٰ سمك البحر، وعلىٰ طير السماء، وعلىٰ الأَرض، وعلىٰ كل زاحفٍ يزحف عليها، فخلق الله الإنسان علىٰ صُورته، علىٰ صورة الله خلقه، ذكرًا وأُنثَىٰ خلقهم).

وحاشاه رب العالمين ولعنةُ الله علىٰ من شبه الله تعالىٰ بصورة الإنسان، فهو ليس كمثلة شيء. وقد أخبرنا ربنا بالحق، وتلك عقيدتنا، يقول تعالىٰ: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾)، الشورىٰ.

بينما نجد للأسف حديثًا بالبخاري يؤكد علىٰ فرية اليهود في حق رب العالمين، وحاشاه رسول الله أن يقول هذا الكذب المحض. عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ،.."، رواه البخاري.

٣) (وكان الرب الإله قد جبل من التّراب كل وحوش البرّية وطيور الفضاء وأحضرها إِلىٰ آدَم ليرىٰ بأَي أسماء يدعوها، فصار كل اسْم أطلقه آدَمُ علىٰ كل مخلوق حيٍ اسمًا له، وهكذا أطلق آدمُ أسماءً علىٰ كل الطّيور والحيوانات والبهائِم، غير أَنَّه لم يجد لِنفسه مُعينًا مشابهًا له).

هذا مخالف لنص كلام الله تعالىٰ الذي يقول: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾)، البقرة.

فالله تعالىٰ أخبرنا بقرآنه أنه هو من علم آدم الأسماء كلها، ولم يترك له تسمية الأشياء.

٤) (كل ما تشاء من جميع أشجار الجنّة، ولكن إيّاك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشّرِّ لأنك حين تأكل منها حتمًا تموت) – عقاب المخالفة واضح ولا لبس فيه هو (الموت الحتمي).

هذا مخالف للقرآن الكريم، فلم يجعل الله تعالىٰ عقاب مخالفة سيدنا آدم الموت، إنما ظل حيًا هو وزوجه، واستغفرا الله تعالىٰ وقبل استغفارهما وتوبتهما، وسعيا في الأرض وأنجبا الذرية.

فإذا كان في هذا الجزء من سفر التكوين بالتوراة كل هذه الأخطاء التي لا تليق برب العالمين، والتي يتهمهم رب العالمين بتحريفها، يقول تعالىٰ: (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) ﴿٧٥﴾، البقرة.

ويقول تعالىٰ: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ...)، المائدة.

لقد حرفوا كلام الله تعالىٰ وافتروا علىٰ الله الكذب، فكيف نقبل أن نأخذ منهم هذه الإسرائيليات التي تحتوي سوء الأدب مع رب العالمين، واتهام الأنبياء بأفظع الاتهامات وأحقرها، والتي تحمل العنصرية البغيضة ضد النساء، لقد وصل الأمر في أن عالمًا، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، ألف كتابًا عن مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، استشهد بما ورد في الإصحاح الثاني من سفر التكوين الذي ذكرناه، ليدلل علىٰ صحة حديث رسول الله علىٰ أنها خلقت من ضلع آدم! والله لا أجد التعليق المناسب علىٰ هذا الكلام الذىٰ يدلل فيه صاحبه المسلم علىٰ صحة حديث لرسول الله بما جاء بالتوراة وهو يعلم ما فيها من تحريف حذرنا منه رب العالمين، وحذرنا رسول الله من اتباعهم. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، قَالَ: فَمَنْ"، رواه البخاري.

كما أن واضع الحديث الذي افترىٰ علىٰ الله ورسوله الكذب، لم يكتف بالقول بما في التوراة من أنها خلقت من ضلع آدم، لكنه أضاف لمسته الخاصة، فتبعًا لتشريح الضلع، هو أعوج، وكذلك خلقة المرأة عوجاء، وأيضًا تبعـًا لتشريح الضلع فإن أعوج شيء فيه أعلاه، فكذلك أعوج شيء في المرأة أعلاها، عقلها ولسانها، فخذوها علىٰ قدر عقلها المعوج، ودارها تعش بها!

وفي هذا المعنىٰ يقول د. سامي الإمام:

يبذل اليهود وخاصة الصهاينة في فلسطين جهودًا دؤوبة لإثبات أن القرآن ما هو إلا نسخة من التوراة! وأن محمدًا عليه الصلاة والسلام لم يأت بوحي، بل نقل ما جاء به من تراث اليهود بوصفهم أصحاب أقدم دين وأول رسالة كبرىٰ، التوراة.

يدعمهم في ذلك ما يُفسَّر علىٰ هواهم ممّا جاء بالقرآن الكريم، ويوحي عند كثير من العامة وقليلي المعرفة، والسذج، ومثيري الفتن بأنهم علىٰ حقّ! وهناك فريق آخر ممن احترفوا كراهية الإسلام وأصوله وكل ما يتعلق به، من الغربيين ومن يعاونهم في ذلك من بني جلدتنا، وما أكثرهم، الذين أوقفوا جهدهم ونشاطهم في التصدّي للإسلام ومحاولة هدم أصوله وتقويضها!

ولا أدلّ علىٰ ذلك من كمّ المؤلفات التي تصدر عن الكيان الصهيوني لا نقول كل يوم بل كل ساعة، مما يطعن في الإسلام وفي نبيِّه الكريم، صلىٰ الله عليه وسلم، وفي كل ما يتعلق بنا عقيدة، وأصولًا، وتاريخًا، وتراثًا، وأرضًا، وكل شيء.

مثل كتاب: مصادر يهودية في القرآن، تأليف/ أ. ش. زئفي، ١٩٨٣.

ناهيك عن مئات المؤلفات والأعمال الدرامية والسينمائية والدعائية علىٰ وسائل الإعلام المختلفة، وكذا مناهج التعليم في الكيان الصهيوني في مراحله المختلفة بدءًا من رياض الأطفال وحتىٰ التعليم الجامعي ومتابعة الجنود بالمعرفة المطلوبة لتقوية شوكتهم كأعداء لكل ما يمت

للعرب والإسلام بشيء، وهو ما يشوه صورة - لا نقول المسلمين الذين هم في رأينا قد أسهم كثير منهم في تيسير مهمة ذلك الشيطان المتربص، ووقفوا متفرجين ـ بل تشويه أصول الإسلام ذاته.

يمول ذلك كله جيوش من الأعداء، الظاهرين والباطنين، في الشرق وفي الغرب، وبيننا من هم أشد كراهية علىٰ حد المقولة: المنافق أشد خطرًا من الكافر، وأخبث الناس عدوّ في ثوب صديق!

ومن أدوات الحرب هذه متابعة كل ما يكتب عن الإسلام وكل ما يُبث، علىٰ فقرِه، وكل ما يتفوّه به علىٰ منابر المساجد، وإرجاع أصوله إلىٰ اليهودية!

ومما يقال علىٰ المنابر وفي الكتب الإسلامية، ما يجعلك في حيرة أهو تراث؟ أو مما يخصّ تاريخ المسلمين؟ أو ما يشكل أسسًا عقدية؟ أم هو منقول عن اليهودية بالفعل ويندرج تحت ما اتفق العلماء علىٰ تسميته "الإسرائيليات"؟! فأين الحقيقة في هذه الأمور؟

وإذا تبيّن لمن يخوّل إليهم بحث هذه الموضوعات مثار الجدل والفتنة أن أصولها يهودية وأنها منقولة بأسباب مختلفة عن اليهودية، فهل تكون هناك الجرأة الكافية، بالأدلة العلمية والبراهين، علىٰ القول بأنها ليست من الإسلام في شيء ولا بد من التنبيه علىٰ جميع المتكلمين خاصة في المساجد بعدم ذكرها؟ وعدم غرسها في عقول النشء، ليشبوا أكثر وعيًا بعقيدتهم وتراثهم وأصوله وتاريخه)، انتهىٰ كلام د. سامي الإمام.

الحديث الخامس

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، فَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ قِصَّةً، فَقَالَ: **"أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ"**. رواه الترمذي

وَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ: عَوَانٌ عِنْدَكُمْ يَعْنِي: أَسْرَىٰ فِي أَيْدِيكُمْ. إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات عدا سليمان بن عمرو الجشمي (وهو اسم الشهرة لسليمان بن عمرو الأحوص وهو أول راو للحديث) وهو مقبول.

نفهم من هذا الحديث ما يلي:

يبدأ الحديث بوصية الرجال بالنساء، يعني ما هو آت هو وصية الرسول، وهي بالتأكيد لخيرهن وسعادتهن، ثم يصفهم الحديث أن النساء ما هن إلا عوان عندكم، يعني أسيرات عندكم، ثم تأتي جملة "لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ" جملة غريبة جدًا وغير مفهومة بالمرة، ما هو "غير ذلك" هل المقصود بذلك هو الأسر، هل تعني لا

تملكون منهن شيئًا غير ذلك يعني لا تملكون منهم غير أنهن أسيرات! معنىٰ غريب جدًا وكلام غير متناسق، وهل هناك ملكية في الأمر أصلًا؟

(إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا)، لهن مميزات الأسر، لكن يفقدنها إذا أتين بفاحشة مبينة! والفاحشة المبينة بالقرآن هي الزنا! فإن فعلن هذه الفاحشة المبينة، فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا خفيفًا!

ثم ذكر الحديث الحقوق لكل من الزوج والزوجة، "فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ" حق الرجل علىٰ زوجته ألا تُدخل بيته من يكره، فالجملتين بمعنىٰ واحد.

ثم حق الزوجة، "أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ"، إذًا.. إذا قمتم لهن بالكسوة والطعام، فقد وفيتم ما عليكم من حقوق تجاههن، وليس عليكم أكثر من ذلك!

سنعرض متن هذا الحديث لشروط صحة المتن لنرىٰ مدىٰ توافقه معها..

أولا: ألا يخالف القرآن الكريم

سنبدأ بالجملة الأولىٰ: **"أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ"**.

إنما: أداة حصر تفيد التوكيد.َإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ.. يعني أن الزوجات حصرًا وتأكيدًا ما هن إلا أسيرات عندكم، ليس لهن أي صفة أخرىٰ، وبالتالي ليس لهن سوىٰ ما للأسير من معاملة ومن حقوق، فما هو تعريف الأسير، الأسير هو المشدود عليه الوثاق ممن أخذه، بحيث يكون في قبضة يده، وهو المأخوذ في الحرب. فمكانة الأسير، هي مكانة المهزوم الذي لا يملك لنفسه قرارًا ولا حرية، والذي هو في درجة أدنىٰ من درجة من أَسره. وحق الأسير في الإسلام، إطعام الأسير وعدم تجويعه، وكسوة الأسير كسوة لائقة به تقيه حر الصيف وبرد الشتاء والرعاية الصحية. فهل أخبرنا القرآن الكريم أن وضع المرأة المتزوجة كوضع الأسير؟ ليس لها إلا الطعام والشراب والكسوة! حتىٰ الأسير له حق الرعاية الصحية، بينما لم تذكر فىٰ هذا الحديث أنها من حقوق الزوجة.

إن للمرأة المتزوجة حقوقًا كثيرة ذكرها رب العالمين بالقرآن الكريم في كل مرحلة من مراحل الخطبة والزواج والطلاق، لكن يمكننا أن نختصرها في قوله تعالىٰ: (..وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾)، البقرة. فكل.. كل ما يرىٰ الزوج أنه حق له، فلزوجته مثله تمامًا، الحقوق المالية والنفسية والعقلية والاجتماعية والدينية والعلمية، وتفصيل هذه الحقوق سيأخذ مساحة كبيرة وتخرج بنا عن لب الموضوع، وهي معروفة ويمكننا حصرها من خلال الواقع والحديث عن حقوق الزوج، حيث هي مثلها تمامًا للزوجة.

وفيما يخص بقية الآية "وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ" التي تُستخدم لفرض الاعتقاد بأن الله فضل الزوج علىٰ الزوجة، قد فسرت علىٰ أن للأزواج درجة فىٰ الأفضلية علىٰ الزوجات، لكن لما نرىٰ سياق الآية، نجد أن الوصية بمعاملة الزوجة بالمثل والزيادة بالمعروف، ثم للرجال _ وليس للذكور _ درجة أعلىٰ في مطالبتهم بزيادة المعروف، فالرجال عليهم أن يزدادوا درجة في أداء ما عليهم لزوجاتهم ليزيدوا عن الحد الواجب الذي هو المعاملة بالمثل في الحقوق، لأنهم قوامون، أي عليهم القيام بأمور العناية والرعاية بكل جوانبها، فالدرجة هىٰ القوامة.

ويقول تعالىٰ في الحقوق الزوجية للزوجين: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾)، الروم. وبالتأكيد وضع الأسير أقل بكثير من أن يكون فيه الزوج سكنًا لزوجته، والزوجة سكنًا لزوجها، وأن يتبادلا المودة والرحمة. فما بين الآسر والأسير علاقة بعيدة كل البعد عن المودة والرحمة، بينما وصف رب العالمين لهذه العلاقة الراقية يدل علىٰ أنها لا تنشأ إلا بين من هم علىٰ درجة واحدة من الإنسانية والمكانة والدرجة.

لهذا فإن وصف مكانة الزوجة في مؤسسة الزواج بأنها كمكانة الأسير، تخالف آيات القرآن الكريم.

ثم هذه الجملة العجيبة: "فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ"، فما الذي يملكه الأزواج أولًا؟ ثم ما المقصود بغير ذلك؟ إن الملكية في العلاقة الزوجية غير واردة في أي آية أو حديث،

إنما هي علاقة متكافئة متكاملة، لا مجال فيها لتفضيل طرف علىٰ طرف، أو ملكية طرف لطرف، فأين مكان كلمة "تَمْلِكُونَ" هنا؟! ثم إن "ذلِكَ" والتي هي كلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ: ذَا الإِشارَةِ، وَالكافُ كافُ الخِطابِ، موجهة لخطاب مَن؟ ولأي شيء؟ هل "ذلك" تشير إلىٰ وضع المرأة كأسيرة، فالمعنىٰ يكون لا تملكون عليهن حقوق إلا حقوق الأسر؟ وما هي الحقوق الأكثر للزوج لدىٰ زوجته الأسيرة والتي منعها الحديث عن الزوج "لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ"؟

فإذا كانت حقوق المرأة بالقرآن الكريم هي حقوق كاملة مثلها مثل الرجل، فتكون هذه الجملة غير صحيحة، وتخالف آيات القرآن الكريم.

إذًا هذه الجملة من المتن

"فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ"

مخالفة لآيات القرآن الكريم حيث إن مكانة الزوجة ليست مكانة الأسير، بل هي مكانة متماثلة لمكانة الزوج، وهما يتبادلان المودة والرحمة والسكينة علىٰ درجة واحدة.

الجملة الثانية بالحديث "..**لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا،..**"

"إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ" يعني أنتم لا تملكون منهن شيئًا إلا أنهن أسيرات عندكم، إلا في حالة واحدة أن يأتين بفاحشة مبينة، فإذا أتين

بفاحشة مبينة، فإنهن يفقدن ميزة أنهن أسيرات، ويستحققن الهجر في الفراش والضرب غير المبرح.

نجد أن الفاحشة المبينة بالقرآن الكريم هي الزنا أو المعصية الظاهرة البينة، عقوبتها:

إما الطلاق واسترداد الصداق، كما يقول تعالىٰ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ..) (١٩)، النساء. وفي التفسير: لا يجوز لكم أن تضارُّوا أزواجكم وأنتم كارهون لهن؛ ليتنازلن عن بعض ما آتيتموهن من مهر ونحوه، إلا أن يرتكبن أمرًا فاحشًا كالزنىٰ، فلكم حينئذ إمساكهن حتىٰ تأخذوا ما أعطيتموهن.

أوالطلاق والإخراج من البيت بعد الطلاق بحيث لا تقضي به عدتها، يقول تعالىٰ: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ..) (١)، الطلاق. وفي التفسير: لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنَّ فيها إلىٰ أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات، ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنىٰ.

لكن هنا في هذا الحديث نجد تشريعًا مخالفًا لما أتىٰ بالقرآن الكريم ففي هذا الحديث: "فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ"، فاحشة الزنىٰ إذا ارتكبتها الزوجة، فاهجرها في

الفراش، واضربها ضربًا غير مبرح! بينما جريمة الزنا أو الفاحشة، جعل الله تعالىٰ لها عقوبة الطلاق واسترداد المهر، أو الطلاق والإخراج من البيت، وليس الهجر في المضجع، والضرب الخفيف، وحاشا لرسول الله عليه الصلاة والسلام أن يشرع بغير ما أتىٰ به هو من رب العالمين أو يغيره.

وإن قال البعض إن المقصود بالفاحشة المبينة ما جاء بالآية الكريمة من خوف النشوز، (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾)، النساء. فلم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتخطىٰ مرحلة العظة ليأمر مباشرة بالهجر والضرب، يستحيل أن يخالف رسول الله ما أمر به الله تعالىٰ من خطوات لابد أن تبدأ بالموعظة.

لذلك فإن هذه الجملة من المتن

إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ،

مخالفة لآيات القرآن الكريم، ففعل الفاحشة البينة، جعل الله تعالىٰ لها عقوبات أخرىٰ صريحة مغايرة لما ورد بهذا الحديث.

الجملة الثالثة **أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي**

بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ.

هذه الجملة تأكيد علىٰ ما ذكرناه من قبل من أن المرأة ما هي إلا أسيرة لدىٰ زوجها، فحقوقها هي حقوق الأسير، وهي الطعام والشراب والكسوة، ولا شيء غير هذا! لا المعاملة بالمعروف، ولا مشاركتها في إدارة الأسرة، ولا احترام رغباتها، ولا الاهتمام بإسعادها، بينما بالقرآن الكريم كل حقوق الزوجة والزوج تدخل تحت الآية الكريمة (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾)، الروم. فكل ما يؤدي للسكينة والمودة والرحمة بين الزوجين، فهي حق لكل طرف علىٰ الآخر، وليس الكسوة والطعام فقط للزوجة، ولا عدم إدخال بيت الزوجية من يكرههم الزوج فقط.

إذا هذه الجملة من المتن مخالفة لآيات القرآن الكريم، فالحقوق الزوجية للزوجين قائمة علىٰ المودة والرحمة المتبادلة وليس علىٰ القيام بحق الأسير.

ثانيًا: ألا يكون مخالفًا لفعل رسول الله وسنته وصفاته

١. في هذا الحديث يقول **"وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّح"**.

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَضْرِبِ امْرَأَةً قَطُّ، وَلا خَادِمًا، إِلا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ".

كذلك نهىٰ عن هذه العادة الجاهلية، عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ذُبَابٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: "لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ"، فَجَاءَ عُمَرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللهِ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ: "لَقَدْ طَافَ بِآلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ". سنن أبي داود، إسناده متصل، رجاله ثقات.

فمن الواضح أنه نهىٰ عن عادة جاهلية كانت سائدة ـ كما هىٰ سائدة الآن عند كل المجرمين والبلطجية ـ ثم "لما ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ"، ذَئِرَ : أَنِفَ وغَضِبَ، هذا يعني أن النساء لما أطمأنوا لمنع رسول الله للعنف تجاههن، أظهرن غضبهن مما يفعله بعض الأزواج دون خوف، لكن هذا الأمر أغضب الأزواج ووجدوا فيه خروجاً عما ألفوه من طاعة الزوجات بلا نقاش ولا مراجعة، لذلك طلب عمر بن الخطاب أن يرخص الرسول في الرجوع لهذا الأمر حتىٰ تسير البيوت كما تعودت من خضوع الزوجات وعدم قدرتهن علىٰ اظهار رفضهن، لم يقل له أننا نفعل كما أمرنا الله من ضرب الزوجات، ولم يقل أن الزوجات يرفضن أمر الله تعالىٰ للأزواج بضرب الزوجات. فلما استجاب رسول الله لطلب عمر ابن الخطاب علىٰ أعتبار أنها عادة وأنها قد تستخدم فقط فىٰ ظروف محددة، طافت النساء برسول الله يشكين أزواجهن، فقال عنهم رسول الله ليس هؤلاء الرجال بأحسن الرجال خلقًا وطبعًا، يعني ذمهم وغضب من فعلتهم ونزع عنهم الخيرية، ولم يقل أنهم يحققون ما أمر الله تعالىٰ به.

ولن تكتمل هذه النقطة دون أن نتطرق للآية الكريمة: (.. وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾)، النساء.

وآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن العلاقة الزوجية في حاجة لبحث مستقل، لكن سوف أعرض هذه النقطة باختصار شديد وسوف نصل في الشرح مباشرة إلىٰ "واضْرِبُوهُنَّ"، ومن المعلوم عند تفسير آيات القرآن الكريم وكلماته، أن تفسيرها يستدعىٰ أمرين: الأول تجميع كل الآيات التي تتحدث في الموضوع المطروح حتىٰ لا نتعامل معه كتعامل من يقول (ولا تقربوا الصلاة)، والثاني معرفة المعنىٰ القرآني للكلمات، بمعنىٰ تفسير القرآن بالقرآن.

الأمر الأول: أنه عندما نستدعي آيات العلاقة الزوجية وأسسها، نجدها قائمة علىٰ المحبة والفضل والسكينة والمودة والرحمة، وعلىٰ التفاهم والتشاور والتراضي، وعلىٰ التعامل مع الزوجين كمتماثلين في الإنسانية والمشاعر والرغبات، وحتىٰ الفراق يكون بالتراضي واتباع الأفضل، ووعد الذين يتفرقوا بالحسنىٰ بأنه سبحانه سيغنيهم من سعته. وإقرار ضرب الزوج لزوجته بالصورة التي نتخيلها تهدم كل هذا، لذلك فإنه باستدعاء كل آيات العلاقة الزوجية، نعلم أنه لا يمكن تفسير الضرب بهذه الصورة التي لا يقبلها أي إنسان طبيعي، فما بالنا لو كانت زوجة تشارك زوجها كل مهام الأسرة، ولها مثله كل الحقوق الإنسانية والاجتماعية والدينية.

الأمر الثاني: نجد الضرب بالمعجم له عشرات المعاني والاستخدامات، وله عدة معانٍ بالقرآن الكريم:

جاء بمعنىٰ ضرب الأمثلة، يقول تعالىٰ: (إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا..) (٢٦)، البقرة.

وبمعنىٰ العقوبة التي تصحب المعاقب، يقول تعالىٰ: (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ..) (٦١)، البقرة.

وبمعنىٰ إعمار الأرض والسعي فيها، يقول تعالىٰ: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ..) (٢٧٣)، البقرة.

وبمعنىٰ إيقاع شيء علىٰ شيء بقوة: يقول تعالىٰ: (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ..) (٦٠)، البقرة.

ثم بمعنىٰ الحجز والمنع، يقول تعالىٰ: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ) ﴿١٣﴾، الحديد.

وهذا المعنىٰ الأخير هو الذي يتوافق مع ما جاء بالقرآن الكريم في صورة الحياة الزوجية ورقيها واحترام كل طرف للآخر، فيكون معنىٰ الآية الكريمة: الزوج الذي يرىٰ علىٰ زوجته علامات النشوز ويخشىٰ من تفاقمها، كأن تُخرج أسرار البيت، أو تستدين من كل من يمكنها الاستدانة منه، أو تستقبل في بيتها من لا يريدهم الزوج، أو تكثر من

الغضب والعصبية دون مبرر، أو يعاملها بالحسنىٰ فتستقبل الإحسان بالإساءة أو... أو... عليه أولًا بوعظها والصبر علىٰ هذا الوعظ فترة حتىٰ يؤتي ثماره، ويكون هو خير مثال لما يعظ به، فإذا أصرت علىٰ الخلق السيئ الذي قد يهدم البيت، يهجرها في الفراش ولا يقربها لتشعر بغضبه منها، فإذا أصرت بعد الوعظ والهجر، عليه بضربها، أي حجزها عما تفعل بالوسائل المتاحة له، بما يعلم أنه يمنعها عما تفعل من سوء.

وهكذا جعل الله تعالىٰ علىٰ الزوج هذه المهمة الثقيلة، وهي مهمة التدرج مع الزوجة الناشز التي قد تستغرق منه سنوات لكي يصلحها، فتنصلح بصلاحها الأسرة كلها، بل والمجتمع كله.

إذًا هذه الجملة من المتن

"وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ"

مخالفة لسنة رسول الله وفعله، فهو لم يضرب امرأةً قط، ونهىٰ عن ضرب النساء.

ثم سنأتي لعرض ملحوظة مهمة توضح لنا مدىٰ صحة هذا الحديث من عدمه:

جاء هذا الحديث برواية أخرىٰ عن نفس الراوي، عَنْ شَبِيبِ بْنِ غَرْقَدَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللهِ تعالىٰ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: "أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟ قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمُ

الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَىٰ وَلَدِهِ وَلَا وَلَدٌ عَلَىٰ وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ فَلَيْسَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، غَيْرَ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، **أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ"**، رواه الترمذي. الحكم علىٰ الإسناد: إسناد ضعيف لأن به موضع تعليق، وباقي رجاله ثقات عدا سليمان بن عمرو الجشمي وهو مقبول.

والحديث المعلق هو ما حُذف من بداية إسناده راوٍ واحد فأكثر، وهكذا فإن الحديث بسنده سببان للضعف، حذف من بداية سنده راو (وهو الأحوص شخصيـًا)، ثم الذي بدأ روايته ليس من الثقات!!!!

ثم سنستعرض الحديث صحيح الإسناد الذي جاء بالبخاري، عن عَاصِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ بِمِنًىٰ: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَلَدٌ حَرَامٌ، أَفَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"، وَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْغَازِ: أَخْبَرَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَقَفَ النَّبِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ فَطَفِقَ النَّبِيُّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ وَوَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ". رواه البخاري.

وفي رواية أخرىٰ عن عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَىٰ أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ. رواه البخاري.

سنبحث في مدىٰ تحقق شروط صحة المتن من حيث موافقته لسنة رسول الله وصفات كلامه، وسنسمي الحديثين اللذين رواهما الترمذي وبهما "هن عوان عندكم" رواية الترمذي، والحديثين الذي بهما "حرمة دماء المسلمين" رواية البخاري.

١. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ خُطْبَتُهُ؟ قَالَ: (كَانَتْ قَصْدًا، كَلَامٌ يَعِظُ بِهِ النَّاسَ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما أنه معروف من صفات حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، قلة الكلمات وفصاحة اللغة والتكلم فيما فيه الفائدة وفي معالي الأمور. وكما قالت السيدة عائشة: (.. إِنَّ رَسُولَ اللهِ عليه الصلاة والسلام لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ)، وقالت: (.. إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ عليه الصلاة والسلام لَيُحَدِّثُ الْحَدِيثَ لَوْ شَاءَ الْعَادُّ أَنْ يُحْصِيَهُ أَحْصَاهُ).

ونحن نرىٰ أن رواية الترمذي فيها إطالة لا تتناسب مع صفة كلامه ومواعظه، فهي تطول وتطول حتىٰ تصل جملها لنحو ٢٥ جملة، بكل جملة نحو ٤ كلمات، يعني نحو ١٠٠ كلمة، في مواضيع مختلفة ليس بينها رابط. أما رواية البخاري فتتكون من نحو ٤ جمل، بكل جملة نحو ٤ كلمات، لتكون نحو ١٦ كلمة، كلها في موضوع واحد فقط، فأيها يتفق وصفة كلام رسول الله، نرىٰ بوضوح أن رواية الترمذي لا تتوافق مع صفة كلام رسول الله، بينما رواية البخاري تتفق وصفة كلامه عليه الصلاة والسلام، تتوافق تمامًا مع فصاحته، وقلة كلماته التي يحفظها من سمعها.

٢ . الوصية برواية البخاري تليق بمقام الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أوتي جوامع الكلم، فهو يجمع أهم المعاني والتوصيات في كلمات قليلة تؤدي إلىٰ أفعال عظيمة، فنهيه علىٰ ألا يرجع المسلمون من بعده كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، هي مفتاح صلاح الدين والدنيا لكافة المسلمين، فهيٰ وصية تخص الأمة الإسلامية كلها بكل أفرادها، وهيٰ وصية باقية ببقاء الزمان، وهي التي تليق بمقام المكان والزمان، فهي خطبة في أشرف مكان في أشرف زمان، لذلك ما كان رسول الله ليعظ فيها إلا بمعالي الأمور.

أما الوصية في رواية الترمذي الخاصة باتخاد الزوجات أسرىٰ، فهي وصية تخص فئة فقط من المتزوجين، ليس لها أثر علىٰ عامة الأمة الإسلامية، ولن يتوقف عليها صلاح الدين والدنيا، ولا تليق بجلال الموقف، فمن يعرف صفات رسول الله وكيفية كلامه، يوقن أنه لا يقول في مثل هذه المناسبة العظيمة إلا وصية عظيمة تكون فيها نجاة الأمة كلها.

٣ . الوصية برواية البخاري تليق بالزحام الهائل الذي كان في هذا اليوم، إن أمامه نحو ١٠٠ ألف مسلم، نتصور الزحام وتداخل الأصوات والحركة الدائمة، فالأمر في حاجة لكلمات قليلة حتىٰ يمكن لمن يسمعها أن يمررها لغيره حتىٰ يسمعها ال ١٠٠ ألف حاج، فمن المستحيل أن يتكلم بكل التفاصيل التي أتت برواية الترمذي في هذا الحشد الهائل. لذلك لم يكن رسول الله ليزيد في كلماته عما قال برواية

البخاري حتىٰ يبلغها من حوله لمن حولهم وهكذا حتىٰ تصل لكافة الحضور.

٤ . لنعلم من هي الوصية الصحيحة، يمكننا أن نرىٰ ماذا حدث للمسلمين جراء عدم اهتمامهم بوصية تحريم الاقتتال بينهم، واهتمامهم المبالغ فيه بوصية الزوجة، لقد اقتتلوا وتحاربوا وخربوا بلادهم واستقروا في قاع الأمم. وأنساهم اتخاذ زوجاتهم أسرىٰ، أن يتخذوا أعداءهم الذين يعتدون علىٰ بلادهم أسرىٰ، استبدلوا أسر الأعداء بأسر الزوجات، فأضاعوا دينهم ودنياهم، واخترع الأعداء برواية الترمذي وصايا طويلة مفصلة ليغطوا علىٰ هذه الوصية المهمة جدًا برواية البخاري، واستعر القتال بين المسلمين، وانشغلوا بما رأوه أهم وصية فيما اخترعه الأعداء، وهي اتخاذ النساء أسرىٰ وضربهن ضربًا غير مبرح، وضاعت بلاد المسلمين، وفسدت العلاقات الزوجية، وحقق الأعداء كل مرادهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبهذه الحقائق عن صفة كلام الرسول، نجد أن وصيته بحقن دماء المسلمين هي الحديث الصحيح، بينما تلك الخطبة الطويلة المفصلة ليست من كلامه.

إذًا فهذا الحديث مخالف لسنة رسول الله وفعله وصفات كلامه

فهو لا يتكلم إلا في معالي الأمور التي تهم الأمة كلها، وأُوتي جوامع الكلم، فكلامه هو المختصر المفيد.

• في هذه الفقرة سنبحث في سند هذا الحديث وتعليق الباحثين على إسناده، نعلم أن الإسناد يعني الرجال الذين بلغوا الحديث من أول راو عن رسول الله لمن بعده وهكذا.. هذه السلسلة يتحرى العلماء كل رجالها ليروا هل هم أهلٌ للثقة في روايتهم، فيعتبروا الحديث صحيح الإسناد، أم أن هناك من هو في درجة أقل من درجة الثقة، فتصبح درجة الإسناد ضعيفة، إلا إذا وجدوا فيما يسمى (المتابعات والشواهد) أي أحاديث أخرى بها نفس المعنى، لكنها صحيحة الإسناد، هنا السند الضعيف للحديث يرتقي ليصبح حسنًا ويمكن الأخذ به.

وحديث الترمذي الأول، كتب الباحثون على إسناده (إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات عدا سليمان بن عمرو الجشمي وهو مقبول) وسليمان بن عمرو الجشمي هو اسم الشهرة له، فهو ابن الأحوص الذي حكى عنه، فالأحوص نفسه مفقود والحديث بدأ من عند رجل غير كامل الثقة لكنه مقبول!

ثم لم يخبرنا الباحث في السند عن درجة صحته، هل هو صحيح أم حسن أم ضعيف أم شديد الضعف، لكنه أخبرنا عن أن سند المتابعات والشواهد حسن وليس هذا سند الحديث محل البحث، وبالطبع هذا لا يكفي على الإطلاق للحكم بصحة الحديث المنسوب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، الذي يجب شدة التحري لدرجة السند ذاته وليس سند المتابعات والشواهد، فكلام رسول الله دين، منسوب لله ولرسوله، وتحري صحته لا بد أن يكون بأعلى درجات الدقة.

ثم إن هذه الجملة (إسناده حسن في المتابعات والشواهد رجاله ثقات عدا سليمان بن عمرو الجشمي وهو مقبول) تعني أنه لا يرقىٰ ليكون حسن الإسناد بحيث يؤخذ بأن ما فيه كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلا من خلال متابعات وشواهد من أحاديث أخرىٰ صحيحة السند، فما هي هذه المتابعات والشواهد التي ترقىٰ بهذا الحديث ليكون حديثًا لرسول الله؟ يقول العلماء الباحثون أنها هذا الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: "اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ"، رواه البخاري.

وضع الباحثون والعلماء حديث (فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ)، شاهدٌ علىٰ صحة حديث (فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ)! لا أجد الكلمات التي تناسب هذه النتيجة.. ما علاقة حديث تدعون فيه أن الله تعالىٰ خلق أمنا حواء من ضلع، بأنها أسيرة لدىٰ زوجها لها الأكل والشرب والكسوة، والضرب ضربًا غير مبرح! هل يقصدون لأنها معوجة العقل واللسان، فهي يجب أن تعامل معاملة الأسرىٰ، ليس لها وجود ولا حقوق سوىٰ الأكل والشرب والكسوة والمأوىٰ والضرب غير المبرح! فإن كانت كذلك، فكيف تأتمنونوها علىٰ حياتكم وبيوتكم وأولادكم!

نحن نرىٰ الآن كيف صُنعت هذه الشبكة الشيطانية عمدًا وتدبيرًا للحط من وضع المرأة في المجتمع المسلم وتخريب الحياة الزوجية وتخريب العلاقات كلها بين الرجال والنساء، الأحاديث المكذوبة

علىٰ رسول الله يخدم بعضها بعضًا ويؤيد بعضها بعضًا، فتكتسب مصداقية زائفة كاذبة، ومثل هذا تمامًا هو ما حدث في شرح حديث (لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَىٰ زَوْجَهَا الدَّهْرَ) حيث استخدم حديث (لو أحسنتَ إلىٰ إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت ما رأيت منك خيرًا قط) للتأكيد علىٰ معنىٰ الخيانة عند المرأة! ليتأكد لنا أنها أحاديث وضعت لتكون عونًا لبعضها البعض في تشويه الدين وتشويه العلاقات في المجتمع المسلم.

ثم النقطة الأخيرة والمهمة جدًا في البحث في السند، إن من شروط صحة الحديث، ألا يكون قد قيل في مناسبة حضرها المئات، لكن لم يروها إلا واحد! فمثل هذه الرواية يكون حولها شك كبير، فما بالنا لو قال رسول الله حديثه في مناسبة حضرها نحو ١٠٠ ألف، وسمعها منه مباشرة من كان حوله من كبار الصحابة، وهم بالعشرات، ثم لم يذكرها إلا واحد فقط!

إن الحديث الأول الذي وردت به جملة (فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ) لم تأت إلا من رواية عمرو بن الأحوص منفردًا، فهي رواية آحاد، يعني أتىٰ بها فرد واحد في مشهد حضره نحو ١٠٠ ألف مسلم منهم كبار الصحابة، فهل اختص رسول الله عمرو بن الأحوص بوصية لم يسمعها إلا هو، ولم يبلغها إلا هو! بالطبع هذا لم يحدث.

بينما الحديث الثاني الذي اختص بالوصية العظيمة العامة المهمة جدًا الخاصة بتحريم الاقتتال بين المسلمين، رواها عدد من كبار السادة الصحابة، منهم عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، نفيع بن مسروح

الثقفي، عبد الله بن مسعود، جابر بن عبد الله، وهذا هو المنطقي والمناسب لوجودهم حول الرسول في هذه المناسبة العظيمة، وقد جاءت هذه الصيغة ببقية كتب الأحاديث ابتداءً من البخاري حتىٰ سنن ابن ماجه، ومسند أحمد بن حنبل، وصحيح ابن خزيمة، والمستدرك علىٰ الصحيحين، وغيرهم ممن رووا هذا الحديث بإسناد صحيح عن كبار الصحابة.

إذًا الحديث الطويل الذي به وصية اتخاذ الزوجات أسرىٰ، هو رواية آحاد، لم يروه إلا عمرو بن الأحوص، وهذا غير معقول أبدًا في مكان كان يمتلئ بالصحابة المقربين من رسول الله، المنفذين لأمره، فإذا قال بَلِّغوا فيجب أن يبلغوا، وهم بلغوا بما قاله صدقًا وحقًا في وصية حرمة دماء المسلمين، بينما لم يذكر تلك الوصية الطويلة إلا عمرو بن الأحوص، ولا تفسير لهذا الأمر إلا أن رسول الله اختصه بها، وهذا طبعًا لم يحدث، وبالتالي فهو حديث ووصية لم يقلها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

- الآن سنرىٰ كيف استخدم الفقهاء هذه الكلمة (فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ) في وضع فقه المرأة المتزوجة..

تقول أ.د. زينب عبد السلام أبو الفضل أستاذ الفقه بكلية الآداب جامعة طنطا في كتابها القيم "في تجديد الفكر الفقهي" في بحثها "إنسانية المرأة بين نصوص الشريعة وتراث الفقه"، دراسة حول (..أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ..)

تقول: (الدارس لباب النكاح في التراث الفقهي يرىٰ عبارات من أمثال: ملك ـ إجازة ـ منفعة ـ خدمة.. تتردد كثيرًا علىٰ ألسنة الفقهاء وهم يعالجون قضايا هذه العلاقة المقدسة؛ الأمر الذي يرشح أن فكرة مملوكية الزوجة لزوجها بعقد النكاح، كانت قد شكلت رؤية أو قناعة انطلق منها هؤلاء الفقهاء في معالجة سائر القضايا التي تخص العلاقة بين الزوجين، ومن ثم نرىٰ الكثيرين منهم يسوقون هذه العبارات الآنفة الذكر علىٰ سبيل الجزم والقطع؛ مستدلين بالحديث "فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ" ـ تأكيدًا لقناعتهم ـ تارة بلفظه، وتارة بالإشارة إليه؛ لمزيد من التأكيد علىٰ صحة ما ذهبوا إليه.

فابن الجوزي في كتابة أحكام النساء يعقد فصلًا تحت الباب الرابع والستين في (وجوب طاعة الزوج وحقه علىٰ الزوجة) يقول فيه: "وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج؛ فلا تتصرف في نفسها ولا ماله إلا بإذنه، وينبغي لها أن تصبر علىٰ أذىٰ الزوج كما يصبر المملوك".

ويسوق ابن قدامة الحديث في كتاب النفقات ثم يقول: (فإذا لم تُمكن الزوجة زوجها من نفسها، أو لم يوجد التمكين التام فلا نفقة، فأشبه البائع إذا امتنع عن تسليم المبيع، أو تسليمه في موضع دون موضع..)

أما ابن تيمية فيقول وهو يتحدث عن وجوب خدمة الزوجة لزوجها: (.. فإن الزوج سيدها في كتاب الله، وهي عانية عنده بسنة رسول الله، وعلىٰ العاني والعبد الخدمة..)، ثم يهبط بالزوجة إلىٰ ما دون مستوىٰ الإنسانية وهو يتحدث عن النفقة الواجبة علىٰ الزوج، وإنها مقصورة

فقط علىٰ الطعام والكسوة، فيقول: (... وإذا كان كذلك، كان له ـ أي الزوج ـ ولاية الإنفاق عليها، كما له ولاية الإنفاق علىٰ رقيقه وبهائمه) مستدلًا علىٰ قوله بالحديث.

أما ابن القيم تلميذ ابن تيمية؛ فينص علىٰ ما يقتضيه كلام شيخه في توصيفه لعلاقة الزوج بزوجه، فيقول في عبارة قاطعة: (إن السيد قاهر لمملوكه حاكم عليه، مالك له، والزوج قاهر لزوجته، حاكم عليها، وهي تحت سلطانه وحكمه شبه الأسير...).

من هذه الرؤية التي اعتمدت التفسير الخاطئ للحديث "فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ" كانت معالجة كثير من الفقهاء لقضايا النكاح ومسائله، وفي المباحث التالية تفصيل ذلك، وسوف أقدم مثالًا واحدًا فقط للاختصار.

تقول الدكتورة زينب في أنه في مجال إلزام الزوجة بخدمة الزوج، فإن جمهور الفقهاء من الشافعية والحنابلة علىٰ أن الزوجة لا يجب عليها خدمة زوجها من غسل وكنس وطبخ وخلافه، لأن عقد الزواج ليس عقد استخدام وعمل، ولكنه عقد للعشرة الزوجية؛ فلا تلزم الزوجة بغير الاستمتاع بها باعتباره طريق النسل الذي هو مقصود الزوجية، وقالوا: والأولىٰ بها أن تفعل ما جرت عليه العادة من الخدمة؛ لما في ذلك من حسن المعاشرة والتعاون بين الزوجين. لكن في المقابل نرىٰ بعض الآراء الفقهية الأخرىٰ وقد بدا فيها بوضوح أثر سيطرة فكرة مملوكية الزوجة لزوجها في معالجة هذه المسألة؛ ومن ثم جاءت هذه الآراء تحمل قدرًا كبيرًا من المغالاة في إلزام الزوجة بالخدمة في بيت

الزوجية، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالىٰ: (.. وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾)، النساء. فيقول: ".. وأُختلف في وجوب ضربها في الخدمة، والقياس يوجب أنه إذا جاز ضربها في المباضعة، جاز ضربها في الخدمة الواجبة للزوج عليها بالمعروف"، وتعلق د. زينب: وهكذا حين تنزل الزوجة منزلة الأمة أو المملوكة، تُضرب إن امتنعت عن الخدمة ـ باعتبارها ناشزًا ـ كما تضرب إن امتنعت عن المعاشرة، هكذا قولًا واحدًا إن كان امتناعها لعذر أو لغير عذر كالأمة تمامًا، وهل يشتري السيد أمته إلا لهذين: الخدمة والمعاشرة)).

نكتفي بهذا القدر من بحث الدكتورة زينب، لنتأمل أثر هذا الحديث المكذوب علىٰ واقع المسلمين المؤسف، والذي أشاع ثقافة ظالمة للمرأة، فاستضعفها المجرمون وأكلوا حقوقها وأحلوا إهانتها وإذلالها والتحرش بها وضربها، وهي التي تنشئ الأجيال وتربيهم، فنشأ مجتمع فاشل علىٰ كل الأصعدة كما نراه الآن.

الحديث السادس

عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَىٰ، قَالَ: **"لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً"**، رواه البخاري.

يبدأ الحديث بعرض الظروف التي قيل فيها، فأبي بَكَرة يذكره في وقت الفتنة الكبرىٰ عام ٣٥ ه، وما وصلنا من أحداث هذه الفتنة، أنه تقاتلت فئتان من المؤمنين، ولم يكن القتال لأمر ديني، لكنه كان لأمر سياسي، لكنه لبس عباءة القصاص والأخذ بثأر سيدنا عثمان رضي الله عنه، حيث رأىٰ سيدنا علي بعد توليته منصب الخليفة أن التنفيذ السريع للقصاص من قتلة سيدنا عثمان، سيؤدي لانقلاب هؤلاء القتلة علىٰ أهل المدينة قتلًا وتمثيلًا؛ وذلك نتيجة سيطرتهم علىٰ الأمور بها، فآثر التريث حتىٰ تصبح الأمور بيديه، فلا يُحدث القصاص فتنة أكبر مما هو حادث.

بينما كان هناك فريقان يرون وجوب الأخذ بالقصاص حالًا بلا أي تأخير، الفريق الأول يضم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والسيدة عائشة. والفريق الثاني يضم معاوية بن أبي سفيان والي الشام، الذي يرىٰ أنه ولي الدم وعليه أن يأخذ بالقصاص لسيدنا عثمان لأنه مثله من بني أمية.

وتطورت الأمور حتىٰ تواجه الفريقان في قتال، وقيل إن السيدة عائشة كانت قد خرجت علىٰ جملها في محاولة للإصلاح بين الطرفين ـ

لذلك سميت بموقعة الجمل ـ لكن إصرار المفسدين علىٰ إفساد أي محاولة للصلح، حالت دون الإصلاح، وكانت الفتنة التي حدثت.

إذًا الحديث قيل في سياق فتنة كبرىٰ، ويؤرخ المؤرخون لبداية الأحاديث الموضوعة بحدوث هذه الفتنة، حيث قام أنصار كل فريق بوضوع الأحاديث التي تؤيد موقفه، والتي تجلب له المزيد من الأنصار.

ويُفهم من هذا الحديث أن أبا بكرة كان يود الانضمام للفريق الذي كانت به السيدة عائشة، لكنه تدارك خطأه هذا لما تذكر قول رسول الله **(لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً)**، وهذا يعني أن الفريق الذي ولىٰ أَمره لامرأة (السيدة عائشة) لن يفلح، وبالتأكيد هذه دعوة صريحة للابتعاد عن الفريق الذي به السيدة عائشة، ومناصرة الفريق الآخر.

وسنبدأ في نقد هذا الحديث سندًا ومتنًا بعد أن أعرض عليكم ثلاث مقالات تناولت هذا الحديث.

المقالة الأولىٰ للدكتور محمد عابد الجابري (باختصار)، أستاذ الفلسفة والفكر الإسلامي بكلية الآداب جامعة الرباط. كتب بجريدة الاتحاد في ١٩ فبراير ٢٠٠٧ ..

بعد الحوار الإذاعي الذي ذكرته في المقال السابق، والذي كان موضوعه تعيين قاضية في قُطر عربي، وقد أفتىٰ خلاله أحد المشاركين فيه بعدم جواز ذلك، مستندًا إلىٰ حجج لا أصل لها ولا فصل، لا في الدين ولا في العقل، بعد هذا الحوار ببضعة أيام أعلن مفتي جمهورية

مصر العربية عن جواز رئاسة المرأة للدولة ما دامت الدولة المعنية ليست دولة "الإمامة العظمىٰ" التي تشمل جميع المسلمين. والظاهر أن المفتي بنىٰ فتواه علىٰ الواقع التالي، وهو أن الفقهاء اختلفوا في هذه المسألة، ولكن معظمهم يقولون بحصر عدم جواز إمامة المرأة في "الإمامة العظمىٰ" (نقول "معظمهم" لأن هناك منهم من يجيز ذلك). والمفهوم من هذا أن إمامتها تجوز فيما دون الإمامة العظمىٰ، أي في رئاسة الدول القُطرية الإسلامية، ما دامت الدولة الإسلامية الجامعة لم تقم بعد. هذا النوع من التبرير جارٍ علىٰ طريقة الفقهاء، بمعنىٰ أنه مستمد من داخل الفقه كما هو موروث. أما إذا أردنا تجاوز هذا الموروث والقيام ببحث جديد فسيكون علينا أن نتكلم عن أبي بكرة ونستأنف فحص الحديث موضوع النقاش.

١- أما الرجل فهو في الأصل من عبيد الطائف: "قيل هو ابن مسروح، مولىٰ الحارث بن كلدة، وأُمه: سُمية، جارية الحارث بن كلدَة أيضًا، وهو أخو زياد بن أبيه لأُمه". وعندما أراد النبي عليه الصلاة والسلام فتح الطائف تحصن أهلها بحصونهم فامتنع علىٰ المسلمين اقتحامها، فحاصرها النبي عليه الصلاة والسلام، ونادىٰ: "أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حُر"، فخرج منهم نحو ثلاثة وعشرين رجلًا، تدلىٰ منهم شخص بحبل معلق في بكرة (حلقة، كما في البئر)، فقيل له أبو بكرة، وقد أعتقه النبي مع زملائه العبيد الذين التحقوا بالمسلمين. وكان ذلك في شعبان من السنة الثامنة للهجرة. ومما يذكر في سيرته أن عمر بن الخطاب جلَده في الشهادة علىٰ المغيرة بن أبي شعبة بالزنىٰ.

كانوا أربعة شهود، منهم أخوه زياد. فلما اختبر عمر هؤلاء الشهود نفىٰ زياد أن يكون قد رأىٰ "المرود في المكحلة" فخلىٰ سبيله، واستتاب عمر الثلاثة الباقين فتاب اثنان ورفض أبو بكرة "فجلده عمر حد قذف"، "وكان لا يقبل شهادته".

٢- أما الحديث المنسوب إليه سماعه عن النبي عليه الصلاة والسلام فقد ورد في عدة صيغ: في البخاري (٤٣١٧- ٦٩٤٥): "عن أبي بكرةَ قال: «لقد نفَعني اللهُ بكلمةٍ سمعتها من رسولِ اللهِ أيامَ الجمل بعدما كِدتُ أن ألحقَ بأصحابِ الجمل فأُقاتلَ معهم. قال: لما بلغَ رسولَ اللهِ أن أهل فارسَ قد ملَّكوا عليهم بنتَ كِسرَىٰ قال: لن يُفِلحَ قومٌ ولوا أمرَهُم امرأة». والمقصود بـ "أيام الجمل": الحرب بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وعلي بن أبي طالب من جهة أخرىٰ، وكانت عائشة علىٰ هودج علىٰ جمل فسميت تلك الحرب بـ "حرب الجمل" وقد جرت سنة ٣٦ هجرية. يقول أبو بكرة المتوفي سنة ٥٢ هـ إنه كان علىٰ وشك الالتحاق بالطرف المناوئ لعلي بن أبي طالب (أي الطرف الذي كانت به السيدة عائشة) والقتال معهم، غير أنه تذكر -كما قال- ما سمعه عن النبي قبل ٢٨ سنة! وهو لم يحدِّث بهذا الذي سمعه إلا زمن الحسن البصري الذي توفي ١١٠هـ، أي في وقت تجنَّد فيه كثير من رجال الإسلام -الذين قبلوا الوضع الذي فرضه معاوية بعد تنازل الحسن بن علي له- إلىٰ تحذير الناس من الانخراط في الفتن- واضح إذن أن هذا الحديث ذو مضمون سياسي وبالتالي فنحن نضعه لهذا السبب وحده بين قوسين.

علىٰ أن مما يستوجب مضاعفة القوسين عليه وروده بألفاظ أخرىٰ تستهدف المرأة استهدافًا أكثر مما تستهدف الفتنة. من ذلك ما ورد في مسند ابن حنبل (٢٠٠٦٨) من أن أبا بكرة قال: "إنه شهد النبي عليه الصلاة والسلام أتاه بشير يبشره بِظَفَرِ جندٍ له علىٰ عدوّهم، ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها، فقام فخَرَّ ساجدًا، ثم أنشأ يسائل البشير، فأخبره فيما أخبره أنه وُلي أمرهم (من هم؟) امرأة، فقال النبي: الآن هلكت الرجال إذا أطاعت النساء، هلكت الرجال إذا أطاعت النساء – ثلاثًا–». انتهىٰ كلام الدكتور محمد عابد.

ولي تعليقان علىٰ الحديث بهذه الصيغة:

1) من هذه الشخصية التي يسمح لها أن تدخل علىٰ النبي ورأسه في حجر السيدة عائشة! بالتأكيد هذا وضع خاص بالزوجين ولا يمكن أن يسمح رسول الله أن يقتحم عليه أحد وهو مع زوجته بهذه الصورة، المرات التي ذُكر فيها هذا الوضع كان من سرد السيدة عائشة فقط.

٢) إن كان الأمر تم بهذه الصورة فالسيدة عائشة سمعت الحديث، فإن كانت سمعته فبالتأكيد كانت ستبلغه، وعدم إبلاغ حدث أمامها بهذا الشكل، يضعه في موضوع الشك.

ثم نعود لمقال الدكتور محمد عابد الجابري يقول: وتمتد رواية أبي بكرة عبر الزمان والمكان لتكون مناسبةُ سماعه الحديثَ المذكور شيئًا آخر تمامًا. فقد روي عنه أنه قال: "ذكرتُ بلقيس عندَ رسولِ الله فقال: «لاَ يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً».

٣ ـ هناك جانب آخر يضعف من حديث أبي بكرة عن ولاية المرأة، ويتعلق بمسألة توافق أو عدم توافق تاريخ تنصيب امرأة علىٰ عرش فارس مع تاريخ سماع أبي بكرة الحديث موضوع النقاش عن النبي عليه الصلاة والسلام. تجمع مصادرنا علىٰ أن المرأة المشار إليها هي بوران دخت dokht BourAn بنت كسرىٰ أبرويز. وهناك اضطراب كبير في مصادرنا حول تاريخ تنصيبها، فالطبري والبلاذري وابن كثير يتحدثون عنها ضمن أخبار فتح فارس علىٰ عهد عمر بن الخطاب في السنتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، وبما أنها لم تحكم سوىٰ سنة وأربعة أشهر فإن تنصيبها ملكة سيكون قد تم بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام (سنة ١١)، الشيء الذي يطعن في الصحة التاريخية للحديث موضوع النقاش. علىٰ أن هناك رواية أخرىٰ تفيد أنها أدركت النبي حيًا وأنها أهدت إليه هدية وقبِلها. هذا بينما ذهب مؤرخون آخرون (الواقدي) إلىٰ أن تاريخ ولايتها كان في شعبان من السنة الثامنة للهجرة. وحسب هذه المصادر فإن أبا بكرة قد التحق بصفوف المسلمين عند حصار الطائف (في شهر شوال من نفس السنة). وهنا تضيق المسافة بين تنصيب بوران وإسلام أبي بكرة لتصبح بضعة أيام. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا سؤال مضاعف: هل وصل خبر تنصيبها إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام خلال هذه المدة القصيرة؟ وهل كان أبو بكرة، المسلم الجديد، خلال تلك الأيام في وضع يمكنه من رواية الحديث عن النبي؟ أمام هذه الشكوك لا يسعنا إلا أن نقرر أن التاريخ لا يحسم في شأن صحة حديث أبي بكرة حول ولاية المرأة.

٤ ـ والأهم من هذا كله هو أن موقف القرآن من المرأة لا يزكي من قريب ولا من بعيد حديث أبي بكرة هذا. أضف إلىٰ ذلك أحاديث متعددة ترفع من شأن المرأة ويشهد لها القرآن بالصحة. يبقىٰ بعد ذلك كله معنىٰ قول بعضهم: أجمع الفقهاء في كل عصر علىٰ عدم جواز ولاية المرأة القضاء والإمامة؟ يتعلق الأمر هنا بمعنىٰ قولهم: "أجمع الفقهاء"، وبالتالي بمعنىٰ "الإجماع" عند الأصوليين.

المقالة الثانية للشيخ محمد الأشقر (المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

نظرة في الأدلة الشرعية حول مشاركة المرأة في الوظائف الرئاسية والمجالس النيابية ونحوها

إنَّ أهم مستند يستند إليه من يدعون أن الشرع الإسلامي يمنع من مشاركة المرأة في الميادين المتقدمة هو الحديث المشهور الذي أخرجه البخاري ح (٤٤٢٥) و(٧٠٩٩)، وأخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٠٤٣٨) و(٢٠٤٠٢) و(٢٠٤٥٥)، كلاهما عن أبي بكرة أنَّ النَّبِيَّ قال: (لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلىٰ امرأة)، هذا لفظ البخاري، وعند أحمد: (لا يفلح قوم تملكهم امرأة)، هذا الحديث هو المستند الرئيسي لكلِّ من يتكلم في هذا الأمر، ولم يرد هذا الحديث من رواية أي صحابي آخر غير أبي بكرة.

وتصحيح البخاري وغيره لهذا الحديث وغيره من مرويات أبي بكرة هو أمر غريب لا ينبغي أن يقبل بحال؛ والحجّة في ذلك ما عرف في

كتب التاريخ الإسلامي كما عند الطبري وابن كثير وغيرهما، أنَّ أبا بكرة قذف المغيرة بن شعبة بالزنىٰ، ووصل الخبر إلىٰ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأمر بحضور الرجلين من الكوفة إليه في المدينة، فسألهما عن ذلك وطلب عمر من أبي بكرة أن يأتي بشهوده علىٰ ما ادعاه، فلم تتم الشهادة التي هي كما قال الله تعالىٰ أربعة شهود، قال الله تبارك وتعالىٰ: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾)، النور. فحكم علىٰ من يقذف امرأة محصنة والرجل المحصن مثلها بثلاثة أحكام، الأول: أن يجلد ثمانين جلدة، والثاني: أن تسقط شهادته فلا تقبل شهادته بعد ذلك علىٰ شيء، والثالث: أنَّه محكوم عليه بالفسق. ولذلك جلد عمر أبا بكرة ثمانين جلدة حد القذف بالزنا، ثم قال له: تب أقبل شهادتك، فأبىٰ أن يتوب وأسقط عمر بعد ذلك شهادته.

وقد قال الله تعالىٰ في آية لاحقة: (لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾)، النور. أي أنَّهم في حكم الله تعالىٰ كاذبون لا يثبت بقولهم حق، هكذا حكم الله تعالىٰ علىٰ من قذف محصنًا وهذا منطبق علىٰ أبي بكرة، فإن الآية تدمغه بالفسق والكذب، وهذا يقتضي رد ما رواه عن النبي مما انفرد به كهذا الحديث العجيب: (لن يفلح قوم تملكهم امرأة)، فينبغي أن يُضم هذا الحديث إلىٰ الأحاديث الموضوعة المكذوبة علىٰ النبي.

علىٰ أنا نقول جدلًا: لو صح هذا الحديث افتراضًا جدليًا لكان حجة فقط في منع أن تتولىٰ المرأة الملك أو رئاسة الدولة، ولا يصلح حجة لمنع أن تتولىٰ المرأة القضاء أو إمارة قرية أو مدينة، ومن احتج بهذا الحديث علىٰ ذلك فهو مخطئ خطأ كبيرًا بل إنني أعتبره يسيئ الفهم جدا، علىٰ أنَّ مما يدلُّ علىٰ بطلان هذا الحديث أنَّه يقتضي أنَّه لا يمكن أن يفلح قومٌ تتولىٰ رئاسة دولتهم امرأة في حال من الأحوال، ومعنىٰ هذا أنَّه لو وُجدت امرأة علىٰ رأس إحدىٰ الدول ونجحت تلك الدولة في أمورها الدنيوية، فيكون ذلك دالًا علىٰ أنَّ هذا الحديث كذبٌ مكذوب علىٰ النبي، وقد وُجد في العصور الحديثة دولٌ كثيرة تولَّت رئاستها نساءٌ، ونجحت تلك الدول نجاحات باهرة تحت رئاسة النساء، نذكر من ذلك رئاسة أنديرا غاندي للهند ورئاسة مارغريت تاتشر لبريطانيا، وميركل في ألمانيا، وغيرهما كثير في القديم والحديث، وإنما قلنا في الأمور الدنيوية لأنَّ الحديث ورد علىٰ ذلك.

ففي رواية البخاري قال أبو بكرة: (لما بلغ رسول الله أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرىٰ)، قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة).

بل أقول إن القرآن العظيم قد نقل قصة قوم ملكتهم امرأة، وروىٰ القرآن العظيم أنها نجحت أيما نجاح، وهي ملكة اليمن التي وردت قصتها في القرآن العظيم وأنَّ سليمان جاءه طيره الهدهد فقال: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾)، النمل، وأنَّ سليمان أرسل إليها كتابا يدعوها إلىٰ الإسلام

وأن تأتي إليه مقرة بذلك. فأحسنت التدبير كل الإحسان فاستشارت رجال دولتها وبذلك ضمنت ولاءهم وطاعتهم لقراراتها، وأرسلت إلىٰ سليمان هدية تستجلب بها وده، فرفض الهدية وأصر علىٰ أن يصله منها ومن قومها الطاعة والإذعان، فكان عاقبة ذلك أن سارت بنفسها ومن معها إلىٰ سليمان في مدينة القدس، فذكرت الآيات القصة إلىٰ أن قالت: (قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾)، النمل، فآل أمرها إلىٰ هذه العاقبة الجميلة (اقرأ القصة في سورة النمل ٢٣ ـ ٤٤).

فأي ثناء أثناه الله تعالىٰ علىٰ هذه الملكة وعلىٰ النجاح الذي وصلت إليه بحنكتها ودهائها وحسن تقديرها للأمور، حيث استطاعت تجنيب قومها وبلادها من إفساد الجيوش الغازية وإذلالهم لقومها، ولهذا نقل ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: رحمها الله ورضي عنها ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها، يعني حيث أخرجت قومها من عبادة الشمس إلىٰ عبادة الله تعالىٰ.

ثم سأضيف هذه المقالة الثالثة المهمة للأستاذ محمد رضا بعنوان (بل أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) بموقع ساسة ٠٢ مايو ٢٠٢٠؛ لأن به أسباب أخرىٰ لتهاوي متن وسند هذا الحديث.

(في يوم السبت، السابع والعشرين من شهر مايو عام ١٩٥٠ جلس القاضي حافظ سابق، رئيس محكمة القاهرة الابتدائية في مصر، علىٰ المنصة، لينطق بالحكم النهائي في قضية محاكمة كتاب «**من هنا نبدأ**»

لكاتبه الأستاذ خالد محمد خالد. كان الفصل الأول من هذا الكتاب بعنوان «الدين.. لا الكهانة» وأراد فيه الأستاذ خالد أن يتحدث عن الكهانة التي يمارسها المشايخ باسم الدين، فلا يريدون رأيًا سوى رأيهم، ولا فكرًا سوى فكرهم، ولا حرية إلا لمعتقداتهم. ربما المثير للسخرية أن الكهنوت الذي تحدث عنه الأستاذ خالد في أول فصل في كتابه، ردت عليه لجنة الفتوى في الأزهر وأقاموا محاكمةً لهذا الكتاب، ثم قالوا إن الكتابَ يتعدى علنًا على الدين الإسلامي.

نعم، إن هذا هو الكهنوت الذي تحدث عنه خالد محمد خالد في أبهى صوره، فكأنما أرادت لجنة الفتوى في الأزهر أن تثبت صحة كلام الأستاذ خالد عن الكهنوت، فصادرت الدولة الكتاب واتهمته اللجنة بالاعتداء على الدين؛ فلا رأي إلا رأيهم ولا كتب إلا كتبهم، ولا معتقد إلا معتقدهم. ووصل الأمر إلى ساحة القضاء، وفي هذا اليوم، أصدرت المحكمة حكمَها ببراءة هذا الكتاب مما نُسب إليه من اتهامات كهنة الدين الإسلامي.

أثار الكتابُ حماسة الكثيرين للرد عليه، وتباينت ردود الناس على هذا الكتاب، فلجنة الفتوى في الأزهر قالت ما قالت، وجامعة الأزهر أرادت سحب شهادة الأستاذ خالد محمد خالد، وهذه ليس بعادة جديدة على الأزهر مع المخالفين، فقد سحبوا شهادة علي عبد الرازق من قبل لأجل رأي قاله وكتاب كتبه، وأرادت سحب شهادة خالد محمد خالد في تلك المرة كذلك، ونقلوا الشيخَ عبد المتعال الصعيدي من التدريس إلى العمل الإداري حين قال بآراء تجديدية، هذا ليس

غريبًا علىٰ الأزهر، وهذا هو الكهنوت الذي تحدث عنه الأستاذ/ خالد محمد خالد في كتابه.

ومنهم مَن ناقش الحجة بالحجة، وردّ علىٰ الكتاب بكتاب، كالشيخ محمد الغزالي، فقد كتب كتابًا بعنوان (من هنا نعلم) يرد فيه علىٰ خالد محمد خالد الذي هو صديقه في الأصل، وقال الشيخ الغزالي في مقدمة الكتاب: وأحب أن أذكر أني صديق للأستاذ خالد منذ سنين، ولكن ابن القيم لما رأىٰ عوجًا في كلام شيخ الإسلام إسماعيل الهروي -وكان صديقًا له- قال: شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه.

فتأمل كيف كان تصرف الشيخ الغزالي مع من خالفه الرأي، وبين الكهنوت الذي مارسه غيرُه من رفع قضايا، واتهامات بمعاداة الدين، ومصادرة للكتاب، وكانوا قاب قوسين أو أدنىٰ من سحب درجته العلمية.

ما يهمني الآن في رد الشيخ الغزالي علىٰ صديقِه الأستاذ خالد، هو آخر فصل كتبه الأستاذ خالد في كتابه بعنوان (الرئة المعطلة) وكان يقصد دور المرأة المصرية المعطل في الحياة، فكأنما هي رئة من الرئتين، ولكنها متوقفة عن العمل. انتقد الأستاذ خالد القانون المصري في انحيازه ضد المرأة ويقول: [إن القانون] أباح للمرأة أن تكون محاميًا، وحرّم عليها أن تكون قاضيًا، رغم إفتاء شيخ إسلام سابق هو الأستاذ الأكبر الإمام المراغي بجواز ذلك شرعًا.

أثارت هذه العبارة الشيخ محمد الغزالي، فقد كان يرفض أن تعمل المرأة قاضيًا، وقال ردًا علىٰ هذا الكلام: إن الإسلام في القضايا المدنية اعتبر شهادة المرأة نصف شهادة رجل، ورفض قبول شهادتها منفردة، ورفض قبول شهادتها في قضايا الحدود وأشباهها مطلقًا، فكيف يُقبل قضاؤها فيما ترفض فيه شهادتها؟ ولذلك قال النبي لما بلغه أن الفرس ملكوا عليهم امرأة: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

كان هذا رأي الشيخ محمد الغزالي في كتابه (من هنا نعلم) الذي طبع عام ١٩٥٠. وأضاف الشيخ الغزالي مقالًا للسيدة عزيزة عباس عصفور، تشتكي فيه من مهنة المحاماة، وترىٰ -بعد أن عملت بها- أنها مهنة غير مناسبة للمرأة، وأن رسالة المرأة في الحياة لا أن تعمل في الدنيا وفي المحاماة، وإنما رسالتها أن تكون زوجة صالحة. استحسن الشيخ الغزالي هذا الرأي، وأضافه في كتابه.

ولكن الشيخ الغزالي تجده بعد ٣٦ سنة يغير رأيه هذا ويقول في كتابه (سر تأخر العرب والمسلمين): وقبلتُ شهادة المرأة في جميع القضايا المدنية والجنائية في حدود النصاب الشرعي، ولم أفهم وجهًا لمنعها من الشهادة في الحدود والقصاص. وأيدت في ذلك الفقه الظاهري، وللمرأة ذات الكفاية العلمية الإدارية والسياسية أن تلي أي منصب ما عدا منصب الخلافة العظمىٰ.

سبحان من يُغيِّر ولا يتغير! الشيخ الغزالي الذي رفض شهادة المرأة في الحدود، ورفض أن تكون قاضيًا، بل لقد كره أن تعمل محاميًا، واستحسن دورها في البيت زوجةً، الآن يقبل شهادتها، ولا يمنع أن

تكون قاضيًا، بل لا يمنع أن تتولىٰ أي منصب كان عدا الخلافة العظمىٰ.

ولكني أريد أن أقف وقفة ثالثة مع الشيخ الغزالي في كتابه (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)؛ لأن السبب الذي جعله لا يجيز خلافتها كان حديث (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ولكنه في هذا الكتاب يرىٰ أن هذا الحديث كان وصفًا ولم يكن تشريعًا، فحين تولت بوران عرش فارس وأخبر الصحابةُ النبيَ بذلك، قال (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) أي هؤلاء القوم الذين وصفتموهم لن يفلحوا. أو بصيغة أخرىٰ، حين أسألك عن الحملات الصليبية مثلًا حيث كان جنودها يرتدون ملابس بيضاء، فأقول لك: لن يفلح قوم لبسوا الملابس البيضاء. فليس معنىٰ كلامي إني أحرم علىٰ الناس اللبس الأبيض، ولكنني أصف قومًا كانت هذه حالتهم.

ونجد الشيخ الغزالي يغير رأيه للمرة الثالثة ويقبل هنا أن تكون المرأة رئيسة للدولة أو للحكومة، ويقول: ولسنا من عشاق جعل النساء رئيسات للدول أو رئيسات للحكومات، إننا نعشق شيئًا واحدًا، أن يرأس الدولة أو الحكومة أكفأ إنسان في الأمة.

إن الشيخ محمد الغزالي الذي رفض أن تكون المرأة شاهدة في قضية جنائية حين رد علىٰ خالد محمد خالد، تجده يغير رأيه بعد ذلك ويقبل شهادتها، ثم يقبل عملها محاميًا ثم يقبل عملها قاضيًا، ثم يقبل بعد ذلك أن ترأس الدولة أو الحكومة، فما أجمل هذا الرجل الذي تطور فكره، وتغير عقله، ونضجت أفكاره!

توفي الشيخ محمد الغزالي بعد شهر من وفاة صديقه الأستاذ خالد، ولعلهما الآن يتناقشان عند الحكم العدل، ويضحك الأستاذ خالد من صنع أخيه الشيخ محمد، الذي عارضه في بداية الأمر، ثم اقتنع بفكره بعد ذلك.

يحكي إمام الحرمين الجويني أن فقهاء المسلمين أجمعوا علىٰ أن المرأة لا تجوز أن تكون إمامًا (أي حاكمًا). استند الفقهاء علىٰ هذا المنع بالحديث الشهير (عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي اللهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ أَيَّامَ الْجَمَلِ بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ. قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَىٰ قَالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً)، رواه البخاري في صحيحه. فتعالوا بنا نقف وقفة عند هذا الحديث لنتأمله ونحلله.

بدايةً، مخالفة الحديث للقرآن؛ فالقرآن ذكر بلقيس وفلاحها في حكمها، ذكر فلاحها في الدنيا وفلاحها في الآخرة، فقد جنبت قومها ويلات الحرب والدمار، وكانت أنضج منهم عقلًا وأنفذ منهم بصيرة وفهمًا، فقد اختار قومها الحرب وقالوا (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) تلميحًا بأنهم مستعدون للحرب ويريدونها، ولكنها كانت أوعىٰ منهم بمآلات هذه الحرب وقالت (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) وصدق الله علىٰ كلامها ورأيها وقال (وكذلك يفعلون).

أما فلاحها في الآخرة، فقد أسلمت هي وقومها مع سيدنا سليمان وقالت (رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فأي فلاح أفضل من أن تسلم مع نبي الله؟

ثانيًا: مخالفته للتاريخ، فالحديث يتحدث عن حادثة تولّي (بوران) بنت كسرىٰ الحكم في بلاد فارس. وبوران كانت حسنة السيرة، وكانت عادلة في حكمها، وجنبت مملكة فارس الانهيار، وعقدت صلحًا وأنشأت سفارات وتبادلت الرسل مع الروم، وبدأت في صك العملة باسمها، وتم تقديرها بشكل كبير، وطبعت صورتها علىٰ النقود، بالإضافة إلىٰ أنها خفضت الضرائب، وأعانت الفقراء وساعدت علىٰ استقرار مملكتها.

ثالثًا: مخالفته لفعل الصحابة. فأبو بكرة راوي هذا الحديث يذكره في مناسبة قيادة السيدة عائشة لجيش الجمل، والعجيب أنه لا يوجد صحابي واحد التفت لكلام أبي بكرة، فقد أسقط أبو بكرة هذا الحديث علىٰ السيدة عائشة؛ ظنًا منه أن هذا الحكم ينطبق عليها، وإني لأسأل: أين كانت السيدة عائشة حين تولت قيادة الجيش من هذا الحديث؟ كيف تتولىٰ السيدة عائشة القيادة وهي تعلم هذا الحديث؟ وكيف يوافقها الصحابة جميعهم وهم يعلمون هذا الحديث؟ وكأن الدنيا كلها لم تذكر هذا الحديث ولا تعرفه إلا أبو بكرة وحده، فالصحابة كلهم أخطأوا وعلىٰ رأسهم السيدة عائشة وسيدنا علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، جميعهم مخطئون إلا أبا بكرة وحده، فلم يسمع هذا الحديث أحدٌ سواه؟!

رابعًا: لم يروه أحد من الصحابة قبل سنة ٣٦ هجرية حيث كانت موقعة الجمل، أي بعد ٢٥ سنة من موت النبي. وإنه لعجيب ألا يتم ذكر

حديث لمدة ٢٥ سنة كاملة، ثم يذكره صحابي واحد فقط، ويخالفه في رأيه هذا الصحابة جميعهم.

خامسًا: إسناده منقطع، فكما قال الدارقطني كان هذا الحديث مرويًا عن الحسن عن أبي بكرة، والحسن لم يسمع من أبي بكرة وإنما يروي عنه الأحنف. وكذلك قال الإمام ابن أبي حاتم الرازي أن الحسن لم يسمع من أبي بكرة، فيقول في كتابه الجرح والتعديل: ولم يصح له السماع من جندب، ولا من أبي بكرة، ولا من أبي هريرة. ويضعف هذه الطريق أيضًا الإمام يحيىٰ بن معين، فيقول في تاريخه: لم يسمع الحسن من أبي بكرة، قيل له: فإن مبارك بن فضالة يقول: عن الحسن قال حدثنا أبو بكرة، قال: ليس بشيء.

سادسًا: مخالفته للواقع قديمًا وحديثًا: فمعلوم أن من النساء من قدن البلاد وأفلحت إدارتهن، فعلىٰ سبيل المثال رئيسة الوزراء البريطانية «مارجريت تاتشر» وهي أول امرأة تولت رئاسة وزراء بريطانيا، وفترة حكمها في بلدها هي الأطول خلال القرن العشرين، وقد لازمها لقب «المرأة الحديدية» الذي عرفت به، وتعد من أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ المملكة المتحدة.

–أنجلينا ميركل، رئيسة وزراء ألمانيا، فهي تحتل المرتبة الرابعة كأكبر اقتصاد عالمي، وللأسف ما زالت ألمانيا مفلحة حتىٰ يومنا هذا مع أنه تولت أمرهم امرأة.

–جاسيندا أرديرن، رئيسة وزراء نيوزيلندا، التي تعتبر واحدة من أكثر رؤوساء الوزراء شعبية في العالم، ومن إنجازاتها: وفرت ٩٢ ألف

وظيفة في عامين، وأنشأت أكثر من ٢٢٠٠ منزل حكومي، وزرعت ١٤٠ مليون شجرة، وأضافت رعاية محسنة لمرضىٰ السرطان، وقدمت لأكثر من ٥٠٠ ألف شخص زيارات أرخص للأطباء، ورفعت الحد الأدنىٰ للأجور، وبنت فصولًا دراسية تسع ١٠٠ ألف طالب، ووصلت البطالة في عهدها لأدنىٰ مستوياتها، والقائمة لم تنته.. فهل أفلح قومها أم خابوا؟!

سابعًا: لقد أجمع العلماء علىٰ عدم جواز تولي المرأة الخلافة العظمىٰ استنادًا إلىٰ هذا الحديث، مع أن أبا بكرة لم يطبق هذا الحديث علىٰ الخلافة العظمىٰ مثلما ذهب الفقهاء، فالسيدة عائشة لم تكن خليفة ولم تكن قاضية، وإنما كانت علىٰ حد قوله قائدة لجيش؛ فأبو بكرة لم يفهم الحديث مثلما فهمه الفقهاء جميعهم؛ لأنهم استدلوا بالحديث علىٰ الخلافة العظمىٰ، وأبو بكرة -الذي رواه- لم يستدل به علىٰ الخلافة العظمىٰ إذ أن السيدة عائشة لم تطلب الخلافة. فإما أن الصحابي الذي روىٰ الحديث كان فهمه له خاطئًا، والفقهاء كانوا أفضل تطبيقًا وفهمًا للحديث من الصحابي الذي رواه. أو أن الفقهاء هم المخطئون، ويجب أن يفهموا الحديث كما فهمه الراوي، فالراوي أسقط الحديث علىٰ أي منصب تتولاه المرأة، وكان يجب -بناءً علىٰ فهم الراوي- أن يتم منع النساء من جميع المناصب الذي تتولىٰ فيها أمر المسلمين، فلا يجوز أن تكون مديرة، أو رئيسة جامعة، أو ذات منصب في شركة، وبهذا يحرم علىٰ النساء تولي جميع المناصب.

ثامنًا: إذا كان أبو بكرة مخطئًا في فهمه، فما يضمن لي أنه مصيب في روايته ونقله عن النبي؟ ربما قال النبي شيئًا آخر غير هذا الذي رواه وفهمه أبو بكرة! وما أكثر ما حدث هذا بين الصحابة، بل حدث مع من هو أعظم شأنًا بين الصحابة من أبي بكرة، فقد روىٰ سيدنا عمر بن الخطاب أن النبي قال: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه. وحين سمعت السيدة عائشة أن عمر بن الخطاب نقل هذا عن النبي قالت: لا والله ما قال رسول الله قط إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه. إنكم لتحدثوني عن غير كاذبين ولا مُكذَّبين، ولكن السمع يخطئ. وهنا تستدرك السيدة عائشة علىٰ خطأ سماع سيدنا عمر، بل وخطأ فهمه، وأقسمت أن النبي لم يقل هذا الكلام. فإذا وقع عمر -وهو من هو- في هذا الخطأ، فما الذي يمنع أبا بكرة؟ خاصةً وأن أبا بكرة هو الوحيد من بين الصحابة جميعهم الذي روىٰ هذا الكلام، ولم يلتفت إلىٰ حديثه أحد منهم؟

فلهذه الأسباب الثمانية، أرىٰ أن اعتمادهم علىٰ هذا الحديث كمن يحاول إطفاء لهب الشمس بنفخة هواء. وعليه، فلا حجة لقولهم من منع المرأة من تولي الخلافة العظمىٰ أو الرئاسة؛ إذ أن دليلهم الوحيد فيه من المصائب ما رأيتم.

بعد هذا العرض سنعرض متن الحديث علىٰ معايير الصحة التي التزمناها لنر مدىٰ صحته.

أولًا: ألا يكون مخالفًا للقرآن الكريم

إن قصة ملكة سبأ التي ذكرها رب العالمين والتي أظهر فيها حكمتها وحسن إدارتها لمملكتها وشعبها، قبل الإيمان وبعده ـ كما عرضها د.

محمد الأشقر ـ لهي دلالة قاطعة علىٰ أنه قد أفلح قوم ولوا أمورهم امرأة. كما أنه بالقرآن الكريم الكثير من القصص التي خاب فيها قوم ولوا أمورهم رجال، مثل جالوت، وفرعون وهامان، والذين تولوا الأقوام التي أهلكها الله تعالىٰ من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم شعيب وقوم لوط.. وغيرهم، كل هؤلاء خابوا وخسروا ولم تتول أمورهم امرأة، بل تولاها الرجال الذين تسببوا في هلاك أقوامهم، وخسارتهم في الدنيا والآخرة.

لذلك فإن متن هذا الحديث مخالفٌ مع ما جاء بالقرآن الكريم، الذي يُقيم العمل الصالح النافع للبلاد والعباد بغض النظر عن جنس من قام به.

ثانيًا: ألا يخالف الحقائق التاريخية

نجد مما عرضه د. محمد الجابري أن ربط الحديث بتولية بنت كسرىٰ المُلك ـ كما جاء بإحدىٰ روايات الحديث ـ يبين أنه مخالف للحقائق التاريخية، يقول: تجمع مصادرنا علىٰ أن المرأة المشار إليها هي بوران دخت BourAn-dokht بنت كسرىٰ أبرويز. وهناك اضطراب كبير في مصادرنا حول تاريخ تنصيبها، فالطبري والبلاذري وابن كثير يتحدثون عنها ضمن أخبار فتح فارس علىٰ عهد عمر بن الخطاب في السنتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة، وبما أنها لم تحكم سوىٰ سنة وأربعة أشهر فإن تنصيبها ملكة سيكون قد تم بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام (سنة ١١)، الشيء الذي يطعن في الصحة التاريخية للحديث موضوع النقاش.

كما أن الحديث يتحدث عن حادثة تولّي (بوران) بنت كسرىٰ الحكم في بلاد فارس. وبوران كانت حسنة السيرة، وكانت عادلة في حكمها،

وجنبت مملكة فارس الانهيار، وعقدت صلحًا وأنشأت سفارات وتبادلت الرسل مع الروم، وبدأت في صك العملة باسمها، وتم تقديرها بشكل كبير، وطبعت صورتها علىٰ النقود، بالإضافة إلىٰ أنها خفضت الضرائب، وأعانت الفقراء وساعدت علىٰ استقرار مملكتها.

إذًا فهذا الحديث مخالف للحقائق التاريخية، فلا مجال للربط بين تولي بنت كسرىٰ المُلك، وبين قول رسول الله لهذا الحديث.

ثالثًا: ألا يخالف البديهيات العقلية والمنطق السليم

الحادثة التي ذُكر فيها الحديث علىٰ أنه يخص بنت كسرىٰ، هي حادثة مهمة وعامة، فكيف لم يعرفها الصحابة، ولم تعرفها السيدة عائشة، ولم ينفذها أحد، ولم يذكرها أبو بكرة ولا أي أحد غيره لمدة ٢٥ عامًا بعد وفاة النبي، ثم يذكرها هو وحده بعد هذه المدة الطويلة.

كما أن هذا الحديث لا ينطبق علىٰ السيدة عائشة، لأنها لم تتول أمر قومها، بل كانت تسعىٰ فقط للإصلاح، فحتىٰ الحديث لا ينطبق عليها، بينما أنزله أبو بكرة عليها.

إذًا الحديث يخالف البديهيات العقلية، فلم يسمع به أحدٌ من الصحابة من قبل، ولم يذكره راويه إلا بعد ٢٥ سنة من قول الرسول له.

رابعًا: مخالفته للواقع قديمًا وحديثًا

فمعلوم أن من النساء من قدن البلاد وأفلحت إدارتهن، قديمًا وحديثًا، فعلىٰ سبيل المثال رئيسة الوزراء البريطانية «مارجريت تاتشر» وهي أول امرأة تولت رئاسة وزراء بريطانيا، وفترة حكمها في بلدها هي الأطول

خلال القرن العشرين، وقد لازمها لقب «المرأة الحديدية» الذي عُرفت به، وتعد من أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ المملكة المتحدة، وغيرها، لذلك فهو مخالف للواقع حيث رأينا ونرىٰ الكثيرات من النساء اللاتي تولين أمور بلادهن وقد أفلحن وأفلح قومهن، كما رأينا الكثيرين جدًا من الرجال الذين تولوا أمور بلادهم، فخابوا وخابت بلادهم، فالواقع أن الحكم علىٰ الفلاح بكفاءة الإنسان وليس بجنسه.

إذًا هذا الحديث مخالف للواقع، حيث هناك الكثيرات اللاتي تولين أمور أقوامهن وأفلحن وأفلحت أقوامهن، كما أن هناك الكثيرين جدًا من الرجال الذين تولوا أمر قومهم فخابوا، وخيبوا أقوامهم.

نقد السند:

بينت المقالتان أمرًا في غاية الأهمية يخص راوي الحديث أبو بكرة، أنه قد اتهم الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة بالزنىٰ، ثم لم يأت بأربعة شهداء تصلح شهادتهم علىٰ إقامة الحد عليه، فأقام عليهم سيدنا عمر حد القذف، وأسقط شهادة أبو بكرة، فلم تقبل له شهادة من بعدها، بينما من شروط صحة السند عدالة الرواة وهو أن يكون الراوي ممن يُعرف بالدين والتقىٰ والصلاح والصدق، وقد بينا سقوط هذا الشرط عن أبي بكرة. فكيف يسمح علماء الحديث بعد ذلك قبول شهادته عن رسول الله، وهو الأمر العظيم الجليل الذي لا بد أن يكون رواة حديثه ممن يتصفون بالصلاح والصدق، ولم يسقط الله تعالىٰ شهادتهم.

وقد بحثت في قصة اتهام أبو بكرة للمغيرة بن شعبة ووجدت ما يلي:

(قال أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن ونص الحادثة ما رواه أبو جعفر قال: كان المغيرة بن شعبة يباغي أبا بكرة وينافره، وكانا بالبصرة متجاورين بينهما طريق، وكانا في مشربتين متقابلتين في داريهما، في كل واحدة منهما كوة تقابل الأخرىٰ، فاجتمع إلىٰ أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح، ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليصفقه، فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب الكوة في مشربته، وهو بين رجلي امرأة قد توسطها، فقال للنفر: قوموا فانظروا، ثم اشهدوا؛ فقاموا فنظروا، فقالوا: ومن هذه؟ فقال هذه أم جميل بنت الأرقم، وكانت أم جميل غاشية للمغيرة والأمراء والأشراف، وكان بعض النساء يفعل ذلك في زمانها، فلما خرج المغيرة إلىٰ الصلاة حال أبو بكرة بينه وبين الصلاة، فقال: لا تصل بنا، فكتبوا إلىٰ عمر بذلك).

وقد وجدت أن من دعاهم للنظر داخل بيت المغيرة هو أبو بكرة، ومن أوحىٰ باسم المرأة هو أبو بكرة.

ثم بماذا دافع المغيرة عن نفسه، (قال المغيرة لعمر: يا أمير المؤمنين؛ سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني؟ مستقبلهم (أي كانوا أمامي) أو مستدبرهم (أي كانوا من ورائي)، وكيف رأوا المرأة، وهل عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستتر، أو مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إليّ علىٰ امرأتي، والله ما أتيت إلا زوجتي، وكانت تشبهها)، وهذا تفنيد مهم جدًا لشهادة الشهود يبين كذبهم.

فكيف بعد أن أسقط سيدنا عمر ـ صاحب العقل الراجح والباحث عن الحق ـ شهادته فيما هو أقل من الإبلاغ عن رسول الله، فكيف نقبل شهادته فيما هو أعظم؟

إذًا راوي الحديث ليس أهلًا لتصديق روايته عن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ثم سأعرض لكم حوارًا علىٰ الفيس تم بيني وبين من يدافع عن صحة سند الحديث، لنرىٰ طريقة التفكير في مثل هذه الأحاديث.

يقول: "حديث في صحيح البخاري مفيش نقاش فيه، ودا مش تقليل شأن المرأة أو إنقاص منها وربط الفلاح بفصلها عن الحياة ولكن للأعباء المقرونة بمنصب الخليفة أو الرئيس، وأبو بكرة أجمعت الصحابة علىٰ قبول شهادته، أما بالنسبة لقضية القذف فهذا أمر فيه مراجعة لأنه هناك فارق بين الشهادة في القذف والقذف نفسه فإن الصحابة قد أجمعوا بقبول شهادة أبو بكرة ومن شهد معه وأن عمر لما أمر بجلدهم هذا كان اجتهادًا منه نرجو التدقيق وعدم الطعن في رواية البخاري لأنه لو كان هناك شك في هذه الرواية كان البخاري رفضها ولا يزيد علىٰ روايته أحد من العلماء".

ردي علىٰ هذا التعليق جملة جملة كما رددته به عليه.

قال:"حديث في صحيح البخاري مفيش نقاش فيه".

قلت: لماذا ليس فيه نقاش؟! من أي آية كريمة أو من أي حديث شريف أطلقت هذه الجملة الخطيرة جدًا؟ هل لك مصدر ثالث تأخذ

منه أحكامك وجدت به هذه الجملة؟ إذا كان آيات القرآن الكريم لها تفسيرات عدة وفيها نقاش لمعرفة سياقها والسبب في نزولها والأحكام المأخوذة عنها، فكيف تكون أحاديث البخاري لا نقاش فيها!

قال: "ودا مش تقليل شأن المرأة أو إنقاص منها وربط الفلاح بفصلها عن الحياة ولكن للأعباء المقرونة بمنصب الخليفة أو الرئيس".

قلت: إن كلام الحديث المدعىٰ لا يقلل من شأن المرأة، فهذه وجهة نظرك الخاصة ولا تصلح للحكم علىٰ صحة السند والمتن، وما تراه لا يقلل من شأن المرأة يراه آخرون يقلل من شأنها، والأعباء المقرونة بمنصب الخليفة أو الرئيس قامت بها ملكة سبأ وغيرها، وقد ذكرها رب العالمين كأحسن ما يجب أن يكون عليه الخليفة أو الرئيس، وقد قدمت لشعبها أفضل خير واتخذت أفضل قرار حين نقلتهم من الشرك إلىٰ الإيمان برب العالمين، وهو تصرف فشل الكثيرون من رجال الحكم علىٰ مر التاريخ في اتخاذه.

قال: "وأبو بكرة أجمعت الصحابة علىٰ قبول شهادته".

قلت: أولًا الصحابة لم يجمعوا علىٰ قضية أصلًا، حتىٰ تولية سيدنا أبي بكر خليفة لم يجمعوا عليها إلا بعد خلاف واضح. ولو قرأت في قضايا أحكام الميراث مثلًا لوجدت بينهم اختلافًا كبيرًا، لأنهم كانوا أحرار العقول والنفوس، يرون أن الله تعالىٰ سوف يحاسبهم علىٰ تدبرهم وحسن الفهم، فتعلموا وأعملوا عقولهم وخرجوا بأحكام مختلفة، وهذا لكل مسلم، ثم هناك كلمة أبو بكرة نفسه لما كان يُدعىٰ لأي

شهادة كان يرفض ويقول: "إن المؤمنين قد أبطلوا شهادتي"، فأين إجماع الصحابة هنا علىٰ قبول شهادته!

ثم حكمك هذا بأنهم أجمعوا علىٰ قبول شهادته، هو إطلاق لحكم بلا أي دليل، بل لدينا دليل واضح من كتاب الله تعالىٰ علىٰ إسقاط شهادته بعد قضية رميه الصحابي الجليل بالزنا، يقول تعالىٰ: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾)، النور.

هل يجوز لمسلم علىٰ وجه الأرض أن يحكم الله تعالىٰ بحكم، فيرفضه ويأخذ بأحكام البشر؟!

وبالنسبة لإجماع الصحابة فلم يحدث، لأن سيدنا عمر أسقط شهادته، وسيدنا عمر من الصحابة.

قال:"أما بالنسبة لقضية القذف فهذا أمر فيه مراجعة لأنه هناك فارق بين الشهادة في القذف والقذف نفسه فإن الصحابة قد أجمعوا بقبول شهادة أبي بكرة ومن شهد معه".

قلت: حضرتك لم تذكر ما هي المراجعة التي حدثت في هذه القضية ومن الذي قام بها؟ وما هو الفرق بين الشهادة في القذف والقذف نفسه؟ هل لديك إجابة واضحة من خلال آيات الله تعالىٰ؟ هل لهذه الآيات الواضحة تفسير آخر غير ما هو واضح أمامنا؟

ثم عدت لمقولة أن الصحابة أجمعوا، دون دليل علىٰ مقولتك، بل الدليل أنهم لم يجمعوا لأن الفاروق عمر أسقط شهادته.

قال: "وإن عمر لما أمر بجلدهم هذا كان اجتهادًا منه".

قلت: الجملة تحمل معنىٰ أن ما فعله سيدنا عمر من جلد أبي بكرة لأنه قذف محصن دون أربعة شهداء، هو اجتهاد شخصي منه بلا دليل من آيات الله تعالىٰ! وهذا غير صحيح بالمرة، فآيات الله تعالىٰ واضحة جدًا وسيدنا عمر وقاف عند أوامر الله تعالىٰ وآياته وأحكامه، ولا يتصور أنه حكم بغير ما أمره به رب العالمين، والحمد لله الذي حفظ لنا القرآن الكريم ليكون لنا مصدرًا آمنًا لإصدار الأحكام. ثم إن سياق الكلام يوحي بأن سيدنا عمر اجتهد فأخطأ، لا أجد التعليق الكافي علىٰ مثل هذه الإيحاءات من أجل إنقاذ حديث مكذوب علىٰ الله ورسوله.

قال: "نرجو التدقيق وعدم الطعن في رواية البخاري لأنه لو كان هناك شك في هذه الرواية كان البخاري رفضها ولا يزيد علىٰ روايته أحد من العلماء".

قلت: حضرتك بهذه الجملة نقلت مصدر دينك وأحكامك وتشريعاتك من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله الصحيحة، إلىٰ البخاري وأحكامه وتشريعاته، فمعنىٰ الكلام أنه ما دام قال البخاري فقد صدق، حتىٰ لو قال رب العالمين غير ذلك، وحتىٰ لو أثبت البحث تهاوي متن هذا الحديث، فأرجو ألا تكون من أصحاب هذا الحديث الشريف، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ،

فَقَالَ: "يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ)، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"، رواه الترمذي.

يعني أن ما يقوله فلان إنه حرام فهو حرام، وما يقول إنه حلال فهو حلال.. بلا مناقشة.. فهو لا يقول إلا الحق.. لا ما يقوله الله تعالىٰ.. بلا اهتمام ببحث أو تحرٍ أو تفكر أو تدبر أمر الله تعالىٰ به كل مسلم علىٰ وجه الأرض! وشكرًا لتعليق حضرتك. انتهت المناقشة.

هكذا نرىٰ أن الدفاع عن هذا الحديث الموضوع وأمثاله من الأكاذيب علىٰ الله ورسوله، يتسم بإطلاق الأحكام بلا علم ولا دليل، لا لشيء سوىٰ إثبات صحة كل ما جاء بالبخاري، حتىٰ لو كان مخالفًا للقرآن الكريم، وحتىٰ لو اتهمنا سيدنا عمر أن فعله مجرد اجتهاد، بينما هو لم يفعل سوىٰ ما أمر به رب العالمين.

وهكذا كما قلت سابقًا، يمكننا معرفة الحديث المكذوب علىٰ رسول الله من التحايل والتدليس عند شرحه والدفاع عنه، ومن عدم الإتيان بأي دليل من القرآن الكريم عليه.

بهذا البحث في صحة حديث **لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً** نجده لا يحقق شروط صحة المتن ولا السند.

الخاتمة

أول جملة أريد أن أكتبها في الخاتمة، أن هذا البحث أرهقني عقليـًا وآلمني نفسيًا، آلمني نفسيـًا لما أظهره من تبديل وتحوير وإفساد لدين الله تعالىٰ العظيم، وعقليًا لما بذلته من مجهود عقلي وعلمي في البحث عن الدلائل وتنسيقها وتوثيقها.

ثم نأتي لما نريد أن نختم به هذا البحث، سنعرض الخاتمة خلال عدة محاور:

المحور الأول: سبب هذه الأقوال المكذوبة علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام.

المحور الثاني: أثرها في أحكام الفقه.

المحور الثالث: أثرها في المجتمعات الإسلامية.

المحور الأول: سبب هذه الأقوال المكذوبة علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام والتي تحمل هذا الكم من العنصرية ضد المرأة وتعمد الحط من شأنها.

أعتقد أن لها سببين:

الأول يكمن في الطبيعة البشرية قبل أن يهذبها الشرع، وهي حب الاستعلاء والمكانة والسيطرة، وبالتالي الحق في التمتع بكل الحقوق، مع حرمان أطراف أخرىٰ ـ التي يدَّعون دنو مكانتها ـ حقوقها التي

لديهم، رغبة في التمتع بعدم أدائها، لأن أداء الحقوق أمر متعب ومكلف لذوي النفوس الظالمة.

ومن مقالة "تعريف العنصرية" لمحمد أبو خليف في ٢٧ أبريل ٢٠٢٢ بموقع (موضوع):

ومن تعريفات العنصرية أنها مَذهبٌ قائمٌ علىٰ التّفرقة بين البشر حسب أصولهم الجنسية ولونهم، ويرتب علىٰ هذه التفرقة حقوق ومزايا، كما يمكن تعريف العنصرية بأنها الاعتقاد بأن هناك فروقًا وعناصر موروثة بطبائع الناس وقدراتهم وعزوها لانتمائهم لجماعة أو لعرق ما، وبالتالي تبرير معاملة الأفراد المنتمين لهذه الجماعة بشكل مختلف اجتماعيًا وقانونيًا.

كما يُستخدم المصطلح للإشارة إلىٰ الممارسات التي يتم من خلالها معاملة مجموعة معينة من البشر بشكل مختلف ويتم تبرير هذا التمييز بالمعاملة باللجوء إلىٰ التعميمات المبنية علىٰ الصور النمطية وباللجوء إلىٰ تلفيقات علمية، وهي كل شعور بالتفوق أو سلوك أو ممارسة أو سياسة تقوم علىٰ الإقصاء والتهميش والتمييز بين البشر علىٰ أساس اللون أو الانتماء القومي أو العرقي.

كذلك من تعريفات العنصرية أنها هي الأفكار والمُعتقدات والقناعات والتَّصرفات التي ترفع من قيمة مجموعة معينة أو فئة معينة علىٰ حساب الفئات الأخرىٰ، بناءً علىٰ أمور مورّثة مرتبطة بقدرات الناس أو طباعهم أو عاداتهم، وتعتمد في بعض الأحيان علىٰ لون البشرة، أو

الثقافة، أو مكان السّكن، أو العادات، أو اللغة، أو المعتقدات. كما أنّها يُمكن أن تعطي الحق للفئة التي رُفع شأنها بالتحكّم بالفئات الأخرىٰ في مصائرهم، وكينونتهم، وسلب حقوقهم، وازدرائهم دون حق أو سبب واضحٍ، ويكون الهدف منها محاولة التفوق علىٰ الآخرين. وتعدُّ العنصرية أحد أسباب الفتنة، وأبرز أسباب الحروب والتفرقة، وهي من أشد الأمراض فتكًا بالمجتمعات، ولم يخلُ عصر من العصور منها، إذ تُعتبر رفضًا جذريًّا لمجموعة من الأشخاص، واستثناء من ناحية أخرىٰ.

أنواع العنصرية

تتمثل العنصرية من خلال المضايقة، وتكون في تجريح شخص ما وإهماله وسد الطرق أمامه، وإشعاره بعدم الرغبة في وجوده، مما يسبب له الألم النفسي وإهانة كرامته، ويمكن تقسيم التمييز العنصري إلىٰ نوعين:

التمييز المباشر: يتمثل هذا النوع من التمييز في التعامل مع شخص بطريقة دونية وبتفضيل شخص آخر عليه بسبب عرقه أو لونه أو... إلخ.

التمييز غير المباشر: وتكون العنصرية هنا عند فرض قوانين وشروط دون أسباب، وتكون هذه الشروط في صالح فئة معينة على حساب فئة أخرى.

أضرار العنصرية

تنعكس سلبيات العنصرية علىٰ الفرد والمجتمع علىٰ حدٍ سواء، فالفرد لبنة المجتمع، إذا صلح حاله صلح المجتمع بأسره، والعكس

صحيح، وإليك عزيزي القارئ، مجموعة من الآثار السلبية للعنصرية علىٰ كل منهما:

سلبيات العنصرية علىٰ الفرد:

تولد العنصرية الحقد والكراهية بين الشخص العنصري والشخص الذي تمارس عليه السلوكيات العنصرية.

سلبيات العنصرية على المجتمع:

- تجعل العنصرية المجتمع مفككًا غير مترابط.
- تولد العنصرية النزاعات بين أفراد المجتمع.
- تخلق العنصرية جوًا من الحقد والكراهية بين أبنائها.
- تخلق العنصرية أجواءً يسودها الخوف والكبت وعدم الاستقرار.
- قد تعمل العنصرية على إشعال شرارة الحرب في المجتمع، لتعصب كل طائفة لأفكارها.

علاج ومناهضة العنصرية

ظاهرة العنصرية ليست عصية علىٰ العلاج، ولكن علاجها يتطلب جهدًا كبيرًا، إذ تتوزع المهام بين الأفراد والمجتمع ككل والسلطات أيضًا. وقد سبق وتخلصت أمم من هذه الآفة، وتمكنت من علاجها، ويمكن اقتراح سرب من الحلول لعلاج ومناهضة العنصرية، لعل أهمها:

- علىٰ الحكومات أن تحاول تضييق دائرة الخلافات بين الفصائل المختلفة في المجتمع.

- علىٰ الحكومات أن تتغلب علىٰ العنصرية من خلال تطبيق مبدأ العدل والمساواة بين أبناء المجتمع.
- للإعلام دور كبير جدًا في التأثير علىٰ المجتمع، وعلينا أن نحرص أن يكون هذا الدور إيجابيًا في نبذ العنصرية والتمييز.
- فرض عقوبات علىٰ من يثير الفتن والنزاعات بين أبناء المجتمع الواحد.
- تلعب تقوية الوازع الديني في نفوس الأفراد أحيانًا دورًا جيدًا في نبذ العنصرية.
- تعتبر الأسرة النواة الأولىٰ في المجتمع، لذا يتوجب عليها زرع أفضل القيم في نفوس أبنائها، وتربيتهم علىٰ حب الآخرين، ونبذ التفاخر واحتقار الآخرين.
- يقع علىٰ عاتق المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية دور كبير في توعية الجيل الجديد وتثقيفهم وزرع الأفكار الصحيحة في عقولهم ونفوسهم.
- لمنظمات حقوق الإنسان دور كبير في هذا المجال أيضًا، وذلك من خلال عقد الدورات التثقيفية ونشر الكتيبات التوعوية حول أهمية المساواة ونبذ الفتنة والعنصرية والتمييز بجميع أشكاله.

كما ذكرنا آنفًا، فإن العنصرية التي نالت من كثير من المجتمعات، لم تتمكن من المجتمعات التي عملت علىٰ إيجاد حلول حقيقية تخلصها من عواقب هذه الظاهرة، ما مكّنها بعد ذلك من بناء أمجاد عتيدة، بعد أن آمنت بالمساواة في الحصول علىٰ الفرص، وأيقنت أن التفوّق ليس

حكرًا علىٰ فئة واحدة، فصهرت جميع الإمكانات المتوافرة في أبنائها لترسم أجمل صور التكافل والتكاتف في الطريق إلىٰ الحضارة.

ويقول الأستاذ/ السيد محمد عاشور بكتابه "التفرقة العنصرية":

"العنصرية هي نوع من الاستعلاء النابع من شعور فئة بأنها عنصر سيد، ثم ترجمة هذا الشعور إلىٰ واقع سياسي واجتماعي واقتصادي. وهي محاولة يقوم بها أشخاص غير واثقين من أنفسهم، وذلك طمعًا في أن يصونوا شخصياتهم (أي يصونوها من الشعور بالنقص من خلال الادعاء بأنهم الأفضل دون سبب حقيقي)".

كل هذه التعريفات للعنصرية نجدها بوضوح في تلك الأحاديث المكذوبة علىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام، والتي تعتبر المرأة لكونها فقط من جنس النساء، وليس لأي سبب آخر، مهما كان دينها أو عقلها أو أخلاقها أو أدبها...، هي في مستوىٰ متدنٍ عن الرجل. هي أقل منه، وهو خير منها، فهو يملك العقل الكامل والدين الكامل، ولسانه طاهر عن السب واللعن، ويعرف المعروف، وغير مجبول علىٰ الخيانة، ولا يشبه الشيطان عندما يمشي في الشارع، وخلقه الله تعالىٰ مستقيمًا. لكل هذا وأكثر، فالمرأة عندما يتزوجها ما هي إلا أسيرة لديه، ليس لها الحق إلا في الطعام والشراب، والضرب غير المبرح، حتىٰ الحق في العلاج وثمن الكفن، ليس لها، وأيضًا لكل هذا، فالخيبة والخسارة عندما تتولىٰ المرأة الإدارة والمسئولية، بينما النجاح والمكاسب المتوالية، هي في تولية الرجال.

سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علوًا كبيرا، وحاشاه رسول الحق والرحمة أن يدعو لمثل هذه العنصرية الجاهلية البغيضة.

هذه العنصرية للأسف الشديد هي التي حفظت هذه الأكاذيب علىٰ رسول الله مئات السنين، لأنها لاقت هوىٰ عند قائلها ومُستَقبلها، فلم يبحث أحدٌ عن صحة هذه المتون الفاسدة المفسدة. فالشعور بالاستعلاء دون بذل أي مجهود، ودون أي استحقاق، والشعور بدنو الآخر مهما فعل، هو شعور مسعد جدًا لمن يشعر بعدم قدرته أو كفاءته ليكون هو الأفضل من خلال عمله ومجهوده، ومبرر رائع جدًا لحرمان من يراه أقل منه من حقوقه وأكل أمواله، وسيفعل العنصري الذي يدَّعي التدين ذلك دون أدنىٰ إحساس بالذنب، فمعه الرخصة التي تعطيه الأفضلية، فهذه إرادة الله، ومن يعترض علىٰ هذا الوضع، إنما يعترض علىٰ إرادة الله، فهو هكذا خلقه الله، وهكذا يريده الله، هو الأفضل دائمًا. مثل هذا لم يتعد اعتقاده اعتقاد الشيطان في نفسه لما رفض السجود لأبينا وقال: "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ"، فلعنه الله تعالىٰ وطرده من رحمته.

إن العنصرية صفة بغيضة تتواجد في كل أنحاء العالم وعلىٰ مر العصور، لم يخل منها مجتمع ولا عصر، وجاء الإسلام ليقضي علىٰ هذه الصفة التي تقضي علىٰ المجتمعات وتضعها في أسفل الدرجات. إن من الاختيارات السيئة لكل إنسان يملك قوة القهر لآخر، أن يبحث عن سبب لحرمان هذا الآخر من حقوقه وسرقة مجهوده وقهره، فيجدها في الادعاء بتفوقه الخَلقي عليه، يدعي كذبًا أن الله هكذا خلق الناس،

طبقة متميزة لها كل الحقوق، وطبقة متدنية ليس لها أي حقوق، كما يحدث في الهند وأمريكا وجنوب أفريقيا.. وكما فعل كل المستخربين في البلاد التي احتلوها.

وفي مقال للأستاذ/ عامر الحافي ـ الأردن ـ بعنوان "معضلة العنصرية الدينية" في ٢٧/ ٣/ ٢٠١٧ بموقع تعددية (باختصار)، يقول: (نحتاج إلىٰ كثير من الجرأة والموضوعية، لنقول بأن العنصرية الدينية هي أسوء أشكال العنصرية، فهي تقوِّض كرامة الإنسان، وتُفقد الأديان مضمونها الأخلاقي، وتجعل "إله العالمين" مجرد "إله عشيرة"، أو في أحسن الأحوال "إله أقلِّيّة".

لا تتوقف قيمة الإنسان وحقوقه، علىٰ ما يَجِد عليه نفسه من عِرق، أو لون، أو ديانة، وإنما تتجلىٰ قيمة الإنسان في إنسانيته التي لا تقبل التقسيم، أو الاجتزاء، فالاختلافات بين الشعوب ليست مبرِّرًا لكراهيَتِهم وانتقاص حقوقهم، وإنما هي مهماز يحفزهم علىٰ البحث عن المشتركات الكبرىٰ، التي تجمعهم وتعمِّق معرفتهم بإنسانيَّتَهم وغاية وجودهم.

من الواضح أن العنصرية الدينية يصعب اكتشافها وعلاجها، فهي تتغذىٰ علىٰ جهل الإنسان وجهالته، وشعوره بالتهديد والبغضاء، وتتستَّر وراء أثواب القداسة، وسلطة الحقيقة.

إنَّ مَن يستحقون الخيرية الأفضلية، ليسوا هم مَن يدَّعونها، وإنما هم هؤلاء الذين يشير إليهم غيرهم بالأفضلية والعطاء. فالأفضلية ليست

تسمية يتوارثها الناس من ديانة أو طائفة بمحض الميلاد، وإنما هي شهادة صادقة يقدمها الناس لمن يبذلون لهم الخير.

إن أبسط دليل علىٰ فساد العنصرية، هو تناقض مضمونها المنطقي. فالعنصريون لا يرضون بأن تطبَّق عليهم معايير التمييز التي يمارسونها تجاه غيرهم!

ومن أجمل ما جاء في كلام النبي الكريم، في تقويض العنصرية، والتمييز، وفي بناء الأخوَّة الإنسانية الجامعة، قوله عليه السلام: "لا فَرْق بين عربيٍّ ولا أعجميٍّ، ولا أبيض ولا أسود، إلاَّ بالتقوىٰ".

والتقوىٰ هنا ليست اسمًا لديانة، أو تصورًا نظريًّا، وإنما هي العدالة، والرحمة، ومكارم الأخلاق، التي يعيشها الإنسان تجاه خلقِ الله، والتي تجعله أكثر قربًا إلىٰ الله).

الثاني: تعمد وضع الأحاديث التي تسيئ للدين وتنفر المسلمين والناس منه.

لسنا بعيدين عما قاله رب العالمين في حق اليهود، يقول تعالىٰ: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) ﴿٧٩﴾، البقرة. إن من طبع اليهود وعاداتهم، أنهم يكتبون كلامًا من عندهم بأيديهم، ثم يدَّعون أنه كلام الله تعالىٰ، واليهود عاشوا قرونًا بين المسلمين، وتعرفوا علىٰ ديننا، بل ودرسوه دراسة دقيقة، فاحتمال أن يدخلوا في ديننا كلامًا مكذوبًا علىٰ الله ورسوله، احتمال كبير جدًا،

يقول تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾، آل عمران. فمثل هذه الأحاديث اجتهدوا أن تشبه كلام رسول الله، فهم يلوون ألسنتهم لتتوافق مع كلامه، لكن هيهات أن يستطيعوا، فالبحث أظهر تهافت وضعف كلماتهم، لكنهم اعتمدوا علىٰ خطة تقديس البخاري ومسلم لكي يحافظوا علىٰ ركاكة ما وضعوه، ثم أطلقوا سهامهم ضد كل من يريد نقد هذه المتون واتهموه بالكفر.

فمع معرفتنا بأسلوبهم الدنيء في التقول علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ رسوله، ومع حقدهم الشديد علىٰ الإسلام والمسلمين، ورغبتهم في الإساءة إليه ووصفه بدين العنصرية ضد المرأة، ورغبتهم في إبعاد الناس عنه، وما أثبته أيضًا العلماء من تأثر الكثير من رواة الحديث بالإسرائيليات، فهناك احتمال كبير من أن أحبار اليهود وحاخاماتهم قد أدخلوا علىٰ ديننا هذه الأقوال المكذوبة، كما بينا من قبل بصورة واضحة.

المحور الثاني: أثر الأقوال المكذوبة علىٰ رسول الله في أحكام الفقه.

سأقدم أمثلة لأثر هذه الأحاديث التي أُستخدمت لوضع فقه المرأة وأحكامها وأحكام الزواج:

من كتاب: الفقه علىٰ المذاهب الأربعة. المؤلف: عبد الرحمن الجزيري.

(فقهاء الحنفية أجمعوا علىٰ أن حق الزوجة علىٰ الزوج من حيث هي زوجة يوجب عليه أن ينفق ما به قوام الحياة العامة وهي حياة الصحيحة لا المريضة فلا يجب عليه الدواء علىٰ أي حال بل إن بعض المذاهب يرىٰ أن النفقة لا تجب إلا في نظير الاستمتاع والزوجة المريضة لا تصلح للاستمتاع فلا تجب لها نفقة، ولكن الحنفية قالوا: إن النفقة تجب في نظير حبس الزوجة في منزل زوجها حتىٰ لو لم تكن صالحة للاستمتاع. وإذا كان الدواء وأجرة الطبيب لا يجبان عليه فكذلك لا يجب عليه ثمن الدخان والقهوة والشاي ونحوهما ولو تضررت من تركها، وقد اختلف في أجرة القابلة - الداية - فقيل: عليها، وقيل: عليه، وقيل: علىٰ من استدعاها منهما، واستظهر بعضهم أنها علىٰ الرجل لأن منفعتها راجعة إلىٰ الولد ونفقته علىٰ والده وهو المعقول.

وبعض علماء المالكية يقول: إنه يفترض عليه أن يعالجها بقيمة النفقة التي تفترض لها وهي سليمة من المرض.

وأما الكسوة فتفرض مرتين في السنة بحسب حالهما كما يأتي بيانه علىٰ أن تُكسىٰ في الشتاء بما يناسب فصل الشتاء والصيف بما يناسب فصل الصيف، ويشترط أن تبلىٰ الكسوة، أما إذا ظلت قريبة من جدتها صالحة للاستعمال فإنها لا تفرض لها كسوة أخرىٰ حتىٰ تخلق ولا يفرض عليه ثياب الخروج لزيارة أهلها أو للعرس من ثوب حرير - بدلة الفرح- كما لا يلزمه الحبرة- والبالطو- أو نحو ذلك).

أما الموسوعة الفقهية، بموقع الدرر السنية، فيقولون في الإجابة علىٰ سؤال علىٰ من تكلفة كفن الزوجة؟

القول الثاني: يجِبُ كفنها مِن مالِها، وهو مذهَبُ المالِكيَّة، والحَنابِلَة، ووجهٌ عند الشَّافعيَّة، وهو قولُ محمَّدِ بنِ الحسَنِ مِنَ الحَنفيَّة، وقولُ بعضِ السَّلَف، واختارَه ابنُ حَزْمٍ، وذلك للآتي:

أولًا: لأنَّ النَّفَقةَ والكُسوةَ وَجَبتا في النِّكاحِ للتَّمكينِ مِنَ الاستمتاعِ؛ ولهذا تسقُطُ بالنُّشُوزِ والبينونَةِ، وقد انقطَعَ ذلك بالموتِ، فأشبَهَتِ الأجنبيَّةَ.

ثانيًا: أنَّ اللهَ تعالىٰ أوجَبَ علىٰ الزَّوجِ لِزَوْجَتِه النَّفَقَةَ، والكُسوة، والإسكانَ، ولا يُسَمَّىٰ في اللُّغةِ التي خاطَبَنَا اللهُ تعالىٰ بها الكَفَنُ: كُسوةً، ولا القبرُ: إسكانًا).

هل القراء الأعزاء في حاجة للتعليق علىٰ هذه الأحكام؟

أم أن ما درسناه سابقًا يمكننا جميعًا من نقد هذه الأحكام ومعرفة فسادها وخطئها؟

أعتقد أننا الآن يمكننا الحكم ومعرفة من أين أتت، فما بُني علىٰ باطل فهو باطل.

ثم سأعرض تجميع للأستاذ/ محمد رضا عن كل الأحكام التي قامت بناءً علىٰ "نقص عقل المرأة"، ولن أشغلكم بكتابة المصادر لأنه من السهل علىٰ من يريد التأكد الوصول إليها.

يقول: "مُنعت المرأة من تولي الخلافة؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من تولي القضاء؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من السفر دون محرم مخافة الفتنة؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من تولي المناصب كالوزارات

والمجالس النيابية وغيرها؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من أن تشهد في المحاكم في الحدود؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من تزويج نفسها؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من اختيار زوجها، بل وإجبارها عليه؛ لأنها ناقصة عقل ولا تملك من العقل أن تختار بين الخاطبين. مُنعت من تطليق نفسها حتىٰ لو أعطاها زوجها هذا الحق؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من أن تسمي مولودها؛ لأنها ناقصة عقل، وتسمية الابن من حق الأب. مُنعت من أن تتساوىٰ روحها بعد موتها بروح الرجل، فجعلت ديتها علىٰ النصف من الرجل؛ لأن الأنوثة نقصان. مُنعت من التصويت في الانتخابات؛ لأنها ناقصة عقل. مُنع الرجل من أن يتوضأ من الماء الذي توضأت به المرأة؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من أن تكون إمامًا في الصلاة، لا بالرجال ولا بالنساء، لا فرضًا ولا نافلة؛ لأنها ناقصة عقل. مُنعت من التصرف في مالها الخاص إذا تزوجت، ليكون الزوج هو المتحكم الوحيد في مالها، لأنها ناقصة عقل".

ويستكمل الأستاذ/ محمد رضا كلامه فيقول: "كل هذا وغيره كثير، أستكثر أن أضيع وقتًا في ذكره، بل أخجل من ذلك، مثلما يقول القرطبي في تفسيره لقول الله تعالىٰ: (إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ..)، يقول: والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة، وقد يكنىٰ عنها بالبقرة والحجرة والناقة، لأن الكل مركوب، كما الذي ذكره الرازي في تفسير قوله تعالىٰ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا..)، يقول: قوله: "خَلَقَ لَكُم" دليل علىٰ أن النساء خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع،

كما قال تعالىٰ: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا..) وهذا يقتضي ألا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف، فنقول: خلق النساء من النعم علينا، وخلقهن لنا، وتكليفهن لإتمام النعمة علينا لا لتوجيه التكليف لهن".

وهكذا صديقاتي وأصدقائي، هذه هي نظرة بعض رجال الدين للمرأة، تلك النظرة التي استندت علىٰ هذه الأحاديث التي صورتها ناقصة العقل والدين، سليطة اللسان، لا تعرف المعروف ولا الإحسان، الخيانة في طبيعتها، عقلها معوج ولسانها معوج، لا أمل في علاجها، تغدو وتروح في هيئة شيطان، يخيب قومها لو ولوها أمرهم، فهي ليست سوىٰ أسيرة في بيت زوجها، ليس لها من حقوق سوىٰ الطعام والكسوة، حتىٰ العلاج والكفن ليسا من حقوقها.

إذا كانت هذه نظرتهم ـ التي لا يوجد عليها أي دليل بالقرآن الكريم بل الآيات علىٰ عكسها تمامًا ـ فليس بمستغرب أن تأتي أحكامهم علىٰ المرأة بهذه الصورة الشنيعة.

لماذا لم تأت بناءً علىٰ (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، وبناءً علىٰ (عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ)، وبناءً علىٰ (وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)، وبناءً علىٰ (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)، وبناءً علىٰ (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) فالمعروف والتراضي والتشاور والفضل والمودة والرحمة والكرامة، لا تتفق علىٰ الإطلاق مع هذه النظرة العنصرية المتدنية للزوجة، التي تسلبها حقوقها التي كرَّمها بها رب العالمين، كما كرَّم كل بني آدم.

إن كل آيات رب العالمين تؤكد علىٰ المساواة التامة بين الرجال والنساء في الطبيعة الإنسانية، وفي التكليف، وفي الثواب والعقاب، هذه آيات الله تعالىٰ التي أمرنا أن نؤمن ونصدق بها ونحيا عليها.

المحور الثالث: أثر الأقوال المكذوبة علىٰ رسول الله في المجتمعات الإسلامية.

لن أضيف جديدًا عندما أتحدث عما يراه الجميع من أنواع الظلم الذي تعرضت وتتعرض له المرأة المسلمة؛ نتيجة ما سرىٰ في المجتمعات الإسلامية من فهم ديني يؤصل لدىٰ الرجال المسلمين أنهم أفضل عند الله من المرأة المسلمة، مهما كانوا، وهي أقل منهم في الدرجة عند الله، مهما كانت، حتىٰ الرجل الذي لا يصلي، لا يعرف من الدين سوىٰ أن النساء ناقصات عقل ودين، وعلىٰ هذا الأساس فلن يعاملها كإنسان مثله له نفس الحقوق، لكنه يعاملها علىٰ أنها في درجة أقل منه، لا تستحق ما يستحقه من حقوق، ولن يحاسبه المجتمع، بل لن يحاسبه الله تعالىٰ إن أكل ميراثها ومالها وأهانها وأذلها وحرمها وضربها؛ فهي الناقصة وهو الكامل، هي المخلوق الأدنىٰ، وهو المخلوق الأعلىٰ!

في هذه الثقافة العنصرية البغيضة، التي افترت علىٰ الله الكذب وعلىٰ رسوله وعلىٰ الدين، عاشت المرأة قرونًا تعاني من القهر والاستعباد والتهميش والازدراء، وياللعجب نجد عند كثير ممن يدعون التدين، يصبون تدينهم كله علىٰ إهانة المرأة، ومراقبتها ولبسها وكلامها وحركاتها وخروجها ودخولها!

فماذا فعلت هذه العنصرية في مجتمعاتنا، يقول تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾﴿٢١﴾، الأنعام.

لم نفلح ولن نفلح أبدًا، فلا ظلم أشد عند الله تعالىٰ من ظلم من يفتري عليه سبحانه الكذب، فإن أردنا الفلاح، فلا فلاح دون إقامة دينه الحق، وإقامة العدل والمساواة التي أمر بها رب العالمين، ولا فلاح دون إعادة نقد لهذه الأقوال المكذوبة علىٰ رسول الله التي يستحيل أن يقولها، وإخراجها من نطاق الدين، لكنها العنصرية البغيضة، التي تهيئ لبعض الرجال أنهم بهذه الأحاديث المكذوبة علىٰ الله ورسوله، يمكنهم السيطرة علىٰ زوجاتهم، وفعل ما يحلو له وما يمليه عليهم هواهم، دون حساب من الله ومن المجتمع، إن هذه السلطة المتوهمة تجعلهم يتمسكون بهذه الأحاديث لآخر قطرة، فالذي يرىٰ أنه لا يملك الكفاءة لأن يكون هو القوام علىٰ أسرته دون هذه الأقوال المكذوبة، هو من يُكَفرُ من ينقد متن هذه الأحاديث نقدًا حقيقيًا، لأنه يشعر أنه دونها سيعاني من نقص في رجولته وقوامته.

أما الرجل عن حق، الذي يعلم علم اليقين أن هذه الأقوال لا تنطبق علىٰ أمه ولا أخته ولا زوجته ولا ابنته، ولا يفكر أن يقولها لهن، بل يستحي أن يؤذيهن بها، هو ذو الفطرة السليمة والشخصية المكتملة، التي لا ترىٰ رفعتها في ضعة من ترعاهم، بل تراها في حسن معاملة كل امرأة يتعامل معها، تنطلق معاملته من المساواة الإنسانية التامة، كما له، فهن لهن، وكما يرغب، فهن يرغبن، وكما يريد، فهن يردن. لا ينقص قدره أن

تتفوق عليه أخته أو زوجته، لأنها كاملة العقل مثله، بل يشجعها ويدفعها للأمام بلا شعور بالنقص أو رغبة في الاستعلاء الزائف.

فماذا فعلت هذه الأقوال المكذوبة وهذه الأحكام الجائرة في مجتمعاتنا الإسلامية؟

سنرصد من خلال رؤيتنا صور عدم الفلاح والخيبة التي طالت مجتمعاتنا الإسلامية جراء هذه العنصرية ضد المرأة التي نسبوها ظلمًا وعدوانًا لله ورسوله.

الدعوة لحبس النساء بالبيوت، أدت إلىٰ حبسهن عن التعليم، والجهل ظلام يتخبط فيه الجاهل، ففقد المجتمع نصفه، فقد نصف طاقاته وقدراته، كما فقد من قبل قدرات النصف الآخر، لأنه يشعر أصلًا أنه متفوق وأعلىٰ من الآخرين، فليس بحاجة لبذل المجهود والبحث عن التقدم والحضارة، فصرنا كما نرىٰ من التخلف.

المجتمع الإسلامي الذي يرىٰ المرأة أقل من الرجل، ويرىٰ الرجل خيرًا وأفضل منها، يسود فيه ظلم المرأة وأكل ميراثها لصالح إخوتها بلا أي تأنيب ضمير، فالدين في صفه، فهو يعطي الأفضلية للأفضل، والمجتمع الإسلامي الذي يسوده هذا الظلم، مجتمع فاسد، لا تقوم له قائمة، ولا يرىٰ نور الحق.

المجتمع الذي لا ينصر الضعيف، لا ينصره الله تعالىٰ، فالمجتمع الإسلامي استضعف المرأة، وأفقدها كل حريتها وكرامتها وشخصيتها، هذا الاستضعاف وبال علىٰ الأمة. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ:

سَمِعْتُ النَّبِيَّ، عليه الصلاة والسلام يَقُولُ: "أَبْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ، أَوْ تُنْصَرُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ". فالمجتمع الذي لا ينصر الضعيف إنما حُرم الرزق والنصر، وهذا ما نعيش فيه منذ قرون، ولن يرزقنا رب العالمين وينصرنا إلا بنصرة الضعفاء، ومن استضعفناهم.

إن الذين يستضعفون المرأة وينشرون الثقافة الدينية التي تحط من شأنها، إنما فعلوا مثل فعلة فرعون، يقول تعالىٰ: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ..)، القصص. هذه أخلاق الفراعنة وتصرفاتهم حين يملكون، أخلاق تفسد المجتمع، وتحوله لطوائف متحاربة كارهة، تمزقه وتهوي به إلىٰ الحضيض الأسفلي.

إن الذين يدَّعون أفضلية الرجل علىٰ المرأة، إنما هم يسيرون علىٰ درب الشيطان، فكما قال (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) علىٰ سيدنا آدم، ظلمًا وعدوانًا وكذبًا، يقول الرجل ـ بناءً علىٰ هذه الأقوال المكذوبة ـ أنا خير من المرأة ظلمًا وعدوانًا وكذبًا، وكما طرد رب العالمين إبليس ولعنه لكبره وعدم اعترافه لله تعالىٰ بأنه العليم الحكيم، سيطرد كل من يتمثل به من البشر، هؤلاء الذين يؤمنون بالله تعالىٰ إيمانًا شيطانيًا ويحسبون أنهم علىٰ الدين، وعندما تنتشر هذه الدعاوىٰ الشيطانية في المجتمع، وتسود أخلاق الشياطين، فإن مصير هذا المجتمع الفشل في الدين والدنيا، كما نرىٰ جميعًا.

إن سريان ثقافة الانتقاص من المرأة، تؤدي بالضرورة إلىٰ كل أشكال التحرش بها، والتنمر عليها، والسخرية منها. إنها مستباحة لأنها لا مكانة لها، غير ذات أهمية في المجتمع، الثقافة السائدة التي استقتها

العامة من الخطب والمواعظ، أنها ناقصة العقل والدين، فهي ليست بشيء له قيمة، يمكن التحرش بها بلا رادع من ضمير أو مجتمع، والمجتمعات الإسلامية التي يسودها التحرش بالمرأة ـ كل مجتمعاتنا تحتل أعلىٰ الدرجات في التحرش بالمرأة ـ هي مجتمعات فاشلة حقيرة وضيعة.

إن سريان ثقافة الانتقاص من المرأة، مع الحديث الدائم عن تكريم الإسلام للمرأة، إنما يخلق عقلًا يتقبل الأمر ونقيضه، عقل غير علمي بالمرة، أوقف تفكيره لأنه مطالب بألا يفكر في هذا التناقض، فإن فكر فقد يكفر.

إن الله تعالىٰ في قرآنه قد كرم المرأة أيما تكريم، لكن أصحاب الخطاب الديني الذين يأخذون أحكامهم ودينهم من هذه الأقوال المكذوبة، لا يستخدمون آيات القرآن الكريم للتأكيد علىٰ مكانة المرأة، لكنهم لا ينفكون يستخدمون هذه الأقوال علىٰ أنها الدين وفقط، فيقع الناس في حيرة شديدة، ويعطلون عقولهم، لأنهم بعقولهم ما يسمعونه من أحاديث هي عنصرية بغيضة ضد المرأة، بينما عند المشايخ هي تكريم، ويجب أن يصدقوا هذا التناقض، هذا يحدث لكل مسلم منذ الصغر، فيتربىٰ علىٰ عدم إعمال عقله، ويفقد القدرة علىٰ النقد، وعلىٰ البحث والتقصي، والنتيجة أن الهوة التي بيننا وبين العالم المتقدم أصبحت تُحسب بالسنوات الضوئية.

فاللهم أرشدنا الصواب وردنا إلىٰ دينك ردًا جميلًا وأعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

المراجع

١) القرآن الكريم.

٢) مختصر صحيح البخاري.

٣) مختصر صحيح مسلم.

٤) (الإجابة لإيراد ما استدرجته عائشة علىٰ الصحابة) للإمام بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ).

٥) (منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي) للدكتور صلاح الدين الإدلبي.

٦) (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث) للشيخ محمد الغزالي.

٧) (كيف نتعامل مع السنة النبوية) للدكتور يوسف القرضاوي.

٨) (مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة) للدكتور محمد بلتاجي.

٩) (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) للدكتور مصطفىٰ السباعي.

١٠) (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) لابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

١١) مقالات جريدة اليوم السابع عدد الأحد ٣١ مايو ٢٠٢٠ (٣١ عالما من أهل السنة والجماعة ينتقدون صحيح البخاري).

١٢) (جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان) أ. عبد الغفور السندي. ٢٤ / ٣ / ٢٠١٥ موقع "قصة الإسلام" إشراف د. راغب السرجاني.

١٣) (تدوين السنة ومنزلتها - عصر الخلفاء الراشدين) المكتبة الشاملة الحديثة.

١٤) موقع الدرر السنية.

١٥) (كتاب التلمود وأثره في الفكر اليهودي) الأستاذ/ فكري عبد الجواد.

١٦) مقالة د. محمد عمارة بجريدة الشرق الأوسط.

١٧) مقالات د. سامي الإمام أستاذ الديانة اليهودية/ كلية اللغات والترجمة/ جامعة الأزهر.

١٨) "في تجديد الفكر الفقهي" بحث "إنسانية المرأة بين نصوص الشريعة وتراث الفقه"، دراسة حول (..أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ..) أ.د. زينب عبد السلام أبو الفضل أستاذ الفقه بكلية الآداب جامعة طنطا.

١٩) مقالات لكل من:

د. محمد عابد الجابري مفكر وفيلسوف مغربي، له ٣٠ مؤلفًا في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها "نقد العقل العربي".

الشيخ محمد الأشقر المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الأستاذ/ محمد رضا باحث ومفكر إسلامي.

فهرس

